البرامج الثقافية في الإعلام الإذاعي

د. سهير جاد

الهيئة المصرية العامة للكتاب

البرامج الثقافية والإعلام الإذاعى

تأليف

د. سهير جاد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧

تقـــديم

بقلم الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف

لا يخرج الفن الإذاعى عن أن يكون شكلا من أشكال عملية اجتماعيـة ، هى عملية الاتصال . وكلمة « الاتصال » تمتاز بالتعبير عن الغرضيه والتفاعل معا ، بمعنى أنهـا تنطوى عـلى معنى القصد أو التـدبير ، وكـذلك تعنى التفـاعـل أو المشاركة . والإعلام الثقافى كمصطلح جديـد ـ يقوم عـلى أساس من فهم طبيعتى الإعلام والثقافة ؛ وهو فهم ينبع من جوهر مشترك لهما وهو « الاتصال » .

ويظن البعض أن ظاهرة الاتصال هى نوع من النتائج الفرعية لتقدم العلم والتكنولوجيا، وفى ذلك تجـاهل لـدور الاتصال فى المجتمـع ، فقد سبقت الكلمـة المسموعة سـائر الـوسائـل الأخرى كـالكتابـة والطباعـة والصحافـة والإذاعة والتليفزيون والسينما ، ولا تزال اللغة بوصفها مجموعة الرموز الإنسانية للتفاهم من أهم أدوات الاتصال ، والإنسان هو المخلوق الوحيد الـذى لا يستجيب فقط للبيئة المادية الموضوعية ، ولكنه يستجيب أيضا للبيئة الرمزية من صنعه .

فاللغة إذن هى العامل المشترك بين « الإعلام » و « الثقافة » فى إطار ظـاهرة الاتصال ؛ أو الإعلام الثقافى ؛ الذى ينطلق منه كتاب د . سهير جاد عن البـرامج الثقافية فى الإعلام الإذاعى .

ويقتضى الأمر أن نفرق بين مصطلح « الإعلام الثقافى » Cultural Communication ومصطلح « الاتصال الثقافى » Cultural Contact ذلك أن المصطلح الأخير يعنى التفاعل بين أعضاء جماعتين لكل منهما ثقافة متميزة ؛ يؤدى الى تعديلات فى الثقافتين ؛ فى حين أن المصطلح الأول الذى يعنينا فى هذا الكتاب الذى نقدم له اليوم وهو « الإعلام الثقافى » يرتبط بمفهوم الاتصال Communication الذى يعنى : انتقال المعلومات أو الأفكار ، أو الاتجاهات ، أو العواطف من شخص أو جماعة أو وسيلة إعلام الى شخص أو جماعة أخرى من خلال الرموز ويوصف الإعلام بأنه ثقافى حينما يكون المضمون الذى يقدمه المرسل مضمونا ثقافيا ، وبذلك يمكن من نقل المعارف وتيسير الأنماط الثقافية ؛ وتقديمها الى الجماهير .

فالإعلام الثقافى إذن هو عملية يتم عن طريقها إرسال رسالة ثقافية معينة ، فى إطار دائرة ، إلى المستقبل ، مع النتائج المترتبة على ذلك . ويتضمن الإعلام الثقافى بالضرورة فكرة « التفاعل » حيث يتحول المرسل إلى مستقبل ، والعكس صحيح أيضا .

وإذا كان الاتصال هو نقل المعانى عن طريق الرموز ، فإن الإعلام الثقافى هو نقل المضمون الثقافى عن طريق الرموز فى وسائل الإعلام ؛ فالفكرة الرئيسية إذن فى الإعلام الثقافى هى الاشتراك فى الإطار الثقافى الذى يتضمن جوانب الثقافة وما يعيه منها أعضاء المجتمع ؛ على النحو الذى يجعلنا ننادى بتأسيس دعائم « علم الإعلام الثقافى » فى مقابل « علم الثقافة » Culturology ؛ مفيدا منه ومن نتائج دراساته ؛ فى الوقت الذى يرتكز على علوم الاتصال ونظرياته .

ويركز علم الثقافة على التعريف الكلاسيكى الشهير الذى قدمه تايلور للثقافة . إذ تصبح الثقافة فى ضوء هذا الفهم شيئا قائما بذاته ، أى أنها تمثل انتظام مجموعة من الأحداث والعناصر الرمزية كاللغة والعادات والمعتقدات ، والأدوات . ويؤكد العلماء أن دراسة الثقافة أصبحت تمثل ميدانا مستقلا ، خلال المائة سنة الأخيرة ، مما يجعل لها أهمية خاصة ، ومما يجعل لدعوتنا إلى تشييد دعائم « علم الإعلام الثقافى » أهمية أخص .

من أجل ذلك تحمست لتقديم هذا الكتاب وسلفه ، لأنهما يدوران فى إطار « علم الإعلام الثقافى » الذى أنادى من أجله منذ زمن ليس بالقصير ؛ بهدف دراسة الثقافة من الوجهة الإعلامية والاتصالية ؛ من حيث أهمية التوصيل الثقافى فى المجتمع ومن حيث

وظائف الإعلام الثقافى فيه ؛ ومن حيث نشأته وتطوره وعلاقاته مع النظم الاجتماعية ، وغير ذلك من الموضوعات المشتركة بين الإعلام والثقافة .

وتأسيسا على فهم التحليل الوظيفى الذى نصدر عنه فى دراساتنا الإعلامية ؛ يمكن أن نقول إن للإعلام الثقافى من الوظائف ما يجعله على درجة من الأهمية عند التخطيط لمضمون وسائل الإعلام فى بلادنا مسموعة أو مرئية أو مقروءة ، وهى اهمية تتفوق على أهمية الترفيه أو استهواء غرائز الجماهير . فى مقدمة هذه الوظائف : **الوظيفة الروحية** ؛ حيث يسعى الإعلام الثقافى الى رأب الصدع فى المجتمع المعاصر الذى تطغى فيه المنافع المادية على حياة الناس ؛ وذلك حينما يسعى **الإعلام الثقافى** إلى إشاعة القيم الجمالية بين الجماهير ، وهنا تصبح الفنون فى إطار الإعلام الثقافى بالراديو أو التليفزيون أو الصحافة وسيلة من وسائل التطهير النفسى ؛ ومواجهة الأزمات النفسية التى يعانى منها الإنسان المعاصر .

والوظيفة الثانية للإعلام الثقافى ، وظيفة اجتماعية ؛ أو كما يذهب دوركايم وجروس بالقياس الى الفن ؛ أنه يخلق من مشاهديه والمعجبين به وحدة اجتماعية متماسكة فهو وسيلة لخلق التضامن بين الناس فى الهيئات والمجتمعات . فالحفلات الفنية التى يقيمها أعضاء هيئة اجتماعية توحد فيما بينهم وتولد روحاً مشتركة قوية يعجز العمل المشترك اليومى عن خلقها . وكذلك تستطيع وسائل الإعلام عن طريق ما تقدمه من فنون ومواد ثقافية ؛ ومن بين هذه الفنون مثلا ؛ نجد أن الموسيقى توجد بين الناس فى المجتمعات الراقية ؛ وهى أوثق ارتباطا بالفن الإذاعى الذى تعالجه مؤلفة هذا الكتاب ؛ لتوصله الى الأذن ؛ فالموسيقى فن سمعى ؛ يتضح أثره فيما يحفظه « كل طفل وكل امرأة وكل رجل وكل شيخ فى المجتمع متمثلا فى النشيد القومى الذى يثير فى نفوس الناس معنى الوجود الكلى ويقوى فيهم الروح الجمعية والشعور الوطنى » على حد تعبير عالم الاجتماع الراحل د . عبد العزيز عزت ، ووسائل الإعلام وسائل ديمقراطية ؛ والموسيقى فن ديمقراطى لم يتقدم إلا فى العهود الديمقراطية التى أقرت حقوق الإنسان واعتمدت على حاسة الأذن - التى يتوصل اليها الفن الإذاعى - والتى يسميها الفنانون الحاسة الشعبية الديمقراطية لأنها ليست بحاجة إلى تعمق فى فهم الأصول الفنية لإدراك معانيها البعيدة ؛ فالأذن حاسة شاعرة تدرك عن الطريق المباشر بوقع الصوت على أعضائها بينما العين تدرك عن الطريق غير المباشر بتحليل ومقارنة الرسوم والألوان بعضها ببعض .

وللإعلام الثقافى كذلك وظيفة تربوية : فهو من جهة « رياضة عقلية » تهذب ملكات النفس ، حتى تدرك النسب الجميلة فى الأشياء والإعلام الثقافى يقدم المعارف والعلوم ويبسطها ويحقق التقارب بين أصحاب التخصص فى مجالات الثقافة : العلمية والأدبية والفنية ؛ ويسهم فى تربية الوجدان الأخلاقى ؛ فالفن الإذاعى مثلا كثيرا ما يقدم تمثيليات تحث الناس على الفضيلة ؛ وكثير مما يقدمه الفن الإذاعى يتغيا أغراضا تربوية ، مما يؤكد لنا أن الإعلام الثقافى فن اتصالى فَعال من الناحية التربوية فيما يسمى حياة العقل والوجدان والأخلاق .

وللإعلام الثقافى وظيفة علمية فيما يقدمه من تبسيط للعلوم ومن مواد علمية تكسب العقل أسلوبا معاصرا فى التفكير العلمى .

كما أن للإعلام الثقافى وظيفة أدبية ، من حيث الارتفاع المستمر بمستويات التذوق الأدبى لفنون الأدب المختلفة .

ولا نُغفل الوظيفة الإعلامية للإعلام الثقافى وهى المرتبطة باسمه كمصطلح جديد ؛ وهى وظيفة مشتقة من أهمية الإعلام فى المجتمع الحديث . حيث يرتكز على مخاطبة عقول الجماهير ووجداناتهم ؛ الأمر الذى يجعل أثره واضحا فى تكوين اتجاهات الرأى العام .

وإذا كان الفن الإذاعى ـ كما يقول حكيم الأدب العربى توفيق الحكيم رحمه الله ـ « وعاء متحركا للفن والأدب » فإن الإذاعة ـ كما يقول ـ تتخذ من الصوتيات لغتها التى تسيطر بها على سامعيها . وهنا يحدث التمييز بين التليفزيون ـ كإذاعة مرئية ـ وبين الراديو ـ كإذاعة مسموعة . وهذا التمييز لا يحول دون الاتفاق فى الطبيعة « فكلاهما ـ كما يقول الحكيم ـ يدرك صنعته المتحركة ، وما تقتضيه من تبسيط يغنى العقل عن المراجعة ! فالإذاعة تدرك أنها صيحة عابرة ، لا تقف حتى يسمعها من ذهل أو يفهمها من جهل ! .. كما تدرك مع السينما جانب الصناعة فيها ، وما تستوجبه من مراعاة المستوى الشائع لجمهور المستمعين ! .. هذا الجانب الصناعى ـ فى الإذاعة والسينما والصحافة ـ له أثره واعتباره فى نوع الإنتاج والأهداف ! .. فتلك أدوات لا تقوم إلا على نظام المؤسسات أى على نظام جماعى يعامل جماعات .. فهى كلها إذن لا تستطيع أن ترضى جماعة دون جماعة ، أو توافق ذوقا دون ذوق .. وهى دائما تضع فى حسابها حل هذه المشكلة : ارضاء ذوق الأغلبية الغالبة ! » من أجل ذلك اختارت د . سهير جاد « البرامج الثقافية فى الفن الإذاعى » موضوعا لكتابها هذا ، وهو مع كتابها عن « البرامج

التليفزيونية والإعلام الثقافى » يمثل خطوة جادة على طريق تشييد دعائم « علم الإعلام الثقافى » الذى نتصور أنه سيكون سيد علوم الإعلام فى السنوات القليلة القادمة ؛ وأشكر للمؤلفة هذا الجهد الكبير ؛ وأتمنى أن تواصل مع زملائها من المتخصصين فى الدراسات الإعلامية تقديم المزيد .

مقدمة المؤلفة

لا شك أن الإذاعة المسموعة بما لها من خصائص وإمكانات من أهم وسائل الاتصال الجماهيرى فى العصر الحاضر وأكثرها نفاذا الى البنية الاجتماعية والثقافية والأخلاقية للمجتمع ، وأن مصر وهى تمر الأن بمرحلة تتزايد فيها سرعة التغيير الاجتماعى المصاحب للتطور الاقتصادى والسياسى والحضارى تحتاج الى دراسات متعددة حول هذه الوسيلة التثقيفية الهامة فى المجتمع حيث تقوم الإذاعة بدور هام فى التطبيع والتنشئة الاجتماعية (١) . فهى تسعى لتكامل المجتمع بتنمية الاتفاق العام أو وحدة الفكر بين أفراده وجماعاته ، وتقوم بتثبيت القيم والمبادىء والاتجاهات والعمل على صيانتها والمحافظة عليها بتوسيع مجال الحديث والمشاركة والمناقشة بترويج المفاهيم الجديدة المتعلقة بالنواحى الثقافية بطريقة التبسيط والتفسير .

وخلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة تمت على المستويين الدولى والعربى مجموعة من الاجتماعات للبحث فى طبيعة وسائل الاتصال الجماهيرى وآثارها ، ومن بينها الإذاعة ، ولكن هذه الاجتماعات إما أنها كانت شاملة تبحث الإطار العام للإذاعة المسموعة ، واما أنها تناولت تأثيرها ودورها فى التعليم والتنمية الريفية والتثقيف العمالى ومحو الأمية وغير ذلك ، ولكن هذه الدراسات والاجتماعات لم تسلط الضوء بالقدر الكافى على آثار الإذاعة فى المجال الثقافى والأخلاقى الذى يعتبر من أخطر مجالات التأثير فى الحياة الإنسانية(٢) .

---

(١) د . جيهان رشتى : تأثير وسائل الإعلام الالكترونية على حياة الأسرة فى المجتمع الجديد « مجلة الاذاعات العربية ـ ديسمبر ١٩٧٥ .

(٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : حلقة الاذاعة المرئية ـ طرابلس ٢٣ ـ ١٩٧٢/٩/٣٠ .

والإذاعة بما لها من خصائص - تقوم بتزويد الجماهير بزاد ثقافى وفنى واجتماعى وتشترك بصورة واضحة فى تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع عن طريق تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها ، وفى تغيير العادات السلوكية وتعديل القيم الأخلاقية من خلال تقديم القدوة والأنماط الإنسانية وفى تكوين الذوق الفنى والحضارى من خلال الاختيار والمفاضلة . وهكذا تصبح الإذاعة فى البلاد التى تستخدمها من أكثر أدوات التثقيف فعالية وأبعدها أثرا[١] .

ومن ذلك تتضح اهمية دراسة الإذاعة المسموعة فى مصر ، ودراسة وظيفتها الثقافية بخاصة فى عصر يمتاز بأنه عصر التواصل الفكرى والثقافى حيث أصبحت وسائل الإعلام تشكل المعلومات فى أنماط وأشكال ذاتية لها معنى ، ونظرا لأن هذه الوسائل أصبحت تحيط بنا فى كل مكان ، نجد أنها خلقت تآلفا ثقافيا أكبر ، ووسعت نطاق تجاربنا الثقافية ، وزدات رصيدنا من المعلومات والأفكار ، وأثرت على ارائنا واتجاهاتنا وخصائص شخصيتنا[٢] .

وتأسيسا على هذا الفهم ، اختارت المؤلفة : « البرامج الثقافية فى الإذاعة المسموعة » موضوعها لهذا البحث ، لما للإذاعة المسموعة فى المجال الثقافى من آثار إيجابية ، ولأن « البلاد العربية - وهى تمر الآن بمرحلة تتزايد فيها سرعة التغيير الاجتماعي المصاحب للتطور الاقتصادى والسياسى والحضارى - تحتاج الى دراسات متعددة حول الإذاعة ، حتى يمكن الاستفادة بطاقاتها التأثيرية المتزايدة مع انتشارها السريع فى عملية التنمية الشاملة للمجتمعات العربية[٣] . خاصة وأن الإذاعة فى مصر وفى غالبية الدول العربية تشرف عليها الدولة مما يتيح فرصة التخطيط المتكامل[٤] .

وكان من الطبيعى أن يتحدد موضوع البحث بدراسة البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب ، من حيث اعتبار كل من الاذاعتين ذات شخصية مستقلة تفرض طابعها على البرامج الثقافية المقدمة من كل منها ، فى إطار من الوحدة والتنوع .

اقتضى المنهج العلمى فى هذه الدراسة أن تقسم الى ثلاثة أبواب ، بتناول الباب الأول بفصوله الثلاثة : « مشكلة البحث - البرامج الثقافية ماهيتها ومعاييرها الإذاعية » وحدد المدخل بمشكلة البحث فى محاولة الإجابة على عدد من الأسئلة أهمها :

١ - هل تعمل الإذاعة على توفير خلفية ترفيهية فقط ؟

---

(١) المرجع نفسه ، ص

(٢) جيهان رشتى : المرجع السابق ص ٤١ .

(٣) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المرجع السابق ص هـ

(٤) المرجع نفسه ، ص هـ

٢ ـ أم أن فى مقدورها أن تقدم الثقافة فى شكل مستساغ لجمهورها على اختلاف نوعياته ؟

٣ ـ هل تساهم الإذاعة المسموعة فى مصر فى تقديم زاد ثقافى وفنى يشارك فى تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع فى إطار من مفهومى « الوحدة » و« التنوع » ؟

٤ ـ ما هى العقبات التى تعوق الإذاعة عن أداء وظيفتها التثقيفية ؟ وكيف يمكن التغلب عليها ؟

٥ ـ ما هى الخصائص التى تميز الإذاعة المسموعة كوسيلة تثقيفية ؟

٦ ـ ما هى طبيعة « البرامج الثقافية » بعامة وفى إذاعتى : صوت العرب والبرنامج العام بخاصة ؟

٧ ـ هل تقوم البرامج الثقافية فى « صوت العرب » بوظيفة مختلفة عنها فى البرنامج العام أم أنهما متكاملتان ؟

٨ ـ ما هى علاقة الإذاعة المسموعة بوسائل الاتصال الأخرى من حيث الوظيفة الثقافية :

التليفزيون ـ الصحافة ـ المسرح ـ السينما ؟

٩ ـ ما المقصود بالبرامج الثقافية فى هذا السياق ؟ وما مقومات الثقافة العربية المعاصرة ، وما أهم سماتها ؟

وفى ضوء هذا الفهم تناول الفصل بالدراسة : « الإذاعة المسموعة ومشكلة الثقافة » ، ماهية البرامج الثقافية » من خلال دراسة معنى الثقافة ـ الإذاعة والانتشار الثقافى ، تمهيدا لمحاولة تحديد تعريف للبرامج الثقافية ، أما الفصل الثانى فقد تناول بالدراسة « المعايير الإذاعية للبرامج الثقافية » سعيا لتحديد معايير دراسة هذه البرامج فى صوت العرب والبرنامج العام .

وفى الباب الثانى ، قامت المؤلفة بدراسة البرامج الثقافية فى إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، فخصصت الفصل الثالث لدراسة البرامج الثقافية فى البرنامج العام ـ تطورها وأهدافها ، وارتباطها ، بالقيم العلمية والفنية وأخلاقيات الإذاعة ، كما درست الموضوعات التى تقدمها هذه البرامج الثقافية فى البرنامج العام .

أما الفصل الرابع ، فقد عنى بدراسة البرامج الثقافية فى صوت العرب ، فتناول البرامج الثقافية ـ الأحاديث والندوات ـ القصة والشعر ـ المسرح والسينما والموسيقى ـ الكتاب والمجلات والرسائل الجامعية .

وفى الفصل الخامس ، قامت المؤلفة بدراسة « اللغة المشتركة فى البرامج الثقافية التى تقدمها إذاعتا البرنامج العام وصوت العرب ، وخصص الباب الأخير لدراسة « البرامج الثقافية بين الأدب والفنون والعلوم » على اعتبار أن هذه الدوائر الثلاث هى التى تدور فيها البرامج الثقافية ، فخصص الفصل السادس لدراسة التكامل بين الإذاعة وأجهزة الثقافة من خلال تقديمها للفنون ـ المسرح والسينما والفنون التشكيلية ودورها فى تنمية الوعى القرائى ، وخصص الفصل السابع لدراسة الأدب فى البرامج الثقافية ، من خلال دراسة الأدب الإذاعى والقصة والشعر والأدب الدرامى فى البرنامج العام وصوت العرب .

أما الفصل الأخير فقد خصص لدراسة تبسيط العلوم فى البرامج الثقافية ومن خلال هذه الدراسة فقد تبين أن الإذاعة المسموعة أدخلت تعديلات جوهرية على طريقة تلقى الأعمال الفنية والثقافية الأخرى من خلالها ، مثل المسرح والموسيقى والسينما ، وهكذا أدخلت تعديلا أساسيا على التذوق الجمالى والفنى فى حياة الإنسان المعاصر ، بل تعدت ذلك إلى استحداث أنواع وأشكال فنية لها صفات خاصة من حيث استخدام اللغة والبناء الدرامى وغير ذلك من العناصر الفنية ثم قدمت المؤلفة منهج البحث ونتائج تحليل المضمون وما أسفر عنه البحث من توصيات ولا يسع الباحثة ، وقد انتهت من هذا الجهد المتواضع الا أن تسجل خالص التقدير لكل من تفضل بمعاونتها وتوجيهها فى هذا العمل العلمى ، وتخص بالذكر أستاذتها الدكتورة جيهان رشتى وأستاذها د . عبد الحميد يونس ود . عبد العزيز شرف والمسئولين عن هيئة الكتاب واذ تسجل المؤلفة محاولاتها فى التزام الحيدة العلمية فإنها تحمد الله على العون والتوفيق .

مدخـــل

تحاول المؤلفة فى هذا المدخل ، أن تحدد مشكلة البحث ، حول البرامج الثقافية فى الإذاعة المسموعة ، والدراسة المقارنة بين البرنامج العام وصوت العرب كما تحاول أن تبين أهمية هذه المشكلة ، فى ضوء البحوث والـدراسات السـابقة ، ثم تطـرح خمسة افتراضات أساسية يقوم عليها البحث ، فى محاولة لمناقشتها من خلال أسلوب تحليل المضمون ، كمنهج اختارته الباحثة فى هذه الرسالة .

أولا : مشكلة البحث :

ليس هذا البحث محاولة لاختيار قضايا نظرية ، بقدر ما هو إستجابة لدور البحوث فى تطوير الأوضاع الثقافية فى مصر والبلاد العربية ، تأسيسا عـلى أن عمليات البنـاء الثقافى فى المجتمع يجب ألا تقتصر على المناهج الدرامية وبرامج التعليم وإنما ينبغى أن تتعداها الى استخدام وسائل الاتصال الجماهيرى استخداما واسعا ومجديا .

وقد أجريت عدة تجارب معملية لدراسة قوة تأثير كل من وسائل الإعلام المختلفة ، كما أجريت دراسات أخرى عملية فى المجتمع لمقارنة هذه الوسائل وقياس قوة تأثير كل منها فى الجمهور . وكانت معظم هذه التجارب منصبة على قياس قوة التذكر لدى الأفراد بعد التعرض لكل وسيلة من وسائل الاعلام وقد اتضح أن وسائـل الاعلام السمعيـة كالإذاعة تساعد على تذكر المواد البسيطة القصيرة . أما المواد الطويلة المعقدة فتلائمها الوسائل البصرية كالصحافة والكتاب[1] .

---

(١) ابراهيم امام : العلاقات العامة والمجتمع (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧) ، ص ١٩٨ .

وتأسيسا على هذا الفهم يذهب بعض الدارسين الى أن الإذاعة تتناسب مع التنظيمات اللغوية السهلة والعبارات البسيطة القصيرة . وأن الإذاعة تناسب قليلى الحظ من الثقافة ، بل والأميين أنفسهم . ولما كان عنصر التعبير عن الشخصية متوافرا فى الصوت الإذاعى النابض بالحياة ، فإنه من الطبيعى أن تتفوق الإذاعة على الصحافة فى هذه الناحية . ومن نتائج ذلك أيضا أن الإذاعة من أصلح الوسائل للاستهواء والايحاء الذى يمكن أن يكون ذا أثر فعال فى تقديم الثقافة لمستمعى الإذاعة .

ولعله من أجل ذلك يذهب بعض الدارسين [1] الى أن الإذاعة قد أصبحت اليوم « أقوى جهاز تملكه الإنسانية لنشر الثقافة والفن وتوجيه الشعوب » فنحن قد نجد الآن فى العالم العربى قرية ليس بها مدرسة أو مكتبة أو لا تصلها الصحف والمجلات فضلا عن الكتب ، وليس بها مسرح أو دار للسينما ، ولكنا نشك فى وجود قرية ليس بها جهاز للراديو » . ويزيد الراديو انتشارا وتأثيرا فى العالم العربى ما تركه التخلف من « أمية وفساد فى مناهج التربية والتعليم وأهدافها » ويزيد من أهمية الراديو وشدة إقبال الإنسان المعاصر عليه أنه يمثل أقل الجهود فى تحصيل الثقافة هو والسينما والمسرح إذا قيست هذه الأجهزة بالقراءة التى تتطلب مجهودا عقليا وعصبيا لا يتطلبه الراديو .

ومن ذلك يتضح أن الراديو قد أصبح من أكثر أجهزة الثقافة انتشاراً وقوة وإقبالا من الناس ، ولعله من أجل ذلك يتضح أيضا ، أن مشكلة هذا البحث تتلخص فى دراسة قدرة هذا الجهاز على تثقيف الجماهير واعدادهم للحياة الحقة ، من خلال المضمون الذى تقدمه البرامج الثقافية فى الإذاعة .

وقد حرصت السياسة الثقافية فى مصر على تأكيد هذا المعنى [2] حيث تمت إعادة النظر فى توزيع الخدمات على القنوات الإذاعية وفقا لأهدافها وتعديل بعض أوقات الإرسال الى بعض المناطق وأجريت التعديلات اللازمة اعتبارا من ١٩٧٧/١١/٥ . وبدأت من دورة - إبريل - الإذاعية زيادة كثافة المواد الثقافية فى كافة الخدمات ، فضلا عن الدور الثقافى للبرنامج الثانى بهدف ربط المستمع العربى بتراثه الثقافى .

كما تم وضع خطة خمسية ١٩٨٢/٧٨ تضم جميع المشروعات اللازمة لتقوية الإرسال الإذاعى تبلغ تكاليفها التقديرية ٤٣٥ر٤٠ مليون جنيه مصرى ، كما تستخدم الموجة المتوسطة بالنسبة لإذاعة البرنامج العام فى جميع الأماكن المأهولة بمصر ، ويتم ذلك هندسيا بصفة دائمة كسياسة عامة .

---

(١) محمد مندور : الثقافة واجهزتها ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٢) ، ص ٢١ .
(٢) المؤتمر العام للثقافة والإعلام - القاهرة ٢٢ - ١٩٧٨/٣/٢٧ .

ومن ذلك يتضح أن السياسة الثقافية فى مصر ، تنظر للإذاعة على اعتبار أنها وسيلة أساسية ، يمكن أن تصل الى جميع السكان بسهولة ، وتستطيع أن تصل الى جماعات خاصة مثل الأطفال وكبار السن ، والأقل تعليما والمتعلمين ، وغيرهم من الجماعات المختلفة التى قد يصعب الوصول اليها بوسائل الإعلام الأخرى(٣) . فضلا عن أن الرسالة المذاعة قد تكون ثقافيا - أكثر فاعلية من الرسالة التى تنقل الاتصال المواجهى لانه يمكن تقويتها بواسطة الموسيقى والتأثيرات الخاصة التى تترك انطباعا قويا .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن مشكلة البحث تتلخص فى عدد من التساؤلات أهمها :

١ - هل تعمل الإذاعة المسموعة على توفير خلفية ترفيهية فقط ؟ أم أن فى مقدورها أن تبسط الثقافة وتقدمها فى شكل مستساغ لجمهورها على اختلاف نوعياته ؟

٢ - ما هى العقبات التى تعوق الإذاعة عن أداء وظيفتها التثقيفية ، وكيف يمكن التغلب عليها ؟

٣ - ما هى الخصائص التى تميز الإذاعة المسموعة كوسيلة تثقيفية ؟

٤ - ما هى طبيعة البرامج الثقافية بوجه عام - وفى إذاعتى :البرنامج العام وصوت العرب بوجه خاص ؟

ثانيا : أهمية المشكلة :

ومما تقدم يتضح أن هذا البحث يهدف بصفة أساسية إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات حول الدور الذى تقوم به الإذاعة المسموعة تجاه الثقافة العربية المعاصرة وكيفية قيامها بهذا الدور ، وما هو المضمون الذى تنقله البرامج الثقافية وما هى خصائصها الفنية ، من خلال دراسة هذه البرامج فى إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب خلال الدورة الإذاعية أبريل - يونية ١٩٧٨ .

فلقد أنشىء البرنامج العام فى مصر سنة ١٩٣٤ ، وظلت البرامج الثقافية حتى عام ١٩٦٢ ، تشمل : الأحاديث والندوات والقراءات الأدبية والبرامج الثقافية فى قالب منوعات والتمثيليات والبرامج الخاصة ، كما كانت تشمل ، البرامج الدينية .. ولم تلبث البرامج الثقافية فى البرنامج العام أن استقرت على التقسيم الحالى لموادها على النحو الآتى : -

البرامج الثقافية العامة - الأحاديث والندوات - القصة - الشعر - المجلات العالمية والعربية - العلوم - المسابقات - البرامج الخاصة . .

---

٣) جيهان رشتى : الاسس العلمية لنظريات الاعلام ، (القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٧٥) ، ص ٣٤٣ .

وفى عام ١٩٥٣ رؤى توجيه برنامج الى الجماهير العربية فى جميع أجزاء العالم العربى ، فبدأت إذاعة « صوت العرب » إرسالها فى الساعة السادسة من مساء يوم السبت الرابع من يوليو ١٩٥٣ ، وقد استمر الارسال لمدة نصف ساعة ، ولم تمض ثلاثة أشهر حتى أصبح الإرسال ساعة فى كل يوم . وفى يناير ١٩٥٤ ألغى البرنامج الثانى وحل مكانه « صوت العرب » بارسال يومى مدته ساعتان وارتفع هذا الإرسال فى يوليو ١٩٥٤ الى سبع ساعات كل يوم إلى أن وصل ٢٢ ساعة وربع يوميا . ومنذ إنشاء هاتين الإذاعتين الكبيرتين لم تجر بحوث تستهدف التعرف على مدى تحقيق كل منهما للأغراض الثقافية بخاصة ، رغم أهمية مثل هذه البحوث لا لهذه الإذاعة أو تلك فحسب ، وإنما لتحديد الشخصية الإذاعية لكل إذاعة ، فهل صوت العرب مجرد تكرار للبرنامج العام ؟ أم أن لكل إذاعة شخصية متميزة تفرض نفسها على الطابع الثقافى بحيث تتكامل الإذاعتان فى تحقيق الوحدة والتنوع مثلا ؟

إن بحوث المستمعين التى أجريت خلال عام ١٩٧٧ أسفرت عن أن الجمهور يريد إعادة النظر فى محطات إذاعاتنا التى يبلغ عددها ١٢ محطة إذاعية والعمل على تخفيض هذا العدد حتى يكون الكم على حساب الكيف فى المواد الإذاعية ، وطالب الجمهور بإلغاء البرامج المكررة بالمحطات الإذاعية ، ومن ذلك يتضح ضرورة إجراء بحوث تعنى بمضمون البرامج الثقافية ، بهدف تحديد :

أ ـ العنصر التثقيفى الذى سيميز البرنامج الثقافى عن غيره من البرامج الإذاعية فى الإذاعة الواحدة ، وعن مثيله فى الإذاعات الأخرى .

ب ـ التجديد ، أو البعد الجديد الذى سيضيفه البرنامج الى ميدان الثقافة بإزاء أجهزة الإعلام الأخرى : وكذلك يفترض البحث بداءا ، أن إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ينبغى أن تكون لكل منهما شخصيتها المتميزة وطابعها الثقافى المتميز ، من حيث الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية فلقد عرفت الثقافة العربية فى عصورها السابقة ألوانا من التنوع ، ترتد فى المقام الأول الى عاملين : أولهما أن الثقافة العربية أمتدت فشملت رقعة واسعة جدا من الأرض ، تنوعت فيها أنماط المعيشة وتفوت فيها درجات التحضر . وثانيهما ، أن الثقافة العربية كانت متفتحة على الثقافات السابقة عليها والمعاصرة لها . فاستقبلت تيارات فكرية متعددة جاءت إليها من المشرق والمغرب ، فضلا عن حصيلة ضخمة من التراث السابق كانت تعيش فى البيئات نفسها وتتفاعل وثقافتها الجديدة .

ومع هذا ، فقد ظل للثقافة العربية فى مختلف مجالات الإنتاج ، طابع مميز ، جعل لها شخصية مستقلة حين تقارن بثقافات الأمم الأخرى فى العصور القديمة والمتوسطة

والدارسون المحدثون مهما أختلفت أحكامهم على الحضارة العربية ، يعترفون بهذا التنوع من التميز والاستقلال ويجد فيه ورثة الثقافة العربية مصدرا من مصادر الخصب ووفرة العطاء . والأمر فى العصر الحاضر لا يختلف كثيرا فى هذه الناحية عنه فى العصور لسابقة ، فلا تزال الأمة العربية تشغل الرقعة الواسعة من الأرض ، ولا تزال تتلقى فيه حضاريا من كل جانب .

وإنما يجىء الخلاف بين العصور القديمة والحديثة فى أن العصر الحاضر قد استحدث فى مجال الثقافة مفاهيم جديدة أهمها الربط بين الثقافة والمجتمع وتأكيدها للدور الايجابى أو القيادى للثقافة فى حياة الجماهير وكذلك مكن العصر لأنواع من التعبير الأدبى والفنى أن تحتل مكانا لم تكن تحتله من قبل كالقصة والمسرحية واستحدث أشكالا إذاعية تقدم فيها هذه الأنواع وهى بطبيعتها تخاطب جمهورا أكثر عدداً وأكثر تنوعا من جمهور الكتاب قديما ، وفوق ذلك كله فإن فكرة القومية قد اتخذت لها فى الوطن العربى أبعادا جديدة ، وأصبحت محورا يدور حوله نشاط أبناء الأمة العربية على جميع مستوياتهم ، ومنفذا لتعبئة طاقات الأمة العربية كلها فى مختلف ميادين الحياة العامة .

ومن هنا انتقلت فكرة التنوع والوحدة الى وضع جديد يختلف عن وضعها فى الماضى ، وأثارت بالنسبة للإذاعة قضايا ومسائل لم تكن تثار من قبل ، فاختلطت أحيانا ، فى نطاق الوحدة والتنوع ، فكرة المحلية بفكرة الإقليمية وتداخلت أحيانا أخرى فكرة القومية مع فكرة الإقليمية ، وظهرت العناية بالآداب الشعبية وقامت الحاجة إلى مخاطبة الجماهير بما يفهمونه ، فوجد مجال للقول فى مسألة الفصحى والعامية ، لا سيما مع انتشار الأمية انتشارا واضحا فى مناطق كثيرة من الوطن العربى .

وكذلك أثارت قضية الأصالة من بعض جوانبها فكرة الطابع المحلى والطابع القومى فيما يتصل بالشكل والمضمون معا . ودار حوار حول منهج الدراسة للتراث العربى على ضوء هذه المفاهيم كلها .

وبذلك أصبح من الضرورى ـ بالنسبة للإذاعات العربية والبرنامج العام وصوت العرب بخاصة ، مواجهة هذه القضايا ومناقشة هذه المسائل فى ضوء البحث العلمى ، ودراسة أنواع التفاعل فى البرامج الثقافية فى الإذاعتين بين ما هو محلى وما هو قومى تمهيدا لاتخاذ أسلوب عملى فى الإذاعتين لاحداث التوازن الثقافى المنشود ، ولتحقيق التواصل الحى المثمر بين المثقفين فى شتى أقطار العالم العربى ، ولتمكين الجماهير فى كل قطرى عربى من أن تظل قادرة على فهم الإنتاج الثقافى لأبناء سائر الأقطار العربية الأخرى والاستفادة منه .

ثالثا : البحوث والدراسات السابقة :

وإذا كانت البحوث التى تتناول البرامج الثقافية فى الإذاعتين قد تأخرت طويلا فإن الدراسات والبحوث والتجارب قد توالت منذ ظهور الراديو ، وقد أفادت الباحثة من الدراسات التى أشير إليها فى مواضع مختلفة ترتبط بسياق البحث .

ذلك أن من الموضوعات التى أثارت اهتمام المتخصصين فى بحوث وسائل الاتصال : الوظائف المختلفة التي تؤديها الإذاعة بالنسبة إلى وسائل الاتصال الجماهيرى الأخرى ، هذا بالإضافة إلى زيادة الاهتمام فى الآونة الأخيرة بدراسة مشكلات التحول الاجتماعى والصراع الثقافى ، وتأثير الإذاعة على حركة انتقال المعلومات فى البلد الواحد وبين مختلف البلاد والأقطار .

وقد نهجت هذه البحوث منهجا علميا قائما على القياس الكمى والتجريب العلمى ولكن هناك أيضا بعض الباحثين الذين اهتموا بالفكر النظرى القائم على الدراسة التاريخية والتأملات الحضارية ، من أجل فهم طبيعة فن الإذاعة وأثرها فى الثقافة ومن أبرز هؤلاء المفكرين فى مصر : الدكتور عبد الحميد يونس الذى عنى بدراسة فن الإذاعة منذ إنشاء الإذاعة الحكومية فى مصر ، ونشر دراساته فى الصحف والمجلات معتبرا الإذاعة أرقى فى دورها من جميع وسائل النقل والاتصال الأخرى التى تقتصر على الأشياء المادية . وقد ضمن نتائج هذه الدراسات فى الجزء الذى نشره فى كتاب « فن الإذاعة » الذى أصدره مركز التربية الأساسية بسرس الليان ١٩٥٨ ، منطلقا فيه من تفسير ولز للتاريخ الإنسانى ومحددا ماهية الثقافة والتراث الثقافى ، من خلال دراسة تأثير الإذاعة فى الجماهير . كما عنى بدراسة الأدب الإذاعى والإذاعة والنفون الجميلة أما دراسته الشهيرة « اللغة الفنية » والتى نشرت حديثا فى « عالم الفكر » فقد ضمنها تأملاته فى الإذاعة وما استحدثته من آثار حاسمة فى عالم الفنون ، ومناهج البلاغة والتقويم ، وأنتهى الى أن الإذاعة من أصلح الأوعية لنشر الثقافة على نطاق واسع ويذهب الى أن الإذاعة كوعاء ثقافى قد بعثت مرة أخرى الفلسفة البلاغية القديمة ، وبخاصة فى أن الفن إنما يستهدف المخاطبين أو المتلقين بالدرجة الأولى ، ويتوقع الدكتور يونس بلاغة جديدة ، تكافىء التقدم المذهل فى العلم والتكنولوجيا ، وهو التقدم الذى « سوف يجعل الكرة الأرضية فى قرية صغيرة ، فى العالم الرحب ، لا يمكن أن يضيق الفكر الإنسانى الخلاق » .

أما الدكتور محمد مندور ، فقد شغل بدارسة الوظيفة الثقافية ضمن دراسته عن « الثقافة وأجهزتها » والتى صدرت سنة ١٩٦٢ عن مركز تنمية المجتمع بسرس الليان أيضا ، وفيها يذهب الدكتور مندور إلى أن « الإذاعة لا تزال أقدر على التأثير فى الجماهير بالكلمة المسموعة من التليفزيون بنفس الكلمة وذلك لأنه كان يخشى دائما أن تشغل الصورة السامع المتلقى عن الكلمة المسموعة ، كما أنه خشى أن تكون الصورة من

عوامل

عوامل الايحاء لمشاهدى التليفزيون بأن جهازه إنما يهدف إلى التسلية والترويح أكثر مما يهدف إلى التثقيف والتوجيه ، وقد صنف الإذاعة فى إطار ما يسميه « الأجهزة الآلية » ولكنه رأى فيها ـ الإذاعة ـ أكثر أجهزة الثقافة انتشارا وقوة واقبالا من الناس ، وقام بدراسة المواد الثقافية التى تقدمها الإذاعة وحصرها فى : مواد ثقافية ، وأخرى أدبية ، وثالثة فنية .

أما الدراسات والبحوث التجريبيه ، فتذكر المؤلفة هنا أن بول لارز سفيلد يعتبر أحد مؤسسى علم الاتصال الجماهيرى الحديث . وقد بدأ تجاربه فى قياس استجابات المستمعين للإذاعة . وقد أنشأ لازر سفيلد مركزاً للبحوث الاجتماعية التطبيقية فى جامعة كولمبيا الأمريكية ، نجح فى اجراء عدد كبير من التجارب العلمية .

وقد عنى الدكتور ابراهيم أبو لغد بدارسة « دور وسائل الاتصال الجمعى فى حياة القرية المصرية » ونشرها فى عام ١٩٦٣ ، وفيها قام بدراسة التعرض لوسائل الاتصال الجمعى والصحافة والإذاعة فى القرى المصرية التى اختارها للدراسة ، وانتهى منها إلى أن الإذاعة تقوم بدور فعال فى نقل الأخبار الى القرويين حتى المتعلمين منهم ولذلك فانه على الأقل ولعدد من السنين ، وبالرغم من ازدياد انتشار التعليم يتعين الاعتماد على الإذاعة فى نقل مادة معينة أو خبر معين .

أما الدكتور لويس كامل مليكة ، فقد قام فى مركز التدريب على تنمية المجتمع بسرس الليان عام ١٩٦٣ ببحث بعنوان : الجماعات والقيادات فى قرية عربية ، عنى فيه بدراسة بناء الاتصال فى قرية عربية ، وفى هذا البحث ذكر ٧٧ ٪ من أفراد العينة أنهم يستمعون إلى الإذاعة ، بينما ذكر ٢١ ٪ أنهم لا يستمعون اليها ، ورفض ٢ ٪ الإجابة عن السؤال .

وفى العقد الأخير ، عنيت البحوث والدراسات فى مصر بالكشف عن آثار البرامج الإذاعية على مشروعات التنمية بصفة عامة ، تذكر الباحثة هنا الدراسة الاستطلاعية التى أجريت فى مصر يناير ١٩٧٠ حول تقييم البرامج التى تقدمها الإذاعة الصوتية الى العمال الصناعيين . وفى ١ نوفمبر ١٩٧٠ صدر بحث آخر يشتمل على نتائج دراسة موسعة لما حققه برنامج مكافحة الأمية بالراديو . وفى ١٩٧٣ صدر بحث آخر حول تقييم برنامج تليفزيونى بالاشتراك مع اليونسكو لتبسيط العلوم ونشرها بين جماهير الشعب ، ومن هذه الدراسات أيضا ما تقوم به إدارة البحوث بعنوان « استطلاع معلومات الجمهور المصرى عن أساسيات العلم والتكنولوجيا » كما قامت وحدة البحوث فى الإذاعة باجراء دراسة علمية لتحليل محتويات البرامج الثقافية فى التليفزيون ما بين ١٩٦٥ وعام ١٩٧٠

ولا تعلم الباحثة عن بحث كهذا بالنسبة للإذاعة المسموعة فى مصر من حيث دراسة المضمون الفنى والمحتوى الثقافى وتشعب الموضوعات ... الخ .

ومما تقدم جميعا يتضح أن مشكلة الثقافة التى تثيرها وسائل الاتصال الجماهيرية والراديو بخاصة ، يمكن أن تتحدد فى السؤال التالى :

هل نستطيع أن نؤسس ثقافة قوية خصبة على الصور والأدوات السمعية ؟

هذا سؤال ألقاه عدة مرات جورج ديهاميل على مثقفى العالم كله ، وفى « الفصل الأول » من هذا البحث تقدم الباحثة الدراسات التى أجريت فى محاولة للاجابة على هذا السؤال ، كما تحاول الفصول الأخرى الإجابة على التساؤلات المطروحة فى هذا المدخل .

رابعا : الافتراضات :

والافتراضات التى يطرحها هذا البحث هى بمثابة إجابات احتمالية للتساؤلات التى أثيرت من خلال الدراسات السابقة التى تناولت الإذاعة المسموعة ومشكلة الثقافة :

١ ــ أن البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب تحقق التكامل بين المحلية والقومية .

٢ ــ نسبة البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب أقل بالمقارنة إلى البرامج الترفيهية والبرامج الإعلامية والسياسية .

٣ ــ أن البرامج الثقافية فى الإذاعة تتكامل مع وسائل الثقافة والفنون وتروج لها مثل : الصحافة ـ الكتاب ـ المسرح ـ السينما ـ الموسيقى ـ الفنون التشكيلية ، من خلال برامج تخصص لهذا الغرض .

٤ ــ أن اللغة فى البرامج الثقافية فى صوت العرب هى العربية الفصحى المشتركة فى حين تترسل فى البرنامج العام بالعامية أحيانا .

٥ ــ أن البرامج الثقافية تقابل مختلف الأذواق والميول والتخصصات .

(أ) بسبب تنوع برامجها وموضوعاتها وجمعها بين ألوان مختلفة من المعارف الإنسانية .

(ب) بسبب استخدام الأشكال الإذاعية المختلفة فى تقديم الثقافة للمستمع فى شكل جذاب .

(جـ) بسبب سعيها للتقريب بين أصحاب الثقافتين : العامية والأدبية من خلال تقديم برامج أدبية فى الشعر والقصة مثلا وبرامج فى تبسيط العلوم الطبيعية والإنسانية . وللأدب الصدارة فى هذا المجال .

خامسا : منهج البحث :

يستخدم هذا البحث أسلوب تحليل المضمون ، على إعتبار أن المضمون يحتل موضعا رئيسيا فى عملية التثقيف ، ويعنى مضمون الثقافة مجموعة من المعانى التى يعبر عنها بالرموز - اللفظية والموسيقية أو المؤثرات الصوتيـة فى الإذاعة المسمـوعة ، والتى من شأنها أن تنشىء الاتصال ذاته من خلال الراديو . ويقصد بأسلوب تحليـل المضمون الأسلوب الذى يتغيا الوصف الموضوعى النظم والكمى للمضمون الظاهر لموضـوعات الاتصال .

فتحليـل المضمون إذن أسلـوب علمى يستخدم لـوصف مختلف أوجه مضمـون الاتصال بأسلوب مختصر بل وللتنبؤ بعدد من الوقائع أو الأحداث من خلال البـرامج الثقافية فى الإذاعة المسموعة ، كما يحاول هذا الأسلوب أن يجيب على التساؤلات التى طرحتها افتراضات هذا البحث .

وقد عنيت المؤلفة بتحديد فئات التحليل للبرامج الثقافية ، بهدف تحليل مضمون البرامج الثقافيه التى قـدمتها اذاعتـا البرنـامج العـام وصوت العـرب خلال الـدورة الإذاعية : أبريل يونية ١٩٧٨ ، وتحديد نسبة ما يقدم من كل فئة من فئات البرامـج الثقافية إلى المجموع الكلى لارسال هذه البرامج ، ومناقشة الافتراضات التى طرحت فيما تقدم .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن فئة موضوع الاتصال تضم :

١ ـــ الثقافة العامية .

٢ ـــ الثقافة الأدبية .

٣ ـــ الثقافة الفنية .

٤ ـــ الأحاديث والمعارف العامة .

أما فئة المرجع أو المصدر فهى تشير الى المصدر الثقافى الذى استقى منه البرنامج مادته ، وقد تضمنت استمارة التحليل الى جانب هاتين الفئتين فئة خاصة بشكل البرنامج وأخرى بلغة البرنامج .

الفصل الأول

ماهية البرامج الثقافية

نحاول فى هذا الفصل أن نتعرف على ماهية البرامج الثقافية فى الإذاعة المسموعة ، وتأسيسا على أن الثقافة كمضمون لا تنفصل فى يسر عن الوعاء(١) الإذاعى فإن هذا الفصل يحاول أن يتعرف أولا : على الثقافة كمضمون ، وثانيا : على « الوعاء الإذاعى » الذى ينقل هذه الثقافة من خلال « البرامج الثقافية » .

ونبدأ أولا بتحديد ماهية الثقافة ، ثم نتحدث بعد ذلك عن التكامل بين الشكل الإذاعى والمضمون الثقافى فى البرامج الثقافية

أولا : الثقافة كمضمون :

حدث خلاف كبير بين العلماء حول مفهوم لفظ « ثقافة » ولذلك فإن تعريف الثقافة بإزاء البرامج الثقافية الإذاعية ، يقتضى بالضرورة استبعاد عدد كبير من المعانى التى ترتبط عادة بلفظ « الثقافة » . ولا تود الباحثة أن تدخل فى تفاصيل المعانى المتعددة لهذا اللفظ ، الذى يبدو أنه يزداد تعقيدا وغموضا كلما ازداد تداولا بين الناس ، ولكن تكفى الإشارة بوجه عام الى أن لفظ « الثقافة » ظل طوال السنوات الأخيرة يزداد اتساعا بالتدريج (٢)

فالثقافة بالمعنى الذى يستخدمه به علماء الأجتماع المعاصرون ، تكاد تشير الى كل ما تدخلت فاعلية الإنسان فى صنعه ، أى كل ما هو مضاد لنتاج الطبيعة التلقائى : أى أن العلم والأخلاق والتكنولوجيا والفن والدين ثقافة ، وأبسط محاولة من الإنسان لتجاوز مستوى الحياة الطبيعية المباشرة ، ولتعديل ردود أفعاله وتكييفها وفقا للظروف المحيطة به ، تنتمى الى مجال الثقافة ، وبطبيعة الحال فإن هذا المعنى العظيم الاتساع يختلف الى أبعد حد عن المعنى الذى ظل الناس يستخدمون به لفظ الثقافة ردحا طويلا من الزمان : ويعنى به تلك الدرجة الرفيعة من الكمال العقلى الذى تضفيه المعرفة ورهافة الحس على الإنسان فإذا سأل سائل عن المعنى المقصود حين نستخدم الثقافة فى هذا البحث فإن الإجابة ستكون أقرب الى المعنى القديم الضيق للفظ الثقافة ، أى أن البحث لا يتحدث عن الثقافة من حيث هى نتاج لكل فاعلية إنسانية تسعى الى تجاوز الطبيعة ، بل يتحدث عن الثقافة الرفيعة ، ولكن هذه الثقافة المنشودة مشكلة فى حد ذاتها .

فهل يستطيع تيار الحضارة الآلية الحديث ـ كما هو الحال بالنسبة للراديو ـ أن يحل محل التربية التقليدية التى ساعدت على ظهور العبقريات التى أكسبت حياتنا منذ البحث العلمى الى اليوم ذلك النبل وتلك القوة اللذين ننعم بهما الآن ؟ .

وهذا التساؤل يلخص ما نعنيه « بمشكلة الثقافة » فى سياق الحديث عن الراديو كوسيلة ثقافية ، ونعرض هنا لاتجاهين خالصين حول هذه المشكلة :

الاتجاه الأول :

اتجاه متشائم يذهب الى أن ثقافة الجماهير تذيب الفوارق الثقافية الموجودة ، والتى يعتبرها « جورج ديهاميل »[٣] من مقومات الفردية الخالقة Individu alisme تلك الفردية التى يعتبرها روح الخير القوامة على جماعاتنا البشرية ، ويذهب أصحاب هذا الاتجاه الى أن هذه « الفردية الخالقة » تمحى ويحل محلها مذهب « الطابعية » Confor-misme التى يقصد بها أن يكون الناس كلهم على طابع واحد فهى على هذا المعنى ضد الفردية ، كما أنها أى الطابعية تقترن باقتصار ثقافة الجماهير على الترفيه والامتاع لأكبر عدد ممكن من الناس[٤] .

ذلك أن الاستخدام الشائع لاصطلاح « الثقافة الجماهيرية » Culture de masse يشير الى السلع المصنعة فقط من أجل السوق الجماهيرية التى تقدم صورا منطبعة ، والتى يستجيب لها الجمهور بشكل غير نقدى ، وعلى عكس ثقافة « الصفوة » أو الثقافة الرفيعة التى تقدم مضمونا تراعى فيه التقاليد الجمالية ، وتتسم استجابة الجمهور لها على هذا المضمون بالحاسة النقدية ، نجد الثقافة الجماهيرية موصوفة ومكتوبا عليها أن يكون مستواها الثقافى أدنى من مستوى الثقافة الرفيعة . ويقول المفكر ريتشارد

هـوجارت ، إننـا لا يجب أن نهتم بالثقـافة « الجيـد » و « الردىء » داخـل الثقافـة الجماهيرية ويذهب الباحث ماكدونالد إلى أن هناك ثـلاث ثقافـات مختلفة فى المجتمـع الجماهيرى[٥] :

١ ـــ الثقافة الرفيعة أو الراقية .

٢ ـــ الثقافة الجماهيرية .

٣ ـــ الفن الشعبى .

الثقافة الرفيعة او الراقية :

هى الثقافة التى امتدحها دى توكفيل وديهاميل وأضرابهما وهى تشير الى العمل الدءوب الذى تقدمه الموهبة العظيمة والعبقرية وهو العمل الذى يحاول أن يصل الى أقصى درجة أو أعلى درجة من أجل الفن . هذا العمل صنعته الصفوة المثقفة أو تم صنعه تحت إشراف تلك الصفوة الثقافية وأفراد تلك الصفوة هم القمة بين الرجال فى مجالات التعليم والجماليات والتربية .

اما الثقافة الجماهيرية :

فهى تشير الى السلع الثقافية التى تنتج فقط من أجل السوق الجماهيرى وهى سلع متماثلة لأنها تميل الى إرضاء أذواق جمهور غير متنوع . ووفقا لتوكفيل فإن هذه « الثقافة الجماهيرية تجذب ، ولكنها ليست أصيلة تماما لأنها تهدف الى الاستهلاك الجماهيرى وليس الي تحقيق الكمال ومن الأمور التى تميز الثقافة الجماهيرية أنها تجعل الجمهور يهتم بالرموز التى تتناول الأشياء العامة والاهتمامـات البعيدة وأنهـا تعتمد عـلى تلك الأشياء والاهتمامات (مثل القومية المتطرفة ، والحب الشديد للوطن ، أو الوعى الطبقى الماركسى ، أو العنصرية) .

أما الفن الشعبى :

فهو الموهبة الطبيعية عند الشخص العادى الذى ينتمى الى الطبقات الشعبية ، ويتم التعبير عنه بالأغانى الشعبية والرقص الشعبى والرسوم البدائية وما شابه ذلك .

والثقافة الجماهيرية تستمد مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية ولقد كانت ثقافة الصفوة قبل انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية فى القرن التاسع عشر منفصلة تماما عن الثقافة الشعبية ، ولكن الثقافة الجماهيرية التى استمـدت مضمونهـا من ثقافـة الصفوة والثقافة الشعبية أصبحت تختلف تماما عن هاتين الثقافتين . وحطمت الثقافة الجماهيرية الجدار الذى كان يفصل بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية وأدمجت الثقافة الجماهيرية قطاعات الشعب المختلفة ، وقدمت لهم ، كما يقول البعض « ثقافـة رفيعة هابطة » .

ولكن لماذا تعتبر الثقافة الجماهيرية مشكلة ؟

يذهب أصحاب هذا الاتجاه الى أن هذه الثقافة تنطوى على خطرين جسيمين(٦) :

أولهما : الخطر الكامن فى محو الثقافة الشعبية .

ثانيهما : الخطر الكامن فى تهديد الثقافة الرفيعة ، بل وتهديد وجودها ذاته تأسيسا على القول المأثور إن « الثقافة الرديئة تمحو الثقافة الجيدة » .

ويقول الباحث دوايت ماكدونالد إن مستوى الثقافة الجماهيرية قد ارتفع بشكل كبير مع تطور وسائل الإعلام وازدياد قدرتها . ولكن التحسن الذى ظهر هو نفسه إفساد للثقافة العليا « فما من شيء أكثر فجاجة من الثقافة الجماهيرية المتطورة » .

الأتجاه الثانى :

وهناك اتجاه متفائل ، يذهب الى أن الطابع الأساسى لثقافة الجماهير ، هو ما يتسم به هذا الطابع من عالمية ، إذ نجد لأول مرة أعضاء المجتمع جميعا يشتركون فى إطار دلالى موحد Cadre de Reference ونجد كذلك لأول مرة ، رغم عدم انتشار المساواة الاجتماعية أن جميع الأفراد يكتسبون المواطنة الثقافية ، ويذهب أصحاب هذا الاتجاه ، تأسيسا على ذلك ، الى أن ثقافة الجماهير أيا كانت تخرج الكتل الجماهيرية من ظلام الجهل ، ومن حلكة الروتين الذى تعيش فيه من ذى قبل(٧) .

تعريف الثقافة :

ويتضح من هذين الاتجاهين ، الغموض الذى يكتنف مدلول الثقافة وماهيتها ، وهو الغموض الذى حدا بشاعر كبير مثل : ت . س . اليوت T. S. E liot الى أن يخصص كتابا من مؤلفاته لتعريف الثقافة ، ويبلغ به الحذر حدا يجعله يضع عنوان كتابه : « ملاحظات نحو تعريف الثقافة » Notes Towards A Definition of Culture » وهو فى هذا الكتاب لا يحاول أن يقدم حلولا لمشكلات ثقافية قائمة فعلا ، بل يحاول أن يرسم صورة للثقافة الراقية كما يتصورها ويلاحظ اليوت بقلق متزايد تاريخ كلمة « الثقافة » ويذهب الى ضرورة التفرقة بينها وبين كلمة « المدنية أو الحضارة » Civilization ، وهى التفرقة التى نبه اليها الأستاذ العقاد عندما تحدث عن وجه استعمال كلمة الثقافة Cultureفى اللغة العربية ، يقول : « إن كلمة الثقافة بمعنى الحذق والدراية والتهذيب قديمة فى اللغة العربية نجدها فى كل معجم من معجمات اللغة السلفية والعصرية ، مع الشواهد التى تدل عليها من الأحاديث والأمثال والأبيات الشعرية ، ومن معانيها الغالبة (التسوية والتقويم) ولهذا تسمى الأداة التى تقوم الرماح « بالثقاف » وقد وردت فى كلام ابن خلدون بمعنى قريب من معناها الشائع فى العصر الحاضر ، فليست هى من ابتداع الكتاب المعاصرين ، وإنما احتاج الكتاب المعاصرون الى التمييز بين مدلول

الحضارة وكلمة الثقافة ، بهدف التفرقة بين المظاهر المادية التى تقترن بالحواضر الكبرى وعمران الثروة وبين التربية الخلقية والفكرية التى تتمثل فيما تملكه الأمم من ثمرات التهذيب والتثقيف من محصول ثروتها النفسية ، وعند المحدثين من الأخلاقيين والاجتماعيين أن نهضات الأمم تبدأ بالثقافة أو بالعقائد والأمثلة العليا ثم تنتهى إلى العمران المادى الذى يتراءى فى الأشياء المحسوسة وينقص نصيبه رويدا رويدا من المعانى الوجدانية حتى يئول الى الزوال فلا تقوى الأمة على الاحتفاظ بالعمران ولا بالأمثلة العليا ، ولا ترجى لها نهضة أخرى بغير عقيدة متجددة ، تبعثها الى الحركة والطموح(٨) .

وقد سأله سائل عن كلمة (تثقيف) ومعناها الحرفى تجريد العيدان من الزوائد والفضول - وعن وجهة استعارتها ، خاصة وأن الثقافة تحصيل وليست تجريدا وإبعادا ، فكان رده : « أما أن الثقافة تحصيل وليست بتجريد ، فالعبرة بالنتيجة فى كلتا الحالتين ، وقد يكون تجريد هذه الشجرة من الزوائد والنفايات وسيلة لتحصيل التغذية الخالصة بدلا من سريان هذه التغذية الى أجزاء الشجرة التى لا تفيد ، وربما كان تقويم العود كذلك شرطا من شروط التسديد والنفاذ ، ولم يكن مجرد إزالة وتعديل ، ولابد فى كل استعارة من النظر الى الغاية والنتيجة التى يتحقق بها الغرض من العمل كله ، وإلا لم تبق كلمة واحدة من كلمات الاستعارة فى لغتنا أو غيرها ، وأولها كلمة الكلتور باللغات الأجنبية : فأين معناها الأصيل وهو الزراعة .. من معانيها التى تنطوى فيها اليوم ؟ » .

ومن ذلك يبين أن لفظة Culture فى اللغة الفرنسية تعنى حرفيا « الزرع » واللفظ المقابل هو « الثقافة » فهم يرون فى التعليم غرسا للمعرفة فى النفوس ، ونحن نقصد من لفظنا الى تثقيف العقول على نحو ما نثقف السلاح أى نقومه ونشحذه ، ولذلك قال ديهاميل ما ترجمه الدكتور مندور حرفيا بـ « الغرس » يتطلب الجهد ، الجهد بأتم معانيه أى المحراث الذى يشق والفأس التى تحطم والزحافة التى تسوى ، وهو ما يشير الى المعنى الاشتقاقى الفرنسى ، والذى يقابل فى الترجمة العربية وفقا لاشتقاق كلمة الثقافة فى لغتنا العربية : « الثقافة » تتطلب الجهد : الجهد بأتم معانيه « أى النار التى تصهر والمطرقة التى تثقف والمبرد الذى يشحذ » .

وهكذا يشير المعنى الاشتقاقى لكلمة الثقافة إلى الأمتحان والتجربة والعمل . ويربط هذا المعنى بين الثقافة والعمل الإنسانى والخبرة الحية . وهذا هو ما يميز الثقافة عن التعليم .

فالتعليم هو تلقى معلومات منظمة ، بطريقة مخططة لصياغة الفكر وتوجيه الوجدان وتحديد المسلك الأخلاقى على نحو معين ، أما الثقافة فهى ثمرة المعايشة الحية التلقائية فى أغلب الأحيان وهى ثمرة التمرس بالحياة ، والتفاعل مع تجاربها وخبراتها المختلفة ، وقد

يكون التعليم أحد مصادرها . والتعليم كما يقول طه حسين ـ كلمة ضافية كما كان يقول أرسططاليس ، تقبل السعة الى غير حد ، وتقبل الضيق الى غير حد أيضا ، فالذى يتاح له التعليم الأولى ثم يضطر الى الوقوف عنده ولا تتيح له ظروفه أن يتجاوزه الى غيره من درجات التعلم لا يستطيع أن يحب المعرفة إلا بمقدار ، ولا يستطيع أن يتقبلها إلا بمقدار . والناس تختلف حظوظهم من التعلم . فمنهم من يتعلم الكتابة والقراءة وأوليات من المعرفة ، ومنهم من يتجاوز هذا الخط فيتعمق المعرفة شيئا ما ويضيف الى التعليم الأولى ما يسمى بالتعليم الثانوى كله أو بعضه ، ثم يقف عند ما اتيح له من ذلك ، ومنهم من يتجاوز هذا المقدار من الدرس ، فيبلغ التعليم الجامعى ، ويظفر منه بحظ يؤهله لدرجة الليسانس أو البكالريوس ، ثم يضطر الى الوقوف عند ذلك ، ومنهم من يتاح له التعمق فى التعليم ، فيتجاوز هذه الدرجة الجامعية أو ما يعادلها الى درجات أرقى منها ثم تشغله ظروف الحياة عن المضى فى الدرس وتعمق العلم وهكذا[٩]

فالتعلم إذن والتعليم ـ كما يقول طه حسين ـ كلمتان لهما حظهما من المرونة تتسعان أحيانا وتضيقان أحيانا أخرى فليس لسعتهما أو ضيقهما حد . والثقافة كذلك كلمة ضافية مرنة تتسع وتضيق ، وبمقدار ما تختلف حظوظ الناس من المعرفة تختلف حظوظهم من الثقافة فمنهم ذو الثقافة العميقة الواسعة ، ومنهم ذو الثقافة الضيقة الضحلة ، والرجل الذى يتعمق لونا من العلم حتى يحسنه ويأخذ منه بأعظم حظ ممكن ويمرن على أن يحب هذا العلم ويسعى الى التقدم فيه ما وجد الى ذلك سبيلا ، ثم يقصر نفسه على هذا العلم الذى أتقنه ولا يتجاوزه الى غيره من ألوان المعرفة رجل حسن الحظ من العلم ، ولكنه محدود الثقافة فهو عالم بالطب أو عالم بالهندسة أو متقن للرياضة ، أو ما شئت من فروع العلم ، ولكن ثقافته تقف عند هذا الحد فلا يستطيع أن يشارك فى الأدب ذوقا أو إنتاجا أو فى كليهما ، ولا يستطيع أن يتذوق شيئا من ألوان المعرفة غير الفرع الذى تخصص فيه . هذا الرجل عالم متقن لمادته ، ولكن ثقافته ضيقة لأنه لا يستطيع أن يتجاوز هذه المادة التى أتقنها فالثقافة إذن أوسع من التعلم ، وليس كل متعلم مثقفا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .

على أن كلمة الثقافة ، كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود ، هى من تلك الكلمات التى يكون المعنى الواحد « منها كالقصر المسحور ، فيه غرف لا حصر لعددها لا تمتاز منها غرفة على غرفة وكل ما عليك أن تفعله هو أن تتخير الغرفة التى تناسب الساعة المعينة »[١٠] . ومن أجل ذلك يذهب الدكتور زكى نجيب محمود ، الى أن المثقف ـ فى السياق الذى يتناوله ـ هو الشخص الذى يروج للقيم العليا ـ أخلاقية أو جمالية ـ وفى هذا يكون الفرق بين من تخصص فى فرع من العلوم ووقف عند تخصصه ، وبين المثقف ، لأن مجرد التحصيل العلمى ـ كما تقدم ـ لا يدل بذاته على أى الأشياء وأى المواقف يكون

أفضل لحياة الإنسان ، أما المثقف فهو الذى لا ينشر الفكر لمجرد أنه فكر وكفى بل ينشره لأنه فى نظره الفكر الذى ينتج حياة أفضل أو أجمل ، إن « العالم الأكاديمى الذى يحيط علما بالنظريات السياسية أو الاقتصادية مثلا ـ ثم لا يدرى أيها أنسب لجماعة معينة من الناس ، تعيش فى ظروف معينة ، إنما يكون عالما ، ولا يضمن له علمه ذاك أن يكون مثقفا ، لأنه لم يعرف به ترتيب الأوضاع الى ما هو أعلى وما هو أدنى » .

ومن ذلك يتضح أن تعريف الثقافة يتسم بقدر من التعقيد ، لأننا نستخدم الثقافة بدلالات مختلفة ، على أنه فى أغسطس ١٩٤٥ نشر نص مشروع قانون أساسى لمنظمة « سميت » منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) وقد حددت الفقرة الأولى غرض هذه المنظمة كما يلى : ـ

١ ـــ أن تنمى وترعى الفهم المتبادل والتقدير المتبادل لحياة شعوب العالم وثقافتها ، وفنونها ، ودراساتها الإنسانية وعلومها ، باعتبار ذلك أساسا للتنظيم الدولى الفعال ، والسلام العالمى .

٢ ـــ أن تتعاون فى إمداد جميع شعوب العالم بحصيلة من المعرفة والثقافة من أجل خدمة الحاجات البشرية المشتركة ، وفى ضمان إسهامها فى الاستقرار الاقتصادى ، والأمن السياسى ، ورغد العيش بوجه عام ، لشعوب العالم .

ونحن نستشهد مع اليوت بهذه الكلمات لتوجيه الاهتمام الى كلمة « الثقافة » ، والتى ينبه الى أنه قبل العمل على تنفيذ هذه القرارات ينبغى أن نحاول معرفة ما تدل عليه هذه الكلمة الواحدة . وليس هذا الا مثلا واحدا من أمثلة كثيرة يمكن ايرادها لاستعمال كلمة لا يشغل أحد نفسه ببحثها . إن هذه الكلمة تستخدم عادة بأحد طريقين : إما بنوع من المجاز ، عندما يعنى القائل عنصرا من عناصر الثقافة أو مظهراً من مظاهرها ، « كالفن » مثلا ، وإما على أنها نوع من مثيرات الانفعال أو مخدراته ـ كما فى الفقرة السابقة[١١] .

ويذهب « إليوت » الى أن ارتباطات كلمة « الثقافة » تختلف بحسب ما نعنيه من نمو فرد ، أو نمو فئة أو طبقة ، أو نمو مجتمع بأسره وجزء من دعواه أن ثقافة الفرد تتوقف على ثقافة فئة أو طبقة ، وأن ثقافة الفئة أو الطبقة تتوقف على ثقافة المجتمع كله ، الذى تنتمى اليه تلك الفئة أو الطبقة .

وبناء على ذلك فإن ثقافة المجتمع هى الأساسية ، ومعنى كلمة « الثقافة » بالنسبة الى المجتمع كله هو المعنى الذى يجب بحثه أولا . وحين تستعمل كلمة « الثقافة » للدلالة على التصرف فى كائنات حية دنيا ـ كما هو الحال فى عمل البكتريولوجى أو الزراعى ـ فإن المعنى يكون واضحا الى درجة كافية ، لأننا نجد اتفاقا تاما فى الرأى بالنسبة الى الغايات التى يراد الوصول اليها ، أما حين تستعمل لترقية العقل البشرى والروح البشرية ، فإن

احتمال اتفاقنا على ما هى الثقافة يكون أقل وتاريخ الكلمة نفسها ، باعتبارها دالة على شيء يقصد اليه قصدا واعيا فى أمور البشر ، ليس بالتاريخ الطويل ، وكلمة « الثقافة » بمعنى شيء يتوصل اليه بالجهد المقصود ، تكون أقرب الى الفهم حين نتكلم عن تثقف الفرد ، الذى ننظر الى ثقافته المنسوبة الى أساس من ثقافة الفئة والمجتمع . وخير ما يمكن أن يبين الفرق بين الاستعمالات الثلاثة للكلمة أن نسأل الى أى حد يكون وجود هدف واع هو تحصيل الثقافة شيئاً له معنى بالنسبة الى الفرد ، والفئة ، والمجتمع باعتباره كلا . ويمكن تجنب كثير من الاضطراب اذا امتنعنا عن أن نضع أمام الفئة مالا يمكن أن يكون الا هدفا للفرد وأمام المجتمع باعتباره كلا مالا يمكن ان يكون الا هدفا لفئة .

وقد ازدهر المعنى العام أو المعنى الأنثروبولوجى لكلمة « الثقافة » كما استخدمه أ . ب تايلور مثلا فى عنوان كتابه « الثقافة البدائية » بمعزل عن المعنيين الآخرين ، ولكننا « اذا كنا ننظر فى مجتمعات بلغت درجة عالية من النمو ، ولا سيما مجتمعنا المعاصر ، فيجب أن ننظر فى العلاقة بين المعانى الثلاثة وعند هذه النقطة تدخل الأنثروبولوجيا فى علم الاجتماع . وقد جرت عادة رجال الأدب ـ والأخلاق على أن يتحدثوا عن الثقافة ، بالمعنيين الأولين ، ولا سيما المعنى الأول ، دون أن يصلوا بينهما وبين المعنى الثالث . وأول مثل يحفزنا لهذا الاختيار هو ما فعله ماثيوأرنولد فى كتابه « الثقافة والفوضى » ويذهب إليوت كذلك الى أن الجماعات المعنية بكل من المناشط الثقافية فى مجتمع ما ، مهما تكن درجة ثقافتها ، لا يمكن أن يتحقق التماسك الضرورى للثقافة فيها الا بالتداخل والمجاراة فى الاهتمامات ، وبالمشاركة والتقدير المتبادل .

وفى المحيط العربى ، نجد الثقافة تدل على الحذق والفهم حينا ، فمن حذق شيئا وفهمه حق فهمه وبرع فيه كان ثقفا . كما كانت تطلق على الفطنة والذكاء ، كما كانت تطلق على العلم بشئون الحياة . ومن هذا الحديث لام حكيم بنت عبد المطلب حيث تقول : « إنى حصان فيما أكلم وثقاف فيما أعلم » تريد أنها كانت ذات خبرة بالأمور فهى ليست فى حاجة الى من يبصرها .

واذا نحن نظرنا الى تلك الدلالات التى عرفت الثقافة حذقا وخبرة وفطنة وعلما وجدناها تتفاوت شيئا ، ووجدناها على تفاوت ما بينها تكاد تشير الى ما هو فوق المستوى العام ، تكاد تجمع الحسى الى المعنوى ، وان كانت دلالتها على المعنوى أوسع وألصق ، وهذا يدلنا على أن الثقافة ولدت ذات مدلول عام غير متميز ولا محدود ، مع التقبل الفطرى فما من شك فى أن التقبل الفطرى ـ كما يذهب الى ذلك الأستاذ الإبيارى ـ كان يعد كل ما جاوز المستوى ثقافة ، وهو بهذا منته الى ما انتهى اليه التقبل الاستقرائى[١٢] .

فهنالك إذن مدلولان للثقافة أولهما عام ، والآخر خاص .

(أ) المدلول العام للثقافة :

مستخلص من الدراسات الأنثروبولوجية ويتلخص فى هذا التعريف « الثقافة » هى كل معرفة ، وكل خبرة ، وكل مهارة يمكن أن يحصلها الفرد من إطاره الاجتماعى بوسائل التحصيل المختلفة ، كالتجربة والخطأ ، والمحاكاة ، والتلقين المباشر والانخراط فى المؤسسات النظامية المصطلح على تسميتها بالمؤسسات التعليمية وهى مؤسسات تعترف البيئة الاجتماعية بحدودها وبرامجها ومراحلها وتشترط شيئا من الإشهار العلنى الذى يؤكد أن الفرد قد حصل على معرفة عن درجة معينة ومن نوعية معينة » .

(ب) المدلول الخاص للثقافة :

سنجد أولا عندما نتحدث عن المؤسسات الدولية ، أن هناك منظمة اليونسكو وهى « منظمة التربية والعلوم والثقافة » ، وفى هذه التسمية نجد اصطلاحا أخص ، لأن « العلم » معرفة وخبرة ، وكذلك « التربية » أيضا نوع من الخبرة ونوع من تنظيم السلوك الفردى والاجتماعى ، فالتربية خبرة كما أنها تصدر عن معرفة .

أما « الثقافة » فقد اتخذت دائرة أضيق وهى « دائرة المعارف والخبرات والمهارات التى يحصلها الأفراد أو تحصلها الجماعات عن غير طريق التربية بمنظماتها ومناهجها المعروفة وعن غير طريق المناهج العلمية بالمفهوم العلمى الطبيعى القائم على التجربة والملاحظة » .

وحين نتحدث عن البرامج الثقافية فى الراديو فاننا نقصد المدلول الخاص للثقافة حيث تنتقل الثقافة عن غير طريق « التربية » الى الأفراد عبر وسيلة اتصال جماهيرية هى « الإذاعة المسموعة » وهنا نرقى درجة أخرى فى البحث لنقف عند الإذاعة وانتشار الثقافة .

ثانيا : الإذاعة وانتشار الثقافة :

لئن تعددت الثقافات وتباينت باختلاف المجتمعات وتباينها إلا أنها ليست منقطعة الصلة لأن العالم وحدة واحدة ولأنه قد حدث احتكاك قديم وحديث بين الشعوب بسبب الهجرة والحروب والغزوات والاحتلال وبسبب التبادل التجارى الذى يحتمه اختلاف حاجات الإنسان واختلاف البيئات فى المناخ والتضاريس والتربة وبالتالى اختلاف الإنتاج .. وفى العصور الحديثة زاد الاتصال بين أجزاء العالم المختلفة بسبب سهولة المواصلات وتقدم الاختراعات خاصة الإذاعة وتداخل المشكلات السياسية والاقتصادية(١٣) .

وهناك آراء مختلفة فى انتشار الثقافة Culture diffusion فثمة رأى يعتقد أن لكل من الأنماط الثقافية أصلا واحدا فقد وجدت فى مجال ثقافى واحد Culture erea ثم

انتشرت بعد ذلك الى بقية أجزاء العالم وتعبر عن هذا الرأى نظرية الانتشار الثقافى المطلق Pure Culture diffusion وهناك رأى آخر يقول إن تشابه الظروف فى بعض المجالات الثقافية مع تشابه الطبيعة الإنسانية كان سببا فى ظهور انماط ثقافية متشابهة فى أكثر من مجال ثقافى واحد ومن هذه المجالات انتشرت هذه الأنماط الثقافية وتعبر عن هذا الرأى نظرية الأصول الثقافية المستقلة (١٤) .Cultural Indepndent Origins

وكذلك نذكر أن انتشار الثقافة إما يكون بطريق موجه كما يحدث فى أحوال الغزو والاحتلال أو البعثات التبشيرية أو العلمية أو عن طريق غير موجه كما يحدث عند انتقال الأفراد للزيارة المؤقتة أو الهجرة واقتباس النمط الذى يبدو ملائماً للاستفادة منه ، وفى الإنسانية أمثلة كثيرة لانتشار الثقافات مثل الأفكار الدينية والأنظمة السياسية من ديمقراطية أو ديكتاتورية ومن نظم اقتصادية من رأسمالية واشتراكية ، وكذلك انتقال الفنون وتأثرها بعضها ببعض ومن الأمثلة الطريفة صليب أيرلندا الذى نقش عليه باللغة العربية لفظ « الله » وكذلك عملة الملك Offa التى نقشت عليها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله(١٥) .

أما فى العصر الحديث فان انتشار الثقافة ماثل للبيان ، فالمخترعات الحديثة قد عمت كل مكان بسبب سهولة المواصلات وترابط مشكلات العالم .

وقبل أن ننظر فى انتشار الثقافة من خلال برامج الإذاعة ، لابد أن نسجل أن الثقافة كمضمون لا يمكن أن تنفصل فى يسر عن الوعاء الذى يحملها والوعاء هنا وسيلة الاتصال الإذاعى بالجماهير ، وهى وسيلة تحدد معالم برامجها الثقافية ، من حيث طبيعة الثقافة من ناحية ، وديموقراطيتها من ناحية أخرى ، وطبيعة الفن الإذاعى وخصائصه من ناحية ثالثة ، بحيث تيسر للجمهور الحصول على الثقافة دون عناء .

فالبرامج الثقافية فى الإذاعة ، تتحمل مسئولية تطور الإنتاج الثقافى من ناحية ، وتيسيره للناس من ناحية أخرى ، فتتحقق بذلك الركيزتان اللتان تقف عليهما الثقافة : التقدم المستمر فى غير تراخ ، وتحقيق الديموقراطية العقلية والوجدانية فى المجتمع .

ويستلزم هذا من الإذاعة أن تبحث دائما عن صيغ جديدة مبسطة تقدم فيها هذه البرامج الثقافية . ويصبح من واجب الفنانين والمثقفين أن يشاركوا الإذاعة فى الوصول الى صيغ ملائمة يقدمون بها ثمرات الفكر وزهرات الفن على أوسع نطاق وفى أرحب دائرة ، دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى فى الإنتاج الثقافى ، الا دفعا لها الى مزيد من التفوق والإجادة .

وتنص كل قوانين الإذاعات التى تنفق عليها الدولة كالإذاعة المصرية أو تلك التى تحميها قوانين الدولة للانفراد بالإذاعة فى أراضيها نتيجة الحصول على نسبة معقولة من

حصيلة رخص حيازة الأجهزة المستقبلة ، تنص على أن « هيئة الإذاعة » تستهدف ثلاثة أغراض هى الإعلام والتثقيف والترفيه .. أى أن واجبها أن تقدم لجمهور المستمعين فى دائرتها الأخبار والمواد التى ترفع من مستواهم الثقافى والمواد التى ترفه عنهم(١٦) .

ولما كانت الإذاعة تقدم خدماتها لجميع المواطنين على اختلاف أذواقهم وميولهم وأعمالهم ، أصبح مَن الضرورى أن تتنوع برامج الإذاعة وفقا لأهدافها الى :

— برامج الإعلام .
— برامج الترويح .
— برامج التثقيف .

وقبل أن نتحدث عن هذه البرامج ، نرى من الأوفق أن نشير الى أهمية الإذاعة وتفوق أثرها فى مجتمعنا المصرى العربى ، وهى العوامل التى يمكن ذكرها على النحو التالى : —

١ — أن ارتفاع نسبة الأمية فى المجتمع ضاعفت من أهمية الإذاعة كوسيلة للتثقيف وجعلها تتميز على غيرها من أجهزة الثقافة الأخرى ذلك لأن الاستماع الى الكلمة المنطوقة من الراديو لا يحتاج الى معرفة بأصول القراءة والكتابة ، كما هو الحال بالنسبة للصحيفة أو المجلة أو الكتاب .

٢ — أن الاستماع الى الإذاعة يمثل موقفا من المواقف الاجتماعية اذا ما قورن بقراءة كتاب أو بالاطلاع على صحيفة ، فالمستمع يتفاعل مع صوت المتحدث أو المذيع بفضل ما تثيره طريقة الإلقاء أو تنغيم الصوت من معان واستجابات ومشاعر ، ولذا كانت البرامج الإذاعية بفضل هذه المزية أكثر قدرة على الإيحاء وأدعى الى استقرار الأفكار أو المشاعر التى يحاول المذيع أن ينقلها الى المستمع .

٣ — أن التحصيل الثقافى عن طريق الراديو لا يحتاج الى جهد كبير إذا ما قورن بالقراءة التى تتطلب مجهودا عقليا وعصبيا لا تتطلبه الإذاعة وهذا يزيد من إقبال الجماهير عليها . إن مطالب الحياة المعاصرة تدفع بالإنسان الى تلمس وسيلة للتثقيف لا تتطلب جهدا كبيرا كالإذاعة .

٤ — تعتبر الإذاعة أكثر شمولا من غيرها من وسائل الثقافة العامة لتنوع برامجها وموضوعاتها وطرق أدائها . مما يقلل من جفاف المعلومات ومن حاجة المستمع الى التركيز العقلى .

٥ — تقابل الإذاعة مختلف الأذواق والميول والحرف ، بسبب تنوع برامجها وجمعها بين ألوان مختلفة من المعارف الإنسانية ، فوق أنها تستخدم لغة مفهومة للجميع .

ونظرا لهذه الأهمية البالغة للإذاعة فى مصر فقد أشرفت عليها الدولة إشرافا كاملا ، وأولتها من العناية ما يتكافأ مع رسالتها فى المجتمع .

ويزيد من أهمية الإذاعة وشدة إقبال الإنسان المعاصر عليها أنها تمثل أقل الجهود فى تحصيل الثقافة هى والسينما والمسرح ، اذا قيست هذه الأجهزة بالقراءة التى تتطلب مجهودا عقليا وعصبيا لا يتطلبه الراديو ، فالراديو يستمد قوته من قانون إنسانى عام هو قانون أقل الجهود ، وجاذبية هذا القانون للإنسان المجهد فى عصرنا الحاضر .

وإذا كنا نخلص من كل ما تقدم الى أن الراديو قد أصبح من أكثر أجهزة الثقافة انتشارا وقوة وإقبالا من الناس ، فقد بقى علينا أن ننظر فى مدى قدرة هذا الجهاز على تثقيف الناس وإعدادهم للحياة الحقة ، وللقيام بهذه الدراسة ، يجب أن ننظر للراديو ومثله التليفزيون والسينما على أنها سلسلة من الاكتشافات ومجموعة من العمليات الفيزيقية والعقلية ، العملية والثقافية ، الفردية والجماعية ، بعضها قديم وبعضها الآخر جديد متجمع وغير واضح[١٧] .

لقد استعملت ألفاظ هذه الاكتشافات ، والتى أصبحت واقعا فى معجمنا السمعى والمرئى ، لتضع وسائل تكتيكية كبيرة فى خدمة الاتصال الإنسانى والثقافى والفنى ، وتختلف الإذاعة المسموعة والمرئية عن المسرح والفنون التشكيلية ، كالتصوير والنحت ، من حيث إن الإذاعة وما يشبهها من وسائل الاتصال الجماهيرية ، كالسينما والتليفزيون ، هى أساسا وسائل ميكانيكية للنقل والتسجيل للنشر ، فهى تقوم بإذاعة كل ما يوضع أمامها من مواد ، مهما كانت طبيعتها[١٨] . ويمكن أن نتبين خطر الإذاعة وما يشبهها حين نقارنها بالسوبرمان ، على حد تعبير « جان تاردو » ، إذ الإنسان هو الذى اكتشف هذا الجهاز الجماهيرى الخطير ، وهو الذى أبدعه ولكن الإذاعة مع ذلك كالسوبرمان تظل أقوى من الإنسان ، حينما نسمع شخصا من الأشخاص فى أحد الأحاديث « ان الراديو قال ذلك ، رأيت فى التليفزيون ذلك .. إنهما لا يمكن أن يخطئا » .

ويذهب « مارتن اسلن » الى أن الأثر المترتب على صفة الاستمرار التى تتسم بها طريقة عرض المواد من أجل الترفيه هو الخلط بين المميزات الكيفية لهذه الأنواع المختلفة من المواد ولقد أبرز « كلود اولييه » Claude Allier المؤلف المسرحى الفرنسى هذه الخاصية المزعجة لوسائل الإعلام فى تمثيلية إذاعية تبين منها فى نهاية الأمر أن اغتيال أحد رؤساء الدول ، نتيجة إعداد مسبق قامت به احدى هيئات الإذاعة نظرا لاحتياجها الى موضوع إخبارى واقعى مثير ، نابع من مصدر الأحداث مباشرة . وأن الأنباء التى تنشر من وقت لآخر عن تأخير تنفيذ أحكام الإعدام ، أو إعدادها لصالح مصدرى التليفزيون فى بعض الحروب الأهلية الأفريقية لتدل على أن الكاتب الساخر لم يكن فى هذه الحالة مبالغا

إن المسرحة المتزايدة للسياسة والحياة العامة ، وكذلك اختيار المرشحين فى الانتخابات على أساس قابلية وجوههم للتأثر بمستحضرات التجميل (الماكياج) ، فضلا عن إدارة الحملات الانتخابية على أساس الخصائص الإذاعية للموضوعات بدلا من إدارتها على أساس الأهمية الحقيقية للمشكلات ، كل هذه الأمور ناجمة فى نهاية الأمر عن الحاجة الشديدة ـ الملحة للمادة الترفيهية ، كما أنها تنجم عن إصرار المشاهدين على ضرورة التسرية عنهم بطريقة ملائمة فى أى وقت يشعرون فيه بحاجتهم الى التحول بأذهانهم أو عقولهم من الوعى الفردى الى الوعى الجمعى

ومن ناحية أخرى لا ينبغى أن نتغاضى عن الآثار الإيجابية والمفيدة لذلك الكم الهائل من المواد التى تطور الأحداث الواقعية ، ونصف الواقعية ، وشبه الواقعية والتى تتدفق من الإذاعة والتليفزيون . فقد ترتب على تبعية السياسة والشئون العامة لصناعة الترفيه وتفرعها عنها أن أصبحت هذه المسائل أكثر قربا الى ملايين الناس الذين لم يعنوا بالتفكير فيها من قبل ، ومن جهة أخرى ، فلقد كانت قدراتنا قديما تتميز بالانتباه الإيجابى والبطء فى البحث والتفكير المثمر ، ولكن فى الوقت الحاضر يمكن القول إن الوسائل الحديثة تحول التراث الموجود فى الفن والفكر والسياسة الى قوة محركة ولكنها مرهونة بزمن معين . إن هذه الوسائل ـ كما يقول جان تاردو ـ تعرض لنا قيمة عليا تعايش السرعة والترفيه والهجوم الخاطف المفاجىء . وذلك كله كبديل للتوازن السكونى القديم

على أن الإذاعة المسموعة والمرئية ، معا ، ليستا وسيلتين لنشر المعرفة بين الجمهور العريض فحسب ولكنهما تشتركان فى تغيير محتوى هذه المعرفة وشكلها معا . ونحن نعرف أن كل ما يذاع أو يرى ، يجب أن يخضع لتحولات ترتبط بفنية الفن الإذاعى المسموع أو المرئى ، وهى تحولات تغير فى شكل المادة الثقافية وغيرها تغييرا عميقا . وينتج عن ذلك كما يقول « اسلن » ، أن المادة المذاعة فى نظر المستمع أو المشاهد ـ تغدو شيئا من نوع واحد ، رغم أنها فى الحقيقة خليط من مواد متنافرة أشد التنافر بأعمق ما تؤديه هذه الكلمة من معنى ، من حيث الكيف . أو كما يقول « تاردو » فإن هذه المواد المتنافرة تغدو عند المستمع أو المشاهد كحقائق موضوعية ، حتى ولو كانت مجرد قصص خيالية ، أو قد ينظر الى الحقيقة الموضوعية على أنها مجرد خيال محض . وفى ذلك ما يجعل من الإذاعة المسموعة والمرئية شاهدين على القلق الكبير الذى يميز عالمنا الإنسانى اليوم . وان ذلك الطفل الذى لاحظ عند رؤيته لأول هبوط على سطح القمر أنه قد شاهد من قبل معالجة تليفزيونية لهذا الموضوع بطريقة أكثر إثارة فى حلقة من مسلسلة علمية خيالية منذ وقت طويل مضى ، هذا الطفل قد سلط الأضواء على مشكلة حقيقية ذات آثار مفزعة ، على المدى الطويل .

ومهما يكن من شيء ، فإننا نتجه الى الإفادة من الراديو كوسيلة للمعرفة والثقافة ، ويقتضى ذلك الاتجاه ، أن ننظر الى أن تاريخ العلم والتاريخ العام ، قد أثبتا أن كل وسيلة من الوسائل الهامة الجديدة حين تظهر ، فإنها لا تقضى على كل الوسائل والأدوات والأجهزة السابقة عليها ، ولكن هذه الوسيلة الجديدة ، إنما اكتشفت لتضيف أو لتندمج مع هذه الوسائل السابقة ، لتصلح من أخطائها ، وتسد ثغراتها ، وتتجه بها نحو الإفادة العامة .

وعلى امتداد تاريخ الثقافة ، نلاحظ هنا نوعا من التوازن والتعاقب بين القيم الملموسة للغة المرئية التى تسيطر عليها الصورة ، وكذلك الحال فى الإذاعة المسموعة التى تعتمد على اللغة والصوتيات من ناحية ، ومن الناحية الأخرى القيم المجردة للكلمة المكتوبة المعتمدة على التعبير الهجائى والعلامات الرياضية ، والنوتة الموسيقية إلخ .. وهنا نلاحظ أن الذى يتغير إنما هو تعاقب دعامات وسائل الدعاية لهذه القيم المتكاملة .

ويمكن أن نضيف الى هذه الاستطرادات ، ذلك التطور الدائم لوسائل إذاعة الرسالة المكتوبة أو المذاعة سمعيا أو بصريا . وهنا نجد أن الثقافة قد استمرت تنتشر منذ كانت تعتمد على المخطوطات ، الى أن اخترعت المطبعة والكتاب المنشور واستخدام الصحافة كوسيلة لنشر الثقافة ، ووجدنا أن الراديو لم يقتل الكتاب ، كما أن التصوير الفوتوغرافى لم يقتل الفن التشكيلى . ولم تقض السينما على فن المسرح ، إن جميع الوسائل القديمة والجديدة ، يعتمد بعضها على البعض الآخر ، ولكنها فى تقدم مستمر ، شأنها فى ذلك شأن الجمهور فى نموه المستمر .

كما أن التوسع الهائل فى وسائل نشر الثقافة ، يشمل الكتاب والأسطوانه وغيرها كوسائل مستقلة بجانب الراديو ، والفيلم والتصوير الفوتوغرافى بجانب التليفزيون ونخلص من ذلك الى أن الراديو والتليفزيون يضيفان إمكاناتهما الخاصة للدعوة المؤثرة الى هذه الوسائل المستقلة ذاتها . بحيث يمكن القول إن هاتين الوسيلتين الجماهيريتين ترتبطان بحركة التقدم العالمى التى تفتح أبواب الثقافة على مصاريعها أمام الجماهير العريضة والتى اخترعنا من أجلها وسائل لتبسيط الثقافة مثل : كتاب الجيب ، والمسارح الإقليمية والشعبية ، وبيوت الثقافة ، والتوسع الهائل فى المجلات المصورة ... إلخ من الوسائل التى تتآزر وتنمو ، لتلاحق الجماهير بمضمونها الثقافى فى لغة مسموعة أو مرئية .

ويمكن أن نقول مع « تاردو » إن هناك الآن تغييرا فى النسب والأبعاد بين وسائل الاتصال الثقافى المختلفة ، وليس تنافرا وتمزقا ، كما يمكن أن نقول إن التفوق الآن للثقافة الديناميـة على الثقافة الاستاتيكية وهو التفوق الذى يخلق نوعا من الحماس للمسموع والمرئى . وإن المسموع المرئى ليضع فى حسبانه التراث الثقافى القريب والبعيد ، ولكنه يعرضه فى ثوب جديد .

وحين نتحدث عن الخلق والإبتكار والإبداع ، فإننا نكون مبالغين حين نذهب الى أن المسموع المرئى يقدم الثقافة الشاملة أو الفن المتكامل حقيقة أن المسموع والمرئى ينتشران فى كل مكان ، ويمتزجان بكل شيء ويقدمان إمكاناتهما الهائلة ، التى تقابل التقدم الآلى ، ولكنهما فى نهاية الأمر يمثلان شيئا مصنعا . وتأسيسا على هذا الفهم نجد أن الإذاعة المسموعة أو المرئية ، والراديو بخاصة يقوم بدورين مختلفين فى أساسهما : الأول : هو التوصيل ، والثانى هو الابداع . وفى الحالتين يقوم الراديو بعملية توصيل ، ولكنه فى الحالة الأولى لا يفعل شيئا سوى نقل المحتوى الذى تطلب اليه نقله ، أما فى الحالة الثانية فإنه يقوم بعملية ابتكارية ، حين يبتكر طرقا وأساليب جديدة للتعبير ، كما يبدع فنونا جديدة . على أن عملية التجديد تبدو أمامنا كما لو كانت عرضا مسرحيا ، ولكنه من غير المجدى أن نتنكر للدور الرئيسى الذى يقوم به المسموع والمرئى ، وخاصة فنون الإذاعة المسموعة ، فهذه الوسائل مصادر للخلق والإبداع .

فهى بالنسبة للراديو طريقة جديدة أو وسيلة جديدة من وسائل الثقافة ، ولكن السؤال هنا هو : كيف يعرض الراديو هذه الثقافة ، وما هى الخاصية المميزة التى تسيطر عليه وتشيع فيه ؟ .

وحين نجيب على هذا السؤال نجد أن الثقافة التى يقدمها الراديو والكاميرا هى ثقافة « فى شكل قطرات مطر » على حد تعبير تاردو والذين تمرسوا فى العمل الإذاعى وتنظيم برامج الراديو أو التليفزيون ليعرفون مدى الفروق بين الوسائل التى يستطيع أى إنسان أن يتخيلها والرسائل التى تصل الى المستمع والمشاهد للتليفزيون حقيقة هناك فرق بين كل قناة أو برنامج إذاعى ، فى الراديو والتليفزيون ، ولكنه - فى الواقع - لا يوجد فرق فى الحالتين بين نقطة الإرسال - المنبع الخلاق للبرامج المرسلة ونقطة الاستقبال حيث يتمثل المستهلك ويحتفظ بالمعلومات فى ذاكرته .

إن أى حدث صغير فى المنزل يمكن أن يشتت انتباه المستمع أو يوزعه على الأقل ولكن الراديو مع ذلك يتميز بأنه يتوجه الى الصغير والكبير ، وفى ذلك ما يجعل التركيز على اعداد الرسائل التى توجه الى الجماهير رمزا لا ينفصل عن إمكانات هذه الوسيلة الجماهيرية ، لكيلا تصل هذه الرسائل الى الجماهير كما لو كانت سفنا تالفة شوهتها العواصف .

ونخلص مما تقدم الى عدة ملاحظات يسيرة ، يمكن إجمالها فيما يلى : -

١ — أن الراديو ، من وجهة نظر القائمين بالعمل الإذاعى ، شأنه فى ذلك شأن التليفزيون ، وسيلة جماهيرية مؤثرة ، بمعنى أنه ليس أداة إعلام وترفيه ووسيلة ثقافة وتعليم فحسب ، ولكنه أيضا وسيلة ذات تأثير تتمتع بقوة أدبية معنوية واجتماعية وتفرض هذه النظرة على الدارسين ، اجراء دراسات نفسية على الصعيدين الفردى والجمعى ، لإمكان تحديد سلبيات هذه الوسيلة الجماهيرية

٢ — أن الراديو ، وكذلك التليفزيون ، من وجهة نظر المستهلك ، يبدو نوعا من الإبداع أو الصناعة الكمية ، بينما تغدو الرسائل الإعلامية والثقافية غذاء ثقافيا تقدمه هاتان الوسيلتان الجماهيريتان ، ولكنه غذاء فى شكل قطرات المطر ، كما تقدم أو غذاء يشبه غذاء الأسماك .

٣ — أن الراديو يقوم بتزويد الجماهير بزاد ثقافى عن تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها فى المجتمع المتحضر الذى يتميز بظهور « علوم وفنون وتخصصات بالغة التجريد والتعقيد »[١٩] تجعل الإذاعة حلا لصياغة المعرفة ، الأمر الذى يجعل من البرامج الثقافية وسيطا بين الخبير المتخصص من ناحية والرجل العادى من ناحية أخرى . وفى هذا الصدد يقول الكاتب الامريكى والترليمان « إن المجتمع الحديث لا يقع فى مجال الرؤية المباشرة لأحد ، كما أنه غير مفهوم على الدوام ، وإذا فهمه فريق من الناس فإن فريقا آخر لا يفهمه » .

وهكذا تقوم وسائل الإعلام والراديو بخاصة بالتبسيط والتفسير والتكامل ، والتوصيل الجيد للمعرفة بأشكالها وأنواعها المختلفة للفئات المختلفة من الشعب ، وذلك فى مختلف برامجه ، وخاصة تلك التى تعالج جوانب الثقافة .

وعندما نتحدث عن وسائل الاتصال بالجماهير ، فإننا نواجه بالغموض الذى نشأ فى الرأى العام بين الوسيلة أو الوعاء والمضمون الذى تنقله[٢١] ، فاذا افترضنا أن « الثقافة » هى المضمون الذى تقدمه الإذاعة كوسيلة أو وعاء ثقافى ، فإن الإذاعة لا تخرج عن كونها أداة للنشر والتعمير ، فهى امتداد تكنولوجى للغة والكلمة والإيماء ، ولقد استخدمت وسائل الاتصال منذ عصر التدوين ، الى عصر المطبوع فى الكتاب والصحيفة ، كأوعية للثقافة ، لذلك لم يقتل الراديو الكتاب ، كما لم يقتل التصوير الفوتوغرافى الفن التشكيلى ولا السينما قضت على المسرح ، ذلك أن جميع الوسائل القديمة والجديدة تتكامل مع بعضها البعض فى أداء الوظيفة التثقيفية ، ولكن هذه الوسائل فى تكاملها لا يلغى بعضها بعضا ، وانما تتقدم باستمرار لأداء وظائفها على نحو أشمل .

٤ - ويشهد عصرنا الحاضر ظواهر لهذا التقدم الاتصالى ، فالكتاب والأسطوانة مثلا وسيلتان مستقلتان الى جوار الراديو يؤديان معه الوظيفة التثقيفية فضلا عن كتب الجيب والمسارح الإقليمية والشعبية والمجلات والصحف ، كل هذه الوسائل تنمو وتتقدم ويتكامل بعضها مع البعض الآخر فى تحقيق وظائف الاتصال ، فالإنسان فى حاجة دائما الى وسيلة تراقب له الظروف المحيطة به وتحيطه علما بالأخطار المحيطة به أو الفرص المتاحة له ، ووسيلة تقوم بنشر الآراء والحقائق وتساعد الجماعة على اتخاذ القرارات ،

وسيلة تقوم بنشر القرارات التى تتخذها الجماعة على نطاق واسع ، وسيلة تقوم بنقل حكمة الأجيال السابقة ، والتطلعات السائدة فى المجتمع الى الأجيال الناشئة .

٥ ــ تعتمد الإذاعة المسموعة على التبسيط والتجسيد والتصوير والواقعية الحية ، مستعينة فى ذلك بفنون الإخراج الإذاعى من موسيقى ومؤثرات صوتية ، ومستعينة فى ذلك بتطبيقات البلاغة الجديدة ، وإمكانات الكلمة المنطوقة فى إفساح مجالات التخيل والتصور والتفكير أمام المستمع وذلك أن الراديو ينتمى الى عائلة وسائل الاتصال السمعية ، بمعنى أنه فى مقدوره أن يرسل أصواتا تحمل رسائل متنوعة الأشكال هادفة الى العديد من الأغراض التى من بينها الأغراض ذات الطابع التثقيفى .

٦ ــ الإذاعة المسموعة استمدت المادة لبرامجها من الفنون السابقة على وجودها فى المجتمع ، كما نجد بالنسبة للموسيقى والغناء ، فقد أفادت من المسرح والسينما ولاءمت بين طبيعتها وطبيعة الوسيلة الجديدة ، ومثال ذلك يتضح فى التمثيلية الإذاعية فهى مأخوذه اصلا عن المسرحية كما عرفها الناس على المسرح ، ومرت بمراحل إعداد خاصة ، كما يتضح فى الحديث الإذاعى المأخوذ عن المقال ، والخبر الإذاعى المنقول عن الصحافة(٢١) . هذا الإعداد أو هذه الملاءمة للفنون الموجودة فى المجتمع لكى تصبح صالحة إذاعيا ، يجعلنا نفترض أن الإذاعة فى مقدورها أن تنقل الثقافة الى جمهورها من خلال الإفادة من وسائل الاتصال الأخرى كالكتاب والصحيفة والمجلة المسرح والسينما .

٧ ــ ادركت الحكومات أهمية الإذاعة المسموعة لما تتميز به من إمكانات ضخمة فى نشر الثقافة والوعى السياسى والتعليم والدعاية ، لذلك فرضت عليها نوعا من الرقابة سواء كان ذلك فى انجلترا أو أمريكا وفى غيرهما من البلدان على أن هذه الرقابة والسيطرة تختلف شدة ولينا ، فبينما نجد الرقابة فى الدول ذات النظام الإذاعى التجارى خفيفة هينة نجد أن الحكومات المستبدة أو الديكتاتورية تفرض على برامج الإذاعة رقابة قاسية وتستغلها للدعوة لمذهبها السياسى .

وفى مصر الغت الحكومة الإذاعات الأهلية نهائيا فى عام ١٩٣١ ، وتم الاتفاق بين الحكومة وشركة ماركونى على إنشاء محطة إذاعية لاسلكية وفقا لنصوص المعاهدة الدولية للبرق واللاسلكى المنعقدة فى واشنطن عام ١٩٢٧ والتى كانت مصر قد اشتركت فيها . وفى ٣١ مايو سنه ١٩٣٤ تم افتتاح الإذاعة المصرية . ولاعتبارات قومية أنهى عقد شركة ماركونى وتسلمت وزارة الشئون الاجتماعية الإذاعة اللاسلكية فى ٤ مارس سنة ١٩٤٧ ونظرا لما وضح من الأهمية الكبرى للإذاعة بوصفها أداة تثقيف ووسيلة ارشاد للرأى العام الداخلى والخارجى عن شئون البلاد ، ورغبة فى استقلال الإذاعة اللاسلكية استقلالا يساعدها على تحقيق هذه الأهداف ، فقد رؤى أن يستقل هذا الجهاز اعتبارا من

١٨ مايو ١٩٤٧ وان يشرف عليه مجلس أعلى يوجه سياسته العامة ويتابع البرامج التى تحقق هذه السياسة .

وتؤكد القوانين التى صدرت بشأن الإذاعة المصرية الغرض الذى افترضناه حول إدراك الحكومات للدور الثقافى للإذاعة المسموعة ، ففى عام ١٩٤٩ صدر القانون ١٨ بإلحاق الإذاعة المصرية برئاسة مجلس الوزراء وبأن تكون لها الشخصية المعنوية وفى ١٠ نوفمبر ١٩٥٢ صدر المرسوم بقانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ بإنشاء وزارة للإرشاد القومى وألحقت الإذاعة المصرية بها نقلا من رئاسة الوزراء ، وصدر القرار الجمهورى ١٨٣ لسنة ١٩٥٨ بإلحاق الإذاعة برئاسة الجمهورية وفى ١٩٥٩ صدر قرار من رئيس الجمهورية رقم ٧١٧ بتنظيم إذاعة الجمهورية العربية المتحدة وبمقتضى هذا القانون اعتبرت الإذاعة مؤسسة عامة لها الشخصية الاعتبارية وأطلق عليها إذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، وحددت المادة الثالثة من هذا القرار عملها بالمشاركة فى التوجيه القومى العام ورفع مستوى الشعب ثقافيا وإجتماعيا وأخلاقيا . كما نص القرار على أن تسعى الإذاعة لعدة أغراض فى مقدمتها النهوض بمستوى الفنون بكافة أنواعها ، والمساهمة فى نشر الثقافة بين الأوساط الشعبية ، وإحياء التراث العربى الأدبى والعلمى والفنى ، واطلاع الشعب على خير ما أنتجته الحضارة الإنسانية وتشجيع المواهب فى شتى نواحى الفكر والإبداع .

وفى عام ١٩٧١ صدر القانون رقم ١ بإنشاء اتحاد الإذاعة والتليفزيون الذى نص على أن يتولى شئون الإذاعة المسموعة والمرئية فى مصر وتكون له الشخصية الاعتبارية ويتبع وزير الإعلام ، وأكدت المادة الثانية من هذا القانون على الدور الثقافى للإذاعة ضمن أهداف الاتحاد .

٨ ــ تمتاز الإذاعة المسموعة بحيوية تنبض فى الصوت الإنسانى وفى الموسيقى وفى الأحاديث المباشرة ، وهى مميزات تعاون فى تقديم الثقافة من خلال الراديو تقديما مستساغا للمتلقى كما أن الإذاعة المسموعة لا تتطلب من المستمع معرفة القراءة والكتابة والهجاء واستعمال النظر فى المتابعة وقلب الصفحات وهى من مستلزمات الكلمة المطبوعة ، لا يتطلبها الاستماع الإذاعى . ومن المعروف أن الراديو عاجز عن أن يعكس أو يرد الشىء بكامله الى المستمع ، فهو يلجأ الى الكلام ، وفى هذه الحالة لا يستطيع أن يصل إلا للون من الابداع الأدبى ، أو الى الصورة الصوتية أى إلى استثارة الخيال البعيد فى تشكيل الصورة الغائبة . إن الميكرفون لا يستطيع أن يلتقط الواقع الملموس . وهو من هذه الناحية لا يمكن أن نعتبره أفضل من الكتاب . إنه ينشىء بوسائل سمعية واقعا وهميا يمكن أن يسهم فى إعداد ما يتجاوز الواقع .

واستثارة الخيال فى الفن الإذاعى من الخصائص التى تتيح له مسرحة الثقافة ، فالبرامج الثقافية التى تبسط الثقافة بتقديمها على شكل مسامع حية تتميز بجذبها للانتباه عن طريق خلق جو إنفعالى جديد .

٩ ــ أن الفن الإذاعى يخلق حالات نفسية خاصة ، حيث يتوجه إلى الفرد فى خصوصية .. وأن «عالمى الكلام أو الموسيقى» يؤثران فى شعورنا ليحثانا على الإخلاد إلى راحة مطلقة حتى ينطلق الخيال بحرية ، بينما ينتزعنا التليفزيون من انفسنا لأنه أقوى ويفرض نفسه على شخصيتنا . ومن الناحية الفكرية ، فالراديو أقرب إلى الكتاب ، ويظل من هذه الناحية تجريديا وينقل رسالته بوساطة التصور بينما يظل التليفزيون فى نطاق المحسوس .

واذا كان الراديو يعد من وسائل الاتصال القومية ، فإن ذلك يشير الى أهميته التثقيفية ، حيث يمكن أن يصل الى جميع السكان بسهولة «متخطيا حاجز الأمية والحواجز الجغرافية » .. ويستطيع الراديو ان يصل الى جماعات خاصة مثل الأفراد كبار السن والأطفال ، والأقل تعليما والمتعلمين ، وغير ذلك من الجماعات المختلفة التى قد يصعب علينا الوصول اليها بوسائل الإعلام الأخرى . ولا يحتاج الراديو الى أى مجهود من جانب المستمعين . وحيث إن غالبية الناس أصبحوا مشغولين وليس لديهم وقت للتفرغ للقراءة أو المشاهدة ، أصبح الراديو هو الوسيلة السهلة التى تبقيهم على علم بما يحدث . والرسالة المذاعة قد تكون أكثر فاعلية من الرسالة التى تنقل بالاتصال المواجهى لأنه يمكن تقويتها بوساطة الموسيقى والتأثيرات الخاصة التى تترك انطباعا قويا . وقد أظهرت التجارب أن المواد البسيطة السهلة التى تقدم بواسطة الراديو يسهل تذكرها مما لو قدمت مطبوعة ، خاصة بين الأفراد الأقل تعليما والأقل ذكاء .

ولعل فى ذلك ما يدعو إلى افتراض أن الراديو يمكن أن يساهم فى القضاء على أمية الفكر ، سيما وأن المجتمع المصرى يعانى من أمية الحرف حيث تصل نسبة من يعرفون القراءة والكتابة ثلاثين فى المائة ، وفضلا عن ذلك فأن مجرد الإلمام بالقراءة والكتابة لا يكفى وحده ليجعل من الإنسان مواطنا مثقفا وانما يجب أن يكون قادرا على استخدام المامه بالقراءة والكتابة فى الاستمرار فى تحصيل المعرفة ومتابعة تقدم الإنسانية فى مختلف ميادين العلوم والفنون .

من هنا كانت مقدرة الراديو على مواجهة أمية الفكر عند المتعلمين وغيرهم على السواء ، ميزة أساسية للإذاعة المسموعة التى تنتشر بين جميع أفراد المجتمع ، فهناك من الكبار من فاتتهم فرصة التعليم وهناك من المتعلمين من ارتدوا الى أميتهم ومن هنا كذلك تبرز أهمية الإذاعة المسموعة كوسيلة تثقيفية ، تكمل رسالة المدرسة والأسرة ، ومسئولة عن تكوين رأى عام مستنير ، كما أنها مسئولة عن تعبئة الموارد البشرية .

١٠ ـــ يصل الراديو الى الجمهور بطريقة مختلفة غالبا عن الطريق التى تصله بها الوسائل الأخرى ، فالراديو يقدم للمستمع ما يمكنه من المشاركة فى الأحداث الفعلية المذاعة وذلك بحكم كونه أكثر اقترابا من الاتصال الشخصى .. والاتصال المواجهى ،ويتميز الراديو بقدرات عالية فى الإقناع والتأثير لأنه عادة ما يكون الوسيلة الأولى فى تقديم المواد للجمهور الا انه ليس هناك من البحوث ما يدعم هذا الحديث عن الراديو أو يرفضه[٢٢] .

وهذه القدرات ترتبط بما استحدثته الإذاعة من آثار حاسمة فى عالم الفنون ، ذلك انها أصبحت كالسينما تعتمد على أساليب خاصة فى الكتابة اليها ، مع فارق واضح بينها وبين الصورة المتحركة الناطقة ، من ناحية الجماهير التى تفيد من البلاغة الجديدة ، ذلك لأن السينما كالمسرح من حيث إن الجمهور يحتشد فى صعيد واحد ، لتلقى الفن والتفاعل معه ، اى أن العقلية الجمالية تتغلب الى حد ما على العقلية الفردية ، ويقتضى ذلك توقيتا محكما للعروض كما يقتضى إطارا معينا وسياقا زمنيا ، لا ينبغى تجاوزه إلا بالحد المعقول . أما الأذاعة فالمستمعون إليها فرادى ، ولو اجتمعوا فى أماكن اختاروها ولم تفرض عليهم ، ومعنى هذه الحقيقة أن الفرد تغلب عليه عقليته ، ولا يذوب تماما فى العقلية الجماعية لجمهور المشاهدين ، ولذلك يتسم الحديث الإذاعى مثلا بأنه موجه إلى أفراد .. إنه يختلف عن الخطبة ، ويختلف عن الحوار فى المسرحية أو الفيلم ، مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعدها وأصولها ، إلى أخرى لها شخصيات أخرى .

ومن البدهى أن تفيد الإذاعة فى تقديم الثقافة للجماهير من الفنون الزمنية كلها ، حيث تعود الأغنية والموسيقى بفضل الراديو الى مجدهما القديم ، وتستغل فنون العرض والتمثيل استغلالا كاملا . ولقد وجد أنها من أصلح الأوعية لنشر المسرحيات ، على نطاق أوسع من حدود دور التمثيل ، وكل ما احتاجت اليه بلاغتها الجديدة هو الاستعانه براوية فى المواقف الغامضة ، والتنبيه الى الحركة والنقلة ، ولم يكتف القوامون على الإذاعة بتجاريبهم ، ولكنهم طلبوا الاتفاق بمراجعة ما يقدمون للمستمعين ، وتم لهم ذلك بفضل استغلال أجهزة التسجيل الصوتى التى أتاحت لهم المراجعة والتنقيح ، قبل العرض ، ولكن الإذاعة تعرضت لما تعرضت له الأوعية الثقافية ذوات الإنتاج الكبير لتعدد المحطات ، وطول الساعات ، والتنوع الواجب فى البرامج ، والتجديد المستمر فى المادة المذاعة ، كل أولئك جعل البرامج تميل فى معظم انحاء العالم الى الكم أكثر مما تميل الى الكيف وتترخص فى الارتجال فى بعض الأحيان .

سجل المفكرون للإذاعة المسموعة ، أنها تعين على ديمقراطية التثقيف لأنها تتيح للأفراد والجماعات فى كل مكان أن تفيد من المعرفة وأن تتذوق الفن ، وأنها أقوى من

الطباعة فى تأصيل هذه الديمقراطية الثقافية ومن هؤلاء المفكرين أفراد ، حاولوا التبشير ببلاغة جديدة ، وكان على رأس هؤلاء برنارد شو ، وبخاصة عندما عين مقررا لمجلس الإذاعة البريطانية . وضم هذا المجلس علماء فى الصوتيات والنفس والتربية إلى جانب الفنيين والمتخصصين فى الإذاعة ويذكر الجيل الماضى المناظرات والدراسات والتعليقات الكثيرة على هذا الوسيط الثقافى ، وبرزت تساؤلات لها قيمتها : منها البحث عن طبيعة الجماهير ، التى تتلقى الإذاعة ، وعن الوحدات والأنماط التى تتألف منها ، وحرص بعض المعنيين بالفكر والفن على الإشارة الى البرامج الثقافية ، واستخدمت الإذاعة منهج العمل الميدانى وقياس الرأى العام فى تفهم حاجات الجماهير ، وحاولت ولا تزال تحاول - أن تصل ما بين الإنتاج من ناحية وبين التلقى من ناحية أخرى . وهذا ما سارت عليه أوعية الثقافة على اختلافها ، فقد تفننت فى وضع الأسئلة التى تكشف عن رغبات المفيدين من هذه الوسائط على تباعد ديارهم ، وتباين مهنهم بعد ذلك بتحليل الإجابات لكى تفيد من النتائج فى وضع البرامج وتلبية ما يطلبه أولئك وهؤلاء ، من آداب وفنون رسمية وشعبية .

ويلاحظ الدكتور يونس ، أن أوعية الثقافة الجديدة - من وسائل الاتصال بالجماهير قد بعثت مرة أخرى الفلسفة البلاغية القديمة ، وبخاصة فى أن الفن إنما يستهدف المخاطبين أو المتلقين بالدرجة الأولى ، أى أن الأثر الفنى يقوم على مقومات الصناعة ، وهى تصميم العمل طبقا لمقال سابق ، وثانيا تنفيذ هذا العمل على أساس من قواعد محكمة ، تعنى أولا ، وأخيرا بعلاقة الجزء بالجزء وعلاقة الجزء بالكل ، وثالثا افتقار هذا العمل إلى آلات وأجهزة لا يمكن أن يتحقق بدونها ، والمقوم الوحيد الذى يخرج من مجال الصناعة هو أن البرامج الفنية ليست مجرد إعادة لصياغة مادة سابقة .

ونخلص مما تقدم الى أن الإذاعة اللاسلكية بين وسائل الاتصال بالجماهير لم تكن إحلالا لتيار الحضارة الآلية الحديث محل التربية التقليدية التى ساعدت على التلوين الثقافى ، وإنما عززتها ، ودعمت أساليبها ، كما أسهمت فى تحقيق ديمقراطية الثقافة ونشرها بين الجماهير وليس يخشى من هذه الوسيلة الجديدة على الفردية الخلاقة Indvidualisme ، على النحو الذى ذهب اليه ديهاميل ، من أن الناس سيصبحون جميعا نسخا متشابهة لا أصالة لأى منها ،فتصير عقليتهم عقلية القطيع . ذلك أن الأفراد يختلفون اختلافا كبيرا من حيث قدرتهم على الاتصال من ناحية ومن حيث الفرص الاتصالية السانحة أمامهم من ناحية أخرى ، وحيث يلاحظ أن الفروق الفردية فى القدرة الموروثة والاستعداد والتمرين والمعرفة تقف حائلا دون المشاركة المتساوية فى ثقافة مجتمع معين فى فترة معينة ، كما نجد أيضا فى مجال الأشكال الكلامية - مدى واسعا من الألفاظ ، يتفاوت الناس وفقا له تفاوتا كبيرا ، وملحوظا ، وهنا نقول إن الاتصال قد يوسع

مجال الاهتمام دون أن ـ يصاحب ذلك تعمق أو اتساع فى مجال الفهم المتعلق بالثقافة ، فبينما يتعلم قارىء الصحف شيئا عن السياسة الإمريكية أو الروسية أو الإنجليزية أو الفرنسية الا أنه عادة ما يكون على قدر ضئيل من الفهم بالنظم السياسية الأمريكية والروسية والإنجليزية والفرنسية (٢٣) .

ثالثا : تعريف البرامج الثقافية :

وتأسيساً على ما تقدم يمكن تعريف البرامج الثقافية فى الإذاعة المسموعة على أنها :

البرامج التى تقدم من إذاعة « عامة » وليست متخصصة كإذاعة البرنامج الثانى وتبسط موضوعا أو فكرة ثقافية فى صورة إذاعية مقبولة تقوم على الإفادة من إمكانات الفن الإذاعى ، تتميز بالتجديد والتبسيط فى تقديم ثمرات الفكر والفن والعلم على أوسع نطاق وفى أرحب دائرة دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى فى الإنتاج الثقافى إلا دفعا لها الى مزيد من التفوق والإجادة .

فالبرامج الثقافية فى الإذاعة العامة كالبرنامج العام فى مصر مثلا لا تتوجه الى الصفوة وإنما تتوجه الى الجماهير كلها ، والإذاعة بذلك تسعى الى تحقيق المدلول الخاص للثقافة من حيث تقديم المعارف والخبرات والمهارات للمستمعين ، والبرامج الثقافية تقوم كذلك بالتقريب بين أصحاب الثقافتين : العلمية والأدبية ، كنتيجة لما لوحظ من جهالة الأدباء بالعلم وجهالة العلماء بالأدب ، كما سيجىء ونخلص من ذلك الى أن البرامج الثقافية هى التى تتوجه الى الجمهور العام من جهة بهدف تثقيفه ، وهى التى تتوجه الى ذوى الثقافتين العلمية أو الأدبية من جهة أخرى بهدف تهيئة العقول لقبول الثقافة مهما تختلف فروعها ومهما تكن مادتها . وينبغى أن يقوم البرنامج الثقافى على عدة معايير أساسية :

(أ) معايير البرنامج الثقافى :

١ ــ أن يفيد من إمكانات الإذاعة فى تقديم الثقافة للجماهير فى شكل مستساغ سمعيا .

٢ ــ أن يعتمد على تبسيط الثقافة تبسيطا لا يهبط بمستواها وإنما يجعلها مفهومة .

٣ ــ أن يتخطى عقبات الملل الذى يصاحب المادة الجافة من خلال استخدام العناصر الدرامية ووسائل جذب الانتباه .

٤ ــ أن تتنوع البرامج الثقافية بحيث تحقق التكامل بين فروع الثقافة المختلفة .

٥ ــ أن ترتبط هذه البرامج الثقافية بمفهوم الثقافة باعتبارها كيانا له مقوماته التى تميزه عن التعليم من ناحية وعن الإعلام والترشيد من ناحية أخرى .

(ب) البرامج الثقافية وانتشار الثقافة :

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن البرامج الثقافية تتمثل طبيعة الانتشار الثقافى من الكبار إلى الصغار فى حركة دينامية ، كما تقوم على نماذج لها قدرة من العمومية ، وعلى تبسيط المعارف ، والخبرات تبعا للقدرات فى مراحل النمو المختلفة ، وبصور مختلفة ، وبعبارات مختلفة عن تلك التى تستعمل فى الحياة اليومية.

والبرامج الثقافية حين تتوسل بالإذاعة فى الانتشار بين جماهير المستمعين فإنها تنقل الثقافة من أعلى الكيان الاجتماعى الى أسفل الكيان الاجتماعى ، أيا كان شكل هذا الكيان ، فالثقافة تتحول من الخبراء الذين يعرفون الى الذين تقل معرفتهم والخبرة بالشكل البدهى الظاهر تنتقل من القمة ، من الممتاز الى الأقل امتيازا ، أى الذى يعرف أكثر الى الذى يعرف أقل ، على أنه يجب أن نذكر هنا تحفظين نجدهما عند الأنثروبولوجيين وعلماء الفولكلور عندما يتحدثون عن الثقافة الشعبية فى انتشارها ، إذ يذهبون الى وجود حركتين متوازيتين مع ما تقدم .

ــ من الصغار الى الكبار .

ــ من القاعدة الى القمة .

ذلك أن هؤلاء العلماء يذهبون الى الثقافة وهى موضوع علمهم ، وان كانوا يختلفون فى تعريفها ، وفى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان هناك شبه اتفاق عام بين العلماء على الأخذ بالتعريف الشهير الذى وضعه العلامة « تايلور » وافتتح به كتابه « الثقافة البدائية » وفيه يقول : « الثقافة » هى ذلك الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا فى مجتمع[٢٤] » .

ومهما يكن من شىء ، فإن هناك ـ كما تقدم ـ ثقافتين الأولى هى ثقافة القلة المفكرة ، والثقافة الثانية هى ثقافة الكثرة العاملة وعلى حين فرغت القلة للتفكير ، فرغت الكثرة للعمل ، تحمل أعباء الحياة كلها على عاتقها فى الحقول وفى المصانع ، ومع كل خطوة على وجه الأرض وفى جوفها ، ومع كل حركة على سطح البحر والأنهار وفى جوفها .

وما فكرت القلة الا لتريح الكثرة من عناء الفكر ، وما عملت الكثرة إلا لتخلى القلة لتفكيرها . أخذ وعطاء كان يجب أن تقوم عليه الثقافتان الأولى والثانية غير أن العهود الأرستقراطية التى مرت تقصر ثقافة القلة على القلة ، وتجعل الثقافة الأولى بمعزل عن الثقافة الثانية ، وحين عاشت الثقافتان لا صلة لإحداهما بالأخرى عاشت الثقافة الأولى تدور حول نفسها ، ولا تملى إلا عن نفسها ، ولا تعبر إلا عن نفسها ، لا صدى فيها للشعب ولا أثر فيها للشعب ، ولا توجيه فيها للشعب .

وهناك من يقسم الثقافة قسمين آخرين : يطلق على أحدهما عادة اسم الثقافة الأدبية ، وعلى الآخر الثقافة العلمية ويتجه أفراد الثقافة الأدبية بسبب تعليمهم وطبيعة ميولهم واستعداداتهم الفطرية الى كل ما يمت للأدب ، بما تنطوى عليه الكلمة من عناصر الإطلاق والتعميم كالثروة الشعرية ، النثرية والدراما ، والرواية والقصة وتذوق الجمال والسلاسة فى ألفاظها والسمو فى معانيها ، سواء أكان ذلك فى اللغة القومية أم فى اللغات الاجنبية ، أم فى هذه وتلك معا . ويتجه أفراد الثقافة العلمية الى المواد الرياضية ، والطبيعية ، والكيميائية والفلكية ، والبيولوجية والسيكولوجية ، ويميلون عادة الى البحث عن الصلة بين هذه المواد وتطبيقها على الحياة اليومية تطبيقا عمليا ، بجانب دراستها من الناحية النظرية البحتة .. وهذا بخلاف الثقافة الأدبية التى تميل الدراسة فيها إلى أن تكون نظرية خالصة .

واذا كان الفن الإذاعى ، قد اتجه الى الصفوة المثقفة ، حين خصص إذاعات كاملة تقوم على الثقافة الرفيعة ، كاذاعة البرنامج الثانى فإن الفن الإذاعى المتجه الى الجماهير العريضة حين يخصص برامج ثقافية « يتوجه بها الى الجماهير » فإنه كذلك من خلال هذه البرامج يسعى الى التقريب بين الثقافتين العلمية والأدبية كنتيجة لما لوحظ من جهالة الأدباء بالعلم وجهالة العلماء بالأدب وقد صور سيرتشارلس سنو فى كتابه « الثقافتان والثورة العلمية » صورا واضحة للفروق الشاسعة بين أولئك الذين نشئوا نشأة أدبية بحته ، وأقرانهم الذين عاشوا فى معامل الأبحاث والأجهزة العلمية يقول :

« كلما ألقيت نظرة على كل من أفراد هاتين الطائفتين الذين بلغت ثقافتهم منزلة أرستقراطية ممتازة ، تبين لى أنهما يتفقان فى عنصر السلالة والدم ، وفيما حبتهم الطبيعة من نعمة الذكاء ، وأنهما لا يختلفان كثيرا فى الأصل الاجتماعى الذى ينحدران منه ، كما أنهما يتساويان تقريبا فى الحالة المالية . ولكنهما برغم ما بينهما من عوامل التجانس والتشابه هذه ، كفا عن الاتصال ببعضهما البعض ، وأن الشقة بينهما من النواحى الذهنية والخلقية والسيكولوجية قد بلغت من الاتساع درجة ، انهارت بسببها كافة العوامل المشتركة بينهما ، حتى اذا انتقلت من الفريق الواحد الى الفريق الآخر فى المدينة الواحدة أو الحى الواحد ، خيل اليك أنك انتقلت الى ما وراء البحار ، ولا شك أن العيب فى هذه الظاهرة ينسب ، كما جرت العادة ، الى النظم التربوية ، كما نراها فى انجلترا وفرنسا وفى مصر وغيرها من البلدان التى نسجت على منوالها . فمن الملاحظ أن المتعلمين والمشتغلين بالعلوم الطبيعية الحديثة فى هذه الدول ، لا يميلون الى عناصر الثقافة الأدبية والفنية والتقليدية ، ولا يتذوقونها (اذا استثنينا الموسيقى) بسبب هذا النوع من النظام التعليمى . فمن جهابذة العلوم الطبيعية فى انجلترا وفرنسا الذين يقرعون بعض

كتب الأدب أحيانا يعسر عليهم فهم ديكنز وشكسبير ، كما يعسر على زملائهم فى البلدان العربية فهم أبى تمام والبحترى والنابغة الذبيانى ، ولا نبالغ إذا قلنا إنهم فى هذه البلاد قلما يلمون بشىء من مؤلفات طه حسين والعقاد وسائر رجال الأدب المعاصرين .

وتأسيسا على هذا الفهم ،يمكن القول إن البرامج الثقافية هى التى تتوجه إلى الجمهور العام من جهة بغية تثقيف الجماهير، وهى التى تتوجه الى ذوى الثقافتين العلمية أو الأدبية من جهة أخرى بغية تهيئة العقول لقبول الثقافة مهما تختلف فروعها ، ومهما تكن مادتها . وكان القدماء ـ كما يقول طه حسين ـ من الأدباء لا يحبون أن يقف الأدب بأدبه عند الشعر والنثر والنقد وإنما يستطيع أن يأخذ من كل شىء بطرف كما كان يقال فى الأيام الماضية .. ومن المحقق أن أفلاطون أو أرسطاليس كانوا علماء وكانوا مثقفين بالقياس الى العصور التى عاشوا فيها ولم يظفر أحدهم باجازة جامعية ، لأن ذلك لم يكن معروفا فى أيامهم . وهم مع ذلك ملئوا الأرض علما وثقافة .

واذا كان العالم المتخصص فى فرع بعينه من فروع العلم مكلفا أن ينفع الناس بهذا العلم ، فإن الإذاعة ـ من خلال برامجها الثقافية ـ مسئولة عن توسيع نطاق الثقافة ونشرها بين الجماهير من جهة ، ومسئولة من جهة أخرى بأن تضىء للناس سبل الحياة من خلال برامجها الثقافية المتنوعة . ذلك أن الثقافة ـ كما يقول طه حسين ـ تجمع بين هاتين الخصلتين فهى معرفة يجب ان تنتشر بين الناس ، وهى فى الوقت نفسه تذكى عقل المثقف وتيسر له فهم الحياة وتعينه على حل بعض المشكلات التى تعرض للناس فى حياتهم اليومية[٢٥] .

ومن العلماء المتخصصين من يقف بتخصصه عند حد معين ، وهو حين يفعل ذلك يفقد صفة التخصص ، ويصبح صاحب فن من الفنون التطبيقية يمارس فنه ويعيش منه ، ويفرض ذلك على البرامج الثقافية متابعة التقدم العلمى والثقافى بوجه عام . فالمعرفة الإنسانية لا تعرف الحدود ، وإنما هى متحركة أبدا ومتحركة دائما ولا يدركها الركود إلا حين تصيب الحضارة آفة من الآفات أو عارض من العوارض فتمنع العقل من نشاطه وتكف المعرفة عن المضى الى أمام : « فالعالم المتخصص حقا يتجدد علمه فى غير انقطاع ، والمثقف الجدير بهذه الصفة تتجدد ثقافته فى غير انقطاع . وكلما ازداد تخصص العالم أو اتسعت ثقافة الرجل المثقف عظمت تبعته أمام بيئته ووطنه ، ووجب عليه أن ينفع الناس بكل ما حصل وبكل ما اكتسب .

ويفرض هذا الفهم على البرامج الثقافية الإذاعية أن تعيش بين الناس وتفهم حياتهم وتتعمق نظمهم الاجتماعية والسياسية وتلاحظ نشاطهم اليومى لتكون نافعة حق النفع ، ولتكون لهم معلماً وهاديا الى الخير ولكيلا تتحول الى ثرثرة ينبغى عليها أن تضع الثقافة

موضع الحاجة اليها وليشعر الناس بأن الإذاعة نافعة لهم حقا ، تعلمهم ما لم يعلموا ، وتدلهم من سبل الرقى على ما لم يهتدوا اليه .

وتستهدف البرامج الثقافية التأثير فى اتجاهات الأفراد وسلوكهم وتوجيهها نحو النفع والخير والرقى على النحو المتقدم ، كما تستهدف مساعدة الجماهير على تتبع تقدم الإنسانية فى مختلف ميادين العلم والفن والثقافة ، فالثقافة التى تستهدف الإذاعة تحقيقها تمكن المواطن من الإلمام بأهم الاتجاهات السائدة فى عصره ، وبحيث يصبح مؤثرا فيها ومتأثرا بها .

وتحقيق الثقافة بهذا المعنى يستلزم برامج تثقيفية متعددة ـ فهناك برامج الثقافة الأدبية ، وهناك برامج الثقافة العلمية ، وبرامج الثقافة الصحية ، وبرامج الثقافة النفسية ، وبرامج الثقافة الدينية ، وغير ذلك كثير من البرامج الثقافية التى يمكن التعرف على أهدافها من أسمائها .

الإذاعة وتبسيط الثقافة :

كما يقدم الراديو مواد ثقافية فى صورة أحاديث أو محاضرات أو ندوات وهنا نجد أن البرامج الثقافية يجب أن تتسم بالبساطة والتبسيط[٢٦] : « وهنا كثيرا ما يقع المشرفون على الإذاعة فى خطأ كبير هو ظنهم أن تقديم مثل هذه المواد لا يحتاج الى كبار الأساتذة والعلماء والمفكرين ، بل قد يكفى لذلك أوساطهم أو المبتدئون منهم . وذلك مع أن تبسيط المعرفة لا يستطيعه الا أكبر الأساتذة والمفكرين ، لأن التبسيط يتطلب ممن يقوم به أن يكون قد تمثل المادة وهضمها هضما تاما ، كما أنه يتعرض لخطرين كبيرين : أولهما الإسهاب الضار الذى تتميع فيه المادة وتختلط التفصيلات بالحقائق الكبرى التى يجب التركيز عليها وإيضاحها كمسامير أساسية للثقافة . وثانيهما الغموض الذى يأتى من غموض فى عقل المتحدث نتيجة لعدم سيطرته على المادة التى يتحدث عنها أو نتيجة لإيجاز مخل يقع فيه أو احالة على مجاهيل بالنسبة للسامعين . ومن المعلوم أن السامع يطلب سهولة ووضوحا وتشويقا يجذبه الى متابعة الحديث واستيعابه فى شرحة ، وبخاصة أنه لا يستطيع توقعا للفهم ، أو مراجعة لما يسمع ، أو استيضاحا للمتحدث ، على نحو ما يفعل عندما يقرأ كتابا أو يستمع الى أستاذ يحاضر فى قاعة الدرس » .

ومن الواضح ـ كما يقول الدكتور مندور ـ أن تبسيط المعرفة لا يعنى اختزالها ،وذلك لما هو معلوم من أن المعرفة المختزلة المتيسرة قد تكون أكثر ضررا من الجهل . فنقص المعرفة بالأمراض المختلفة مثلا ووسائل علاجها قد يقود المستمعين الى أوهام وكوارث صحية . وهكذا الأمر فى علوم وفنون التخصص الأخرى التى يجب ألا يعمل الراديو على إيهام الناس بأنهم يعلمون عنها شيئا ذا غناء مع أن الجهل أسلم عاقبة من هذه النتف

الضارة ولذلك ربما كان من الخير أن يفيد الراديو من أحدث وسائل وفنون تبسيط العلوم ، فتوصيل الثقافة للجماهير ـ كما يذهب الى ذلك الدكتور حسين فوزى ـ ليس أبدا بأن نهبط بها عن مستواها ولذلك يجب أن نفصل بين البرامج الإعلامية والبرامج الثقافية ، والبرامج الترويحية ، ولا نقصد بذلك أن يتم هذا الفصل عند نهايتها عندما تصل الى جمهور المتلقين لأن ذلك يتعذر ، فبائع الكتب مثلا يعرض كل أنواع الكتب ، الجيد منها والغث ، ولانستطيع أن نمنعه من ذلك ، بل نقصد أن يكون الفصل عند المنبع ، لأن ـ الإعلام بطبيعته أقوى من الثقافة ، فإذا لم نفصل بينهما عند المنبع فلابد أن يحول الإعلام الثقافة الى عبد له ، ويسخرها فى خدمة أهدافه ، وهذا أخطر ما يمكن أن تتعرض له الثقافة[٢٧] .

ويذهب الدكتور فوزى ـ الى أن الإذاعة أداة خلاقة ومنفذة لشئون الثقافة والإعلام والترفيه كلها ، يقتضى الأمر أن تصلها الروافد كل بحسب منبعه الخاص وعليها هى أن تجرى عملية « المزج الفنى » سواء فى البرنامج الواحد ، أو فى تعدد البرامج .

ولقد عرفنا أن الإذاعة كفن جديد استمدت مادتها فى بداية الأمر من الفنون السابقة عليها فى المجتمع ، ثم أعدتها الإعداد الخاص بها ، كما رأينا أن برامج الإذاعة بصورة عامة تقوم على الموسيقى والكلمة المنطوقة ، والبرامج الثقافية تقوم على هذين الركنين الإذاعيين ، بحيث يمكن القول إنها برامج تستخدم فيها جميع إمكانات الراديو ، من موسيقى ، وتسجيل داخل الاستوديو ، ولقاء ميكرفون فى صورة حوار بين اثنين ـ ولقاء ميكرفون مع أكثر من فرد .. وتسجيل خارج الأستديو ، ومؤثرات صوتية إلخ[٢٨] ...

وليس معنى ذلك أن كل برنامج ثقافى ينبغى حتما أن تستخدم فيه كل هذه الإمكانات دفعة واحدة ، بل المقصود أن البرنامج الثقافى له اكثر من دعامة يستند إليها . كما أن البرنامج الثقافى يعتمد على تبسيط المعرفة والثقافة ، كما تقدم ، وهذا التبسيط هو مادته ومحتواه فهو لا يعتمد على الخيال وإنما يقوم على العلم والمعرفة والثقافة بفروعها ، وهذا يجعل مهمة معد البرنامج الثقافى مهمة دقيقة ، ذلك لأن البرنامج الثقافى كذلك يخاطب العقل ، كما يخاطب العاطفة ، فهو برنامج وظيفى هادف ، ولكنه يجب أن يتخطى عقبات الملل الذى يصاحب المادة الجافة الأمر الذى يجعله يفيد من الإمكانات الدرامية ، ووسائل جذب الانتباه وهو لذلك برنامج يتميز بالحركة والحركة السريعة ، كما أن البرنامج الثقافى برنامج قابل للتطور الدائم ، ويتميز بموضوعيته ومعالجته للثقافة بمختلف فروعها . تلك كلها مميزات تتميز بها البرامج الثقافية ، بحيث يمكن القول إنها البرامج التى تبسط موضوعا أو فكرة ثقافية فى صورة إذاعية مقبولة تقوم على الإفادة من إمكانات الفن الإذاعى ، تتميز بالتحديد والتبسيط فى تقديم ثمرات الفكر والفن والعلم على أوسع نطاق وفى أرحب دائرة ،

دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى فى الإنتاج الثقافى ، إلا دفعا لها الى مزيد من التفوق والاجادة .

فالبرامج الثقافية فى الإذاعة العامة ـ كالبرنامج العام ـ لا تتوجه الى الصفوة كما يتوجه البرنامج الثانى ـ وإنما تتوجه الى الجماهير كلها كما تقدم وكان طبيعيا إذن أن ترتبط هذه البرامج بمفهوم الثقافة باعتبارها كيانا له مقوماته التى تميزه عن التعليم من ناحية وعن الإعلام والترشيد من ناحية أخرى ، وان تداخلت الوسائل التى تحمل العناصر الثقافية وتعمل على بثها عن طريق الكلمة والصوت والصورة .

وكان ارتباط البرامج الثقافية بالإذاعة ووسائل الاتصال الجماهيرية تأكيدا لحق الجماهير فى استكمال مقوماتها الإنسانية بواسطة الثقافة ، وموضحا للجانب الوظيفى للثقافة باعتبارها « عصا الميزان » التى تجعل التطور الفكرى والوجدانى لجماهير الشعب مسايرا للتطور المادى الذى يستحدثه العلم التطبيعى فى عالم الإنتاج الكبير » .

ومن ذلك يتضح أن البرامج الثقافية الإذاعية ليست مجرد تعبير عن الحاضر بل تنمية لامكاناته ، وتنوير به ، وتصفيته ، واثراؤه ، وتحويره وذلك أن مهمة البرامج الثقافية لا تقف عند حد التسجيل ، وإنما تعتبر وسيلة إثراء وتطوير عن طريق تنوير الوعى حتى يحاط عمل المرء بجو فكرى يجعل منه إنسانا يعيش قيم عصره ويشارك فى توجيهها ، فلا سبيل لنا الى « ذلك بالقاء الأوامر ، أو بيان قوائم المشروع وغير المشروع والا ضاع مفهوم الثقافة ، إذ يستلب بها المرء ، فيظل أداة ووسيلة لا يتفاعل مع ما يعمل ، ولكن آليا . فلا مناص إذن من أن تكون الثقافة وسيلة تنمية الوعى الحر تنمية رشيدة ثمرتها انتقال الفرد الى مرحلة الرشد الإنسانى[٢٩] » .

البرامج الثقافية بين الفكر والفن :

ومن ثم نصل الى مجالين كبيرين من مجالات البرامج الثقافية الإذاعية كل منهما مندرج فى مفهوم الثقافة بمعناها المراد السابق : البرامج الثقافية تقوم بالاستنارة الفكرية المحضة ، عن طريق تغذية العقول بما تمخضت عنه الإنسانية من نظريات وأفكار تمس طريق السلوك ، بقصد الوقوف على حقيقتها أولا ، فضلا عن تقويمها وذلك عن طريق تقديم ثمار التأليف والترجمة فيما يخص مسائل الثقافة إذاعيا ، أى تنوير الوعى العام منهجيا وعلميا ، ويندرج فى هذا النوع من البرامج ميدان النقد الفنى من حيث الدراسة المنهجية والنظرية والفلسفية للأدب وأجناسه وعلوم الجمال . والنوع الثانى من البرامج الثقافية معنى بالنشاط الفنى وهو ينصرف جوهريا إلى النشاط الأدبى ، وما يتصل به عن قرب من فنون جميلة أخرى .

وأهم ما يميز النشاط الجمالى فى البرامج الثقافية من أدب وفنون أنه مثير الفكر والشعور معا ، مما يتيح للبرامج الإذاعية استغلال قوالب فنية ناضجة ذات أثر عميق فى الوعى وفى توجيهه وجهة إيجابية . وللأدب الصدارة فى هذا المجال ، كما يذهب الى ذلك المرحوم الدكتور غنيمى هلال ، ذلك أن الأدب اذا أحكمت بنيته الإذاعية يتميز بالإقناع المثير الذى يتوجه الى الفكر من خلال الصور السمعية ، فيمس مناطق الفكر والشعور معا ، ويثير الإرادة الى العمل ، كما ينمى الوعى الإنسانى ويعمقه تعميقا .

والبرامج الثقافية ـ فى هذا المجال الفكرى ـ لا صلة لها بإلقاء الأخبار او الاوامر ، حتى لو كانت الأوامر مشروحة فى ذاتها ، دون أن تدعمها النظريات والأفكار ، والا فقدت الثقافة الفكرية جوهرها المتحضر ، كما يقول الدكتور هلال ـ فى خلق المواطن الإيجابى المتصرف عن اقتناع ، والمشارك بجهوده فى عصره وقومه ، وفيما يخص البرامج الثقافية فى مجالها الفنى ، لا شك أن القوالب الأدبية إذا لم تتضح فيها القدرة الفنية ، فانفصلت فيها الفكرة عن قالبها ، وطغت على شكلها ، فبرزت صريحة مباشرة ، فإن خطر ذلك لا يقتصر على الهبوط بمستوى العمل الفنى ، ولكنه يتعدى ذلك إلى ابتذال الفكرة نفسها ، تصبح مباشرة ، مما يخرج بها عن مجال الثقافة أولا ، ثم يفقدها كل تأثير لها ثانيا . فالإحكام الفنى يجب أن نحرص عليه فى البرامج الثقافية ، لا من أجل الفن والأدب فحسب ، ولكننا نحرص عليه لأن الأدب ـ بدونه لا يكون أدبا ، لأنه يهبط الى مجرد الإرشاد أو الإعلام المباشر . وفى هذه الحال لا يبعث على تحريك الفكر ولا على بعث الإرادة .

والسؤال الآن ماذا يستطيع الراديو أن يقوم به فى أداء وظيفة « التثقيف » ؟ .

فى ميدان توصيل الثقافة والتأثير على الاتجاهات فكريا وفنيا ، ينبغى أن نفرق أولا بين الثقافة ومجالات الإعلام والاخبار ، وأن نفرق ثانيا بين وسائل الاتصال وبعضها البعض ما دامت المعلومات المراد توصيلها توجد فى ظروف مماثلة وتحوى نفس الموضوع وتخاطب نفس الجمهور . وقد أمكن إثبات هذا من خلال الأبحاث التى أجريت . فقد ثبت دون أدنى شك أنه مهما تكن وسيلة الاتصال فإن كمية المعرفة التى يمكن أن يمتصها الشخص تتوقف على نفس العوامل ، ألا وهى . مدى صلتها وصحتها من المصدر لتشعر المستمع انه يشارك فيها ويتواجد فى مكان حدوثها . والإذاعة تستطيع أن تجعل من الثقافة أمرا كثير المرونة بما تسهم به من اقلمة سريعة للعالم الكثير التغير ، كما أن بإمكانها أن تكشف للوعى عن عوالم وآفاق ما كان لها أن تبين لو ظلت تجريدية ، وطالما استشهد المصلحون والمفكرون ، بل وعلماء النفس ، بالنماذج الأدبية التى كانت من محض الخلق الأدبى ، مثل النماذج الأدبية التى خلفها شكسبير وجوته وبلزاك

وسرفانتس ، وديستويفسكى .. إلخ . وأى برنامج ثقافى إذاعى يمكنه أن يتوسل بأساليب الإنتاج والإخراج التى تشد الانتباه وتجذب الناس ، بل وتسهم فى التنوير بما تعرضه من تحديات للذهن ، كما تستطيع أن تؤثر على المشاعر والاتجاهات ، لأنها تصل الى جماهير تختلف من حيث قدراتها الذهنية ، لم يكن من الممكن الوصول اليها إلا عن طريق الجديد جدا من الوسائل السمعية ، كل هذا يمنح الراديو مكانا متميزا من حيث قدرتـه على التثقيف ، بل وعلى إثارة الرغبة فى الثقافة

الهوامش

(١) عبد الحميد يونس : «الثقافة والجماهير» ـ محاضرات القاها فى هيئة الاستعلامات ـ القاهرة ١٩٧٢ .

(٢) فؤاد زكريا : «الاذاعة المرئيةْ والثقافة العربية المعاصرة» فى حلقة الاذاعة العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ مرجع سابق ذكره ص ٦٥ .

(٣) جورج ديهاميل (ترجمة الدكتور محمد مندور) : الدفاع عن الأدب (القاهرة دار الكاتب العربى ، بدون تاريخ) ، ص ٣٤ .

(٤) Cherif khazndar: Radio et celture de messe" dans, Jean Tardieu, Grandeurs et Faiklesses de la Radio, (paris, unesco, 1989 p. 190.

(٦) Cherif khazendar, op . cit, p. 190

(٧) Lucien karpik, speificite de la dociologie anericaine, dans, **Le monde,** suppl. au no 7056, 20 septembre 1967.

(٨) عبد العزيز شرف : عباس العقاد بين الصحافة والأدب (القاهرة : مكتبة الانجلو : ١٩٨٠) ، ص ١٨٠ .

(٩) عبد العزيز شرف : طه حسين وزوال المجتمع التقليدى ، (القاهرة : هيئة الكتاب ، ١٩٧٦) ، ص ١٧٥

(١٠) زكى نجيب محمود : «جماعة المثقفين» ـ جريدة الأهرام فى ٢٠ يونية ١٩٧٥ .

(١١) ت . س . اليوت : ملاحظات نحو تعريف الثقافة ، (ترجمة شكرى عياد) (القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ١٩٦٤) ص ص ١٥ ، ٢٣ .

(١٢) ابراهيم الابيارى : « بين ثقافتين » فى مجلة المجلة ع . ٦٢٧ فى نوفمبر ١٩٦٢ .

(١٣) ماهر كامل وامين عبد الله صالح : ثقافة اساسية (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧) ، ص ١٦ .

(١٤) Bogardus, E. S., sociology, N. X. Macmillan, 1950, p. 49.

(١٥) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩) ، ص ١٧ .

(١٦) عبد الحميد الحديدى : «الاذاعة وسيلة حديثة للثقافة فى مجلة الفن الاذاعى ع ٢ م ١ يناير ١٩٥٧ » ص ١٠ .

(١٧) Jean Tardieu, La Radil au carrefour des arts et des Techniques dans, Jean Tardieu, op cit p. 18

(١٨) مارتن اسلن (ترجمة الدكتور ابراهيم امام) ، : « التليفزيون بين الكم الجماهيرى المطلوب ، والكيف الفنى المعروض» مجلة العلم والمجتمع الطبعة العربية من مجلة Impact ع ٣ م ٥١ يونيو ١٩٧١ .

(١٩) ابراهيم امام ، دراسات فى الفن الصحفى (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠) ، ص ٧ .
(٢٠) Jean Tardieu, op. cit., p. 19
(٢١) أنور المشرى : «البرامج الاذاعية واخراجها» فى فن الاذاعة» (سرس الليان ، مركز تنمية المجتمع : ١٩٦٢) ، ص ٤٦
(٢٢) D. M. White, Mass communications, Research: A View in perspective in, Dexter and White, (eds)., people society and Mass Commanicution, cglencoe, Illinois, 1964) pp. 521-546
(٢٣) W. Albig, Modern public opinion, (N. Y. Me Graw-Hill Booke Company, (1956), pp. 34-65
(٢٤) الدكتور عاطف وصفى : الثقافة والشخصية (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٤) ص ٦٨ .
Tylore E. Primitine (London, John Muray) 1913J, p. 3
(٢٥) الدكتور طه حسين : «ثقافة . . . ومتقفون «جريدة الجمهورية» فى ٩ ديسمبر ١٩٦١ .
(٢٦) محمد مندور : المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٢٧) فى مجلة الكاتب ع ٢٥ م ٣ فى ابريل ١٩٦٣ (رحلة مع السندباد العصرى) .
(٢٨) عبد الحميدشكرى : «مفهوم البرنامج الخاص فى الفن الاذاعى » ع ٤ م ١٢ يناير ١٩٦٨ .
(٢٩) محمد غنيمى هلال : «الثقافة واجهزتها بين الكم والكيف» ـ مجلة الكاتب ـ يناير ١٩٦٠ .

الفصل الثانى

المعايير الإذاعية للبرامج الثقافية

حين نتحدث عن معايير البرامج الثقافية ، فاننا ننطلق من اعتبار هذه البرامج مشروعا ثقافيا متداخلا ، يجب أن يتم بطريقة تكفل السيطرة على عناصره الاساسية ، وهى العناصر التى نحاول تقويم البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب على أساسها :

١ ـــ تخطيط البرامج الثقافية .

٢ ـــ إنتاج البرامج وما تتطلبه من مواد مساعدة .

٣ ـــ استخدام هذه البرامج .

٤ ـــ المتابعة والتقويم .

أولا : تحديد الاهداف ومشكلات التخطيط :

تتناول البرامج الثقافية فى مضمونها الوان الثقافة المختلفة من آداب وفنون وعلوم ، سواء كان ذلك مباشرة عن طريق تعريف المستمع بأحدث الأعمال الأدبية والكتب وإعداد عرض سريع لها وبإقامة الندوات الأدبية والفنية أو بطريقة غير مباشرة بتضمين هذه الأعمال فى قالب درامى أو نصف درامى .

والحقيقة أنه من غير المجدى أن نصف أى برنامج إذاعى بأنه برنامج ثقافى أو غير ثقافى على أساس الشكل الذى يقدم به هذا البرنامج أو ذاك والخط الفاصل هنا يجب أن يكون على أساس المضمون والهدف والاثر الذى يحدثه البرنامج وكل برنامج يمكن أن يعتبر ثقافيا إذا كان هدفه الأول هو توسيع الآفاق وتعميق الفهم ورفع المستوى التذوقى ، مهما كان شكل هذا البرنامج وطالما أنه بعيد عن الدعاية الرخيصة أو الإعلان البغيض[١] .

مشكلات التخطيط :

إن تحديد الهدف فى تنفيذ خطة متكاملة يجب أن يرتكز على معرفة عميقة باحتمالات وحدود الوسيلة المستخدمة ، فكل وسيلة من وسائل الاتصال لها ميزات تساعدها على الإسهام بذاتها . واذا ما استخدمت الوسائل معا وفى وقت واحد فإنها تشد بعضها البعض وتمهد السبيل لثقافة حية يمكن أن تحتوى على العديد من القواعد العريضة لمهام الثقافة ، ولكن على الرغم من ذلك فإنه يجب الا تفرض وسائل الإعلام ذاتها اهدافا ثقافية معينة بل على العكس فإن الأهداف هى التى تفرض نفسها على الوسيلة ، بل وعلى الطريقة وعلى السبل الفنية والاتجاهات التى تسهم فى علاج اية مشكلة ثقافية ما ، بمعنى أن الأهداف هى التى تحدد المهام وهى التى تحدد الوسيلة بوصفها أحد مكونات المضمون الثقافى .

١ ــ وتحديد الأهداف يجب أن يقوم على معرفة تامة بالأحوال الفنية التى تعمل فى ظلها الوسيلة ، ولذا فانه قبل البدء فى تخطيط أى برنامج ثقافى مهما كان نوعه يجب أن يتم مسح شامل لمدى الرقعة التى تغطيها الوسيلة ولقوة الهوائيات فى بعض المناطق المعينة وفى أوقات معينة ومدى جودة الاستقبال على مدى ساعات الليل والنهار وأصول الصيانة وغيرها من المشاكل الفنية ، وبعض البرامج التى خططت دون دراسة مسبقة لكل هذه العوامل باءت بالفشل الذريع[٢] .

وحين ننظر فى البرنامج العام الذى أنشىء فى ٣١ مايو ١٩٣٤ سنجد أن عدد ساعات إرساله اليومى عند الإنشاء كان ١١ ساعة فقط بلغت ١١ق ٢٠ت فى عام ١٩٧٢ أما صوت العرب الذى أنشىء فى ٤ يوليو ١٩٥٣ بإرسال لا يتجاوز نصف الساعة يوميا فقط فقد زاد إرساله إلى ٢١ ساعة ونصف فى عام ١٩٧٢ . ومن الواضح أيضا أنه ينبغى أن يكون هناك بناء واضح المعالم للنواحى المالية وللموارد البشرية والتنظيمات التى تساعد على نشر الثقافة .

٢ — ويأتى بعد ذلك تخطيط منهج مضمون البرامج ، وذلك عن طريق تكوين لجان مؤلفة من إخصائيين فى الثقافة وفى وسائل الاتصال ، حتى يمكن الاتفاق على الأولويات وكيفية معالجتها .

وتخطيط مضمون البرنامج لايمكن فصله هو الآخر عن الخطة الثقافية للبرامج ككل ، فالبرنامج لابد أن يأخذ فى اعتباره موقف المذيعين مثلا والمادة الثقافية ، وأى العناصر يستحسن أن تقدم عن طريق الإذاعة لذلك يبدو عمل اللجان المتخصصة على درجة كبيرة من الأهمية فى نجاح البرنامج الثقافى الإذاعى . ففى استطاعة هذه اللجان استنباط طرق حديثة واتجاهات علمية جديدة فى نشر الثقافة(٣) .

ومن الافضل ان ترسم خطوات البرنامج ، ويبدأ فى تنفيذها على مراحل وعلى خطوات واعتبارا من رقعة الارسال الى عدد البرامج الى الموضوعات التى ستعالج ثم إلى عدد إجهزة الاستقبال ، واخيرا إلى عدد الجمهور المستهدف .

٣ — وتأسيسا على هذا الفهم ، فإننا نحاول فيما يلى تصور الدور الذى يمكن أن تقوم به البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب ، وهو الدور الذى نرجو أن تكون له شخصية متميزة ومتكاملة فى الإذاعتين موضع المقارنة والدراسة ، أو ما نعنيه بالوحدة والتنوع ، ذلك أن تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية يشير إلى أن التيار الثقافى العام . إنما هو تأليف لمختلف الثقافات المحلية المتميزة التى تعايشت وتعاقبت فى المكان والزمان وتفاعلت وغذى بعضها بعضا ، فانسجمت آخر الأمر وأصبحت احدى دعائم الفكر العربى الإسلامى فى « جوهره وشتى مظاهره وجوانبه المتطورة المتجددة »(٤) .

وفى هذا المعنى يؤكد ت . س إليوت « القيمة المطلقة — فى مجال الثقافة ، هى أن كل منطقة ينبغى أن تكون لها ثقافتها المميزة التى ينبغى ايضا أن تنسجم مع ثقافات المناطق المجاورة وتثريها . وان الثقافة القومية حصيلة عدد غير محدود من الثقافات المحلية التى لو حللت هى نفسها لتبين أنها مكونة من ثقافات محلية أصغر » .

فالتنوع بهذا المعنى هو اثراء للوحدة وتثبيت لجذورها وضمان لبقائها ، واذن فمن الواجب أن تواصل البرامج الاذاعية مع غيرها من الجهود ، الخلق والابداع والابتكار ، وان تسعى فى الإذاعات العربية الى الصدق فى الاستلهام والتعبير والتقارب والتماثل لا التباين والتجافى ، والمساهمة فى بناء الحضارة الإنسانية والحوار الواعى البناء مع كافة البشر ، لا اجترار الماضى أو استهلاك الفكر المدخول(٥) .

فاذا كان التنوع هو الخصوصية والطرافة ــ لا الاقليمية المنطوية على نفسها أو الشعوبية الضالة ــ فانه يكون أكبر دعامة للوحدة الثقافية العربية الإسلامية السليمة وخير مساهمة فى تقدم الفكر الإنسانى المعاصر .

ودراسة البرامج الثقافية فى اذاعتى صوت العرب والبرنامج العام تشير الى ضرورة ضبط مظاهر الوحدة فى الثقافة العربية المعاصرة المنبثقة من حضارة واحدة وهى الحضارة العربية الاسلامية والنظر فى مدى تنوع هذه الثقافة وتعدد روافدها المنصبة فى نهر الثقافة العربية المعاصرة . وبصورة اخرى محاولة تقصى الجدلية الموجودة منذ قديم الزمن بين وحدة الثقافة أو وحدة الثقافات فى البلاد العربية وتنوعها(٦) .

ولعل فى ذلك ما يشير الى الشخصية التى ينبغى أن تتميز بها كل إذاعة من الاذاعات العربية ، فالبرنامج العام يمثل التنوع وصوت العرب يمثل الوحدة فى الثقافة العربية ، وينبغى أن تتكامل الشخصيتان لتحقيق الوحدة والتنوع . على أن أحدث الدراسات التى انتهت اليها هيئة الاذاعة المصرية فى عام ١٩٧٥ للاستماع الإذاعى على مدى أسبوع كامل ، تذهب الي نتيجة هامة حول نسبة عدد المستمعين لكل اذاعة . تقول نتيجة الاستفتاء إن ٦٧ ٪ يستمعون الى البرنامج العام ، ثم اذاعة الشرق الاوسط ويبلغ عدد مستمعيها ٣٢٫٥ ٪ ثم اذاعة صوت العرب وتبلغ نسبة مستمعيها فى مصر ٢١٫٤ ٪ وتأتى بعدها فى الترتيب اذاعة الشعب ونسبة مستمعيها ١٠٫٥ ٪ اما اذاعة القرآن الكريم فيستمع اليها ٤٫٥ ٪ وفى نهاية الاذاعات المصرية يأتى البرنامج الثانى حيث تصل نسبة مستمعيه ٠٫٤ ٪ وفى ذلك ما يلقى تبعة أكبر على الإذاعات العامة وعلى البرامج الثقافية الموجهة الى الجمهور العام ، وربما يرجع السبب فى النسبة الاقل من المستمعين المحليين لاذاعة صوت العرب انها موجهة الى المستمع العربى فى البلاد العربية . وقد اعتمدت هذه الدراسة على النتائج الاولية لبحث بارومتر الاستماع الذى أجرى بمدينة القاهرة وشمل ثلاثة آلاف و ٤٩٩ مواطنا كعينة تمثل سكان العاصمة ، البالغين من العمر ١٥ سنة فاكثر .

ويبين من هذا الاستفتاء عدم وضوح شخصية مميزة للمحطات الإذاعية الأخرى باستثناء البرنامج العام ... سببها أن الجمهور الكبير الذى اعتاد الاستماع للبرنامج العام لسنوات طويلة بوصفه اقدم المحطات ، لم يجد فى أكثر الاذاعات المحلية الأخرى غير صورة لما تعود الاستماع إليه من البرنامج العام ، فآثر البقاء مع الأصل . يقول رئيس الاذاعة انها تحاول تحديد شخصية كل محطة فى ضوء اهدافها والغرض من انشائها من خلال ساعات ارسال البرامج المتشابهة من المحطات المختلفة مع حصر الفقرات المكررة ، وتلك التى لا تلقى الاستجابة المناسبة ، والغائها او تقويتها(٧)

وقد أثار البحث أيضا موضوع العلاقة بين المحطات الإذاعية : هل تتنافس على المستمع ، أم تتكامل فيما بينها ؟.

ولهذا فإن الإذاعة قررت أن تضع نظاماً أكثر احكاما للتنسيق بين المحطات الاذاعية بحيث تمنع التكرار والتضارب فى مختلف صورهما ، وبحيث لا يقتصر الامر على عدم التوافق الزمنى ، بل يمتد إلى منع تقديم الفكرة الواحدة فى أكثر من برنامج واحد مهما اختلفت أسماء البرامج . بل اننا نتطلع الى امتداد هذا التنسيق ليكون أيضا بين الاذاعة والتليفزيون ، بحيث يقدم كل منهما ما يتلاءم مع امكاناته وخصائصه وبغير تعارض زمنى أيضا .

كذلك كشف الاستفتاء ايضا أن التليفزيون قد أثر على الاستماع الى البرامج المسائية التى تقدمها الاذاعة ولهذا قررت الاذاعة مضاعفة الجهود لعرض برامج اذاعية تتسم بالابتكار والتجديد والتشويق ، وتتفهم بالحقائق العلمية حاجات المستمع ، وتطلعاته ، وبهذا تختلط المحطات الاذاعية بجماهيرها . ويمكن أيضا الافادة فى تخطيط البرامج بمراعاة اقبال المستمعين على الفقرات القصيرة التى لا تجاوز خمس الدقائق تمشيا مع الايقاع السريع للعصر . وايضا استثمار البرامج الترفيهية والدرامية فى تحقيق اهداف قومية وثقافية بأساليب مبتكرة تتفهم سيكولوجية الجماهير وحاجاتها المتغيرة .

هذا الفهم ، من شأنه أن يعطى للبرامج الثقافية فى اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، بخاصة ، معنى أرحب وأفقا اشمل ، ودورا أخطر بكثير فى تحقيق الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية ، وليس وجه الصعوبة هنا ما تعرفه من تداخل ماهو قومى مع ماهو محلى ، وما هو عربى مع ما هو إقليمى على صعيد الثقافة العربية بحيث تصبح التفرقة بينهما فى كثير من الاحيان عسيرة أو مصطنعة ، لكن الصعوبة — كما يقول الأستاذ فاروق شوشة — تكمن فى أن الوجدان الثقافى العام للمستمع الذى تتجه اليه النصوص والبرامج الثقافية والاذاعية — وجدان يلتحم فيه القومى بالمحلى .. ومن خلال هذا الالتحام الذى أكده الموروث الثقافى المستمر ، والدين واللغة الأم فى صراعها المستمر مع اللهجات المحلية وهو موضوع يتخذ بعدا خاصا من خلال أجهزة وسائل الاتصال بالجماهير وفى مقدمتها الاذاعة يصبح التحديد القاطع للمفاهيم والاتجاهات والسمات أمرا قد يتضمن بعض الخطر والمجازفة ، كما قد تصبح التفرقة بين ما هو مصرى وما هو عربى — على سبيل المثال — تفرقة تتطلب بحثا حضاريا متكامل العدة والوسيلة وهو أمر لم تتح دراسته حتى الآن(٨) .

ثانيا : الدور الوظيفى للبرامج الثقافية :

وعندما وضع علماء الأنثروبولوجيا تعريفهم الواسع الشامل لكلمة ثقافة اتجهوا الى أن الثقافة بهذا المفهوم كانت وما زالت تؤدى وظيفة فى حياة المجتمعات الإنسانية ... ولذلك فان دراستهم لأنماط السلوك فى التجمعات الانسانية والعادات والاتجاهات الفكرية تطورها جميعا هى من بين المؤشرات التى يعتمدون عليها فى تحديد مسار التطور الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع الانسانى بعد أن ثبت لهم أن أنماط السلوك والاتجاهات الفكرية والعاطفية المختلفة وما قام حولها من أنظمة أنما كانت تلعب دورا محددا فى مسار المجتمع وتثبيت أنشطته الاجتماعية والاقتصادية .. وقد سميت هذه النظرية الانثروبولوجية الوظيفية ، وهذا هو الشأن ايضا فى النظر الى الثقافة بمعناها المعاصر .... فقد كاد يستقر الرأى على أن الثقافة بالرغم من انها تعبير عن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة الا انها ليست تعبيرا او انعكاسا آليا مباشرا كانعكاس صورة الشىء فى المرآة ، اذ يدخل فى تشكيل الثقافة عامل الارادة الشخصية والخلق ، فالثقافة هى تعبير عن الواقع الا انها ايضا وسيلة فعالة لتغييره[٩] .

وقد وضح هذا المعنى فى التقرير النهائى الخاص بندوة « السياسة الثقافية » التى عقدتها المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم فى موناكو (١٨ ــ ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧) وحدد السياسة الثقافية بأنها « مجموع النشاط الواعى الذى يهدف الى مواجهة الاحتياجات الثقافية واستغلال المصادر البشرية والطبيعية المتاحة فى المجتمع الى اقصى حد ممكن كما اكد التقرير فى أكثر من موضع ضرورة ربط السياسات الثقافية بالتطور الاقتصادى والاجتماعى .))

ونحن اذا نظرنا الى البرامج التى تقدمها الاذاعة لوجدنا أنها تعكس طريقة الحياة بعامة فى مجتمعاتنا العربية بما تتضمن من انماط السلوك والحرف والمباريات ، الى جانب ما تقدم من الوان التعبير العقلى والفنى ... الامر الذى يجعل الثقافة بمفهومها الانثروبولوجى الشامل غير بعيد ، عن اطار هذا البحث ولعل هذا المفهوم ايضا أن يكون هو الدافع الى بعض المقترحات التى سنوردها عند التعرض لدور الاذاعة فى خلق ثقافة عربية وظيفية متوازنة بين الوحدة والتنوع ، واذا كانت الوظيفة التثقيفية قد تحددت على نحو ايجابى ، فان وظائف الاذاعة يمكن أن تحدث آثارا عكسية ، تتناقض مع الاهداف المنشودة أو الآمال المرجوة . فليس من الضرورى ان تتطابق الاهداف مع النتائج[١٠] ولقد أصبح من السهل تواتر الانتقال السريع للاشكال الثقافية المادية واللامادية من جماعة الى أخرى ، ومن طبقة إلى اخرى ومن اطار ثقافى الى اطار آخر وذلك بفضل

الاتصال السهل والانتقال الميسر[١١] . ويرى البج AIbig أن فقدان الاتصالات السهلة هو السبب فى استمرار بعض المجتمعات دون تغير كبير أو فى حالة استاتيكية ، كما يرى أيضا أن الاتجاهات الفردية والعوامل السيكولوجية التى تشجع التغيير السريع هى — فى حد ذاتها — نتاج للموقف الثقافى الذى شكلها بهذه الصورة[١٢] . ومن الشائع فى التراث الاجتماعى والانثروبولوجى ان الثقافة المادية أكثر قابلية للانتشار من الثقافة غير المادية الا ان هذه القضية التقليدية اصبحت فى حاجة الى مراجعة واعادة نظر فى ضوء دور وظائف الاتصال الجماهيرى[١٣]

أنه

وهناك نموذج من نماذج التحليل الوظيفى — يعتقد تشارتس رايت ، انه يمثل أملا كبيرا امام نمو وتطور نظرية وظيفة فى الاتصال الجماهيرى تهتم بدارسة نتائج أو تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرى على المجتمع والفرد والنظم الثقافية[١٤] .

وقد اضاف رايت الى نموذج هارولد لازويل الذى يقول إن دراسة الاتصال الجماهيرى تهتم بدراسة من — يقول ماذا — لمن - كيف وبأى تأثير — اضاف معانى ومفاهيم جديدة حيث يشير بأن هناك مهام ظاهرة (ومقصودة) ومهام خفية (غير مقصودة) لكل مادة اعلامية يتم نقلها بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرية ، وأن أى اتصال له فوائد ايجابية ونتائج سلبية على النظام الاجتماعى الذى يحدث فى اطاره ، وعلى الجماعات ، وعلى الافراد وعلى النظم الثقافية[١٥] .

ويطرح الباحث الامريكى رايت السؤال الاساسى عن نتائج وتأثيرات وسائل الاعلام بهذا الشكل : « ماهى المهام الظاهرة أو « الكامنة » للأخبار والافتتاحيات أو المقالات ، والثقافة ، والتسلية — التى يتم نقلها بوسائل الإعلام على المجتمع والجماعات الفرعية والافراد والنظم الثقافية ؟ ومن ذلك - بالنسبة للنظام الثقافى[١٦] أن الاخبار التى تنقل بوسائل الاتصال الجماهيرى تؤثر على الثقافة ذاتها فالمعلومات التى تنقلها وسائل الاتصال عن الثقافات الأخرى قد تجعل ثقافة المجتمع اكثر ثراء وتنوعا ، بالاضافة الى أن الثقافة يحتمل ان تنمو وتتكيف نتيجة لهذا الاتصال . أما النتائج غير المرغوبة فهى أن الاخبار التى تنشر عن الجماعات الاخرى التى لا تخضع للسيطرة والرقابة قد تؤدى الى غزو ثقافى وتعمل على اضعاف الثقافة المضيفة .

أما نقل التراث الثقافى بواسطة الاتصال الجماهيرى[١٧] ، فهو يزيد التشابه او التماثل ويحافظ على الاجماع الثقافى او يبقى عليه ، كمهام مطلوبة (ظاهرة وكامنة) ، ولكنه يقلل من تنوع الثقافات الفرعية كمهام غير مطلوبة (ظاهرة وكامنة) وهذا ما نعنيه بالوحدة والتنوع فى البرامج الثقافية الامر الذى ينبغى دراسته لتلافى ضعف النواحى

الجمالية ولإتاحة الفرصة للتنوع ، ولتقديم مضمون يتسم بالذوق الرفيع ، ونعنى المضمون الذى يشعر نقاد وسائل الاعلام انه افضل من ناحية الذوق(١٨) .

ثالثا ــ تكامل العناصر القومية والمحلية فى الثقافة :

ولقد كان موضوع الوحدة والتنوع فى مجال الثقافة ، موضع اهتمام كثير من المفكرين على المستوى العالمى .. ولعل من أهم ما ظهر فيها من افكار ، ما كتبه إليوت تحت عنوان « الوحدة والتنوع بالنسبة للإقليم فى كتابه ملاحظات نحو تعريف الثقافة : « فلكى تزدهر ثقافة شعب ما ينبغى ألا يكون شديد الاتحاد ولا شديد الانقسام فكلا النقيضين يعوق افراد النمو فى الثقافة ، والوحدة المقصودة فى هذا المجال يجب ان تكون وحدة لا شعورية الى حد كبير . فمن المهم ان يشعر الانسان بأنه مواطن فى امة معينة فحسب ، بل مواطن فى جزء معين من بلاده وله ولاء محلى ، وهذا الولاء ينشأ من الولاء للاسرة . وان القيمة المطلقة فى مجال الثقافة هى بأن كل منطقة ينبغى ان تكون لها ثقافتها المميزة التى ينبغى ايضا ان تنسجم مع ثقافات المناطق المجاورة وتثريها ، وان الثقافة القومية محصلة عدد غير محدود من الثقافات المحلية التى لو حللت هى نفسها لوجدنا انها مكونة من ثقافات محلية اصغر » .

ولعل تاريخ الحضارة الاسلامية والحضارة العربية ان يعطينا مثالا نموذجيا على استفادة التيار الثقافى العام من روافد الثقافات المحلية المتنوعة والمتعددة التى تغذيه وتلتئم معه فى انسجام يثريهما معا(١٩) .

والسؤال الآن حول الدور الذى يمكن ان تقوم به اذاعة جمهورية مصر العربية بمحطاتها المختلفة ومن بينها البرنامج العام وصوت العرب بخاصة ، فى إثراء الثقافة العربية المتوازنة .

وللاجابة على هذا السؤال المحورى ، نقول إن بعض محطات الاذاعة المصرية تطلق على بعض قطاعات برامجها ــ كما تقدم ــ عبارة « البرامج الثقافية » وتعنى بها مجموعة البرامج التى تتعرض بشكل مباشر للانشطة المتصلة بالادب والنقد الادبى والدراسات الادبية والفنون والمسرح والعلوم والدراسات الانسانية وما الى ذلك . وتقسيم البرامج إلى برامج اخبارية وبرامج ثقافية وبرامج ترفيهية او فنية وبرامج تعليمية وبرامج طوائف الخ ، من الوحدات البرنامجية انما هو تقسيم اصطلاحى بحت مقصود به فى الدرجة الاولى تيسير عمليات الادارة وارتفاع بالمستوى .. الحرفى .. للانتاج وليس المقصود به تعريف طبيعة البرامج وتحديد نوعية جمهورها وما تخلقه فيه من أثر(٢٠) . والواقع ان كل برامج الاذاعة يمكن ان يكون لها اثر فى التكوين الثقافى للفرد والمجموع سواء كانت برامج للطوائف او برامج سينمائية او اخبارا او برامج متصلة بالاحداث

الجارية او سواء كانت تمثيليات او برامج توجيهية تنشر مجرد التسلية ، بل إن مثل هذه البرامج خليقة بأن تترك اثرها الثقافى فى الفرد والمجموع ـــ بطريق غير مباشر وبأكثر ماتفعله البرامج والدراسات والندوات الجادة المتصلة اتصالا مباشرا بالأدب والفن أو العلم .

والأثر الثقافى الذى تتركه هذه البرامج قد يكون اثرا مباشرا أو غير مباشر او بمعنى آخر قد يكون عاجلا ، او يظهر على المدى الطويل دون وعى من*المستقبل[٢١] .

وقد يتصل الاثر بمجرد اضافة معلومات او خلق اتجاه جديد ، او اضعاف اتجاه قديم .. او المعاونة على خلق وجهة نظر محددة جديدة . او متحولة من وجهة نظر اخرى ، وقد يكون فى خلق قيمة جديدة او تدعيمها او الاضعاف من قيمة قديمة او التحول عنها .. وقد يتمثل الاثر فى تعديل سلوك قائم او العدول عنه .. إلى سلوك جديد .. وهذا كله هو ما يعرف باتجاهات التأثير . وينبغى ألا ننسى فى هذا المجال نظرية التأثير الوظيفى .. اى الذى يأخذ الظروف الاخرى فى الاعتبار « أو كما يسميها البعض نظرية « التأثير الذى يهتم بالظواهر الأخرى[٢٢] » .

ا ـــ الفصحى واللهجات العامية :

ولقد مرت نظرتنا الى قضية اللغة بمزالق قومية خطيرة ، كان ابرزها الدعوة العنيفة التى تدعو إلى التمسك بالفصحى وحدها لغة للتعبير والحياة باعتبارها لغة القرآن ولغة التراث واللسان الذى يربط بين ابناء الوطن العربى الواحد والذى بدونه لا يكون تفاهم ولا تواصل ، وارتبطت هذه الدعوة بالهجوم العنيف على العاميات أو اللهجات المحلية والقطرية باعتبارها غير جديرة بالتعبير والحياة والاستمرار وعلى اساس أن التعصب لهذه العاميات يخفى مروقا على القومية العربية وترديداً لدعوات الانفصال والعزلة[٢٣] .

على أن مشكلة العامية والفصحى قد خفت تماما بفضل الاذاعة واصبح الانسان يستطيع أن يستشرف المستقبل ، ويعرف أن حركة التطور اللغوى فى العالم العربى تختلف عما كانت ايام القوميات فى أوربا ، ذلك لأن اللغة الفصحى ، بانتشار التعليم ، تلتقى باللهجات المحلية ، كما ان اصطناع الاذاعة للغة الفصحى لتكون عروة وثقى بين الاقطار العربية كلها ، يجعل التطور امرا محتوما ، واضح الغاية وعلى هذا الاساس سنجد أن تقاربا تحدثه الاذاعة بالفعل شئنا أو لم نشأ ، بين اللهجات التى نسميها بالعامية تجاوزا ، وبين اللهجة الفصحى ، فتصبح بذلك الفصحى أكثر مرونة مما كانت وتتخلص من كثير من الظواهر التى لصقت بها من طريق التدوين وعن طريق التعقيد . وسنجد أن الفصحى تلتقى بالعامية . ومن الدراسات النوعية فى الاستماع الاذاعى ، ودراسة هيئة الاذاعة عن « الاستماع الاذاعى بين العمال الصناعيين » نجد ان حجم

الاستماع للبرامج الثقافية يشير الى أن الغالبية العظمى (٩ر٩٠ ٪) قررت انها تستمع اليها ولم يقل غير ذلك الا ١ر٩ ٪ من المجيبين على هـذا السؤال ويشير البحث الى أن ٥ر٤٦ ٪ منهم يستمعون الى هذا اللون من البرامج بصفة منتظمة ، واستنادا الى ذلك يمكن القول بأن النسبة الحقيقية لمن يستمع اليها بصفة منتظمة فى المجتمع العمالى الذى سحبت منه العينة تنحصر بين ٣ر٤٤ ٪ ، ٨ر٤٨ ٪ من هذا المجتمع وذلك بمستوى ثقة ٠٥ر٠

وقد يرجع ذلك الى أن بعض البرامج تتضمن احاديث دينية وتفسيرات للقرآن الكريم وسيرة الرسول ، وقد وضح من هذا البحث الاتجاه الدينى لهـذ المجتمع ، وقـد يكون السبب ايضا ذلك الاتجاه العام السائد الآن فى جميع القطاعات تقريبـا والذى يتميـز بالإقبال على متابعة الاحداث من خلال التعليقات السياسية وهى ايضا مواد كلامية .

ويشير هذا البحث الى العلاقة بين السن والاستماع الى البرامج الثقافية ، ويذهب الى أن كبار السن كانوا أكثر استماعا الى هذا اللون من البرامج . كما يشير الى العلاقة بين المستـوى التعليمى والاستماع الى هـذه البرامـج ، وبين أن الـذين يقرءون ويكتبـون والحاصلين على مؤهلات أقل من المتوسطة ، ترتفع بينهم نسبة الاستماع إلى الاحاديث والندوات إلى نحو ٩٢ ٪ من جملتهم فى حين تقل النسبة إلى حوالى ٨٧ ٪ فى طرفى المدرج الأدنى والأعلى ، أى بين الأميين وذوى المؤهلات المتوسطة ، ونلاحظ نفس الظاهرة إذا أخذنا فى الاعتبار فقط الاستماع المنتظم إلى هذه البرامج .

ب ـ البرامج والمضمون الثقافى :

ويبين من تأمل نصوص الاذاعة وموادها الثقافية أنه لا خلاف على التراث الثقافى العربى كركيزة أساسية ومنطلق رئيسى فى تشكيل الوجدان الثقافى العام للمستمع ، بل ولا صعوبة فى العثور على هذا التراث والاهتداء إليه فى مظانه ومصادره المختلفة ، وبالتالى فإن تناول هذا التراث داخل مواد الإذاعة وبرامجها الثقافية أمر ميسور غير مختلف عليه (كما هو الحال فى البرامج الثقافية والادبية والخاصة التى تعرض لشخصيات وأعلام التـراث العربى . شعـراء وأدباء ومفكـرين ومصلحين وبـرامج المختـارات الشعريـة والكتابات الادبية والمواقف الحضـارية واللمحـات التاريخيـة الدالـة ... الخ) . لكن المشكلة الحقيقة هى فى تناولنا الثقافى العربى المعاصر ـ على مستوى الوطن العربى ـ ومدى الافادة منه[٢٤] .

« وهنا ، لابد من الاشارة الصريحة الى طغيان العنصر الاعلامى المباشر الـوثيق الصلة بالحياة السياسية اليومية على غيره من مكونات الحياة العربية المعاصرة ، وتحكم هذا العنصر فى مدى الانفتاح أو الانغلاق على الحياة الثقافية فى قطر عربى دون آخر ، وإلى

تعذر وسائل المتابعة والاتصال بالنسبة للانتاج الثقافى فى كثير من اقطار الوطن العربى ـ نتيجة لصعوبات النشر والتوزيع والقيود المفروضة على الكتاب والمجلة والصحيفة ـ مما أدى إلى استئثار بعض العواصم العربية بالواجهة الثقافية لكل الوطن العربى (على سبيل المثال : القاهرة وبيروت) بينما بقيت فى الظل عواصم عربية أخرى لم يتم التعرف على وجوه حياتها الثقافية المعاصرة بصورة كاملة ، فى أحسن الفروض أو لم يتم التعرف عليها أصلا فى الاغلب الأعم(٢٥) .

« بالإضافة إلى هذه الملاحظة ، ملاحظة أخرى لا تقل عنها أهمية وهى خاصة بانفتاح العواصم الثقافية العربية على الثقافات العالمية المعاصرة وخضوع هذا الانفتاح فى كثير من الاحيان لظروف التأثير السياسى والإعلامى ـ سلبا وإيجابا ـ دون أن تتحق له متطلباته الصحية المتمثلة فى فتح جميع النوافذ ، والاتساع لكافة الثقافات ، معا مما أدى الى ردود فعل متضاربة إزاء بعض المفاهيم والتيارات الاساسية فى الثقافات ... المعاصرة رفضا وقبولا ـ وإلى اختلاف فى المواقف من حيث النظرة العربية القومية إلى هذه المفاهيم والتيارات (على سبيل المثال لا الحصر : الفكر الماركسى والاشتراكى والوجودى ، تيارات العبث واللامعقول وفكر العنف والغضب ، الفكر الثورى بوجه عام ..) .
ومن هنا ، فإن النظرة إلى نصوص الاذاعة وموادها الثقافية لم يعد ينبغى حصرها فى أطار قومية الثقافة ومحليتها فقط ، وإنما ايضا فى إطار قومية الثقافة ومحليتها وعالميتها(٢٦) .

ملاحظة ثالثة ، يكشف عنها تأمل نصوص الاذاعة وموادها الثقافية ـ فى اطارها العام ـ هى أنه ليس هناك تصادم بالضرورة بين ما هو قومى وما هو إقليمى ، بين ما هو عربى وما هو محلى ، لكن المشكلة هى دائما فى المنهج الذى يتناول هذا وذاك والرؤية التى بها نستطيع ان نضع كلا منهما فى مكانه الصحيح من الخارطة الثقافية للانسان العربى المعاصر بحيث يتم التركيز على الاصيل والجوهرى ويصبح كل ما هو اقليمى ومحلى وعابر زيادة فى الغنى والثراء والتنوع فى الاشكال والالوان والظلال والسمات ، بهذا وحده يتحقق التكامل والتنوع (على سبيل المثال : التناول الاذاعى لموضوع أدبى كأحمد شوقى شاعر العصر الحديث ، من الممكن أن يصبح تناولا اقليميا محليا ، ومن الممكن أن يصبح تناولاً قوميا عربيا ، فالعبرة هنا بمنهج الرؤية وأسلوب التناول) ..(٢٧) .

على صعيد التطبيق :

تحرص خطة هذه الدراسة على أن تقدم بحثا إحصائيا ميدانيا من واقع النصوص والمواد الثقافية الإذاعية ، ولذلك كان اهتمامها الاول والرئيسى أن نشير إلى ابرز الظواهر

والاتجاهات الموجودة فعلا ، ذلك أن تأمل هذا الواقع يكشف عن بعض الاتجاهات العامة ويمهد لبعض التوصيات التى يمكن أن تكون مجال مناقشة[٢٨] :

أ) يمثل البرنامج الثانى لاذاعة القاهرة ذورة الاهتمام الثقاف المتخصص لـدى الاذاعة والموجه أساسا لمستمعى الثقافة الرفيعة ، والطابع العام لما يقدمه البرنامج الثانى يتمثل أولا فى أنه يعكس أول ما يعكس الثقافة العالمية المعاصرة (الدرامـا العالميـة ـ البرامج الخاصة التى تتناول موضوعات وتيارات وأعلاما من المعاصرين ـ المترجمات الحديثة فى القصة والشعر والادب بوجه عام) ..

تأتى بعد ذلك من حيث النسبة العددية لساعات الارسال ما يخصصه البرنـامج الثانى من حيز للثقافة المحلية ، شعرا ونثرا ، قصة وحديثا ؛ بالاضافة إلى بعض البرامج العلمية والادبية والخاصة ..

وفى المرتبة الثالثة ، يجىء ما يخصصه البرنامج الثانى للثقافة العربية ممثلـة فى برامج خاصة تتناول موضوعات من التراث (شخصيات ادبية وفكرية وعلمية) .. وهكذا تتضاءل المساحة المخصصة للثقافة القومية وتنكمش ، لتأتى قبلها فى الاهمية والمساحة الزمنية المعطاة : الثقافة العالمية ثم الثقافة المحلية .

ب) اذا نظرنا إلى اذاعة اخرى هى « اذاعة صوت العرب » ، وهى كما يفهم من اسمها اذاعة قومية بالدرجة الاولى ، سنجد أن هذا الطابع القومى يصدق أكثر ما يصدق على موادها ونصوصها السياسية اكثر من انطباقه على نصوصها وموادها الثقافية التى تظل فى كثير منها خاضعة الإمكانات ومتطلبات الثقافة المحلية ، خاصة ما يتصل منها بالآداب والفنون ، فضلا عن الصعوبات التى سبق الحديث عنها والتى تتصل بالعزلة الثقافية بين كثير من اقطار الوطن العـربى الواحـد ، وانعدام القـدرة والوسيلـة على التواصل والتعرف على ملامح الحياة الثقافية المعاصرة فيها (على سبيل المثال : اين هى الصورة المكتملة لدينا عن واقع الحياة الثقافية فى السعودية أو فى اليمن أو فى السودان ؟ وما هو الدور الذى تقوم به النصوص والمواد الثقافية الاذاعية بالنسبة لحركة التعريف فى المغرب أو فى الجزائر وهى حركة عربية قومية فى المحل الاول ؟ والى أى حد تعكس برامجنا الثقافية الاذاعية النشاط العلمى العربى الموحد لعدد من المجامع العلمية المتماثلـة فى دمشق وبغداد والقاهرة وإلى اى حد تستطيع أن تؤدى هذه النصوص والمواد الثقافية دورا بالنسبة لتوحيد المصطلح الذى يجد سبيله إلى الثقافات الاخرى ، والذى يعبر عن حيويتها وتطلعاتها وجذورها التاريخية العميقة وخبراتها التى اكتسبتها فى مقارعة ظروف الانماط ومواجهة الاستعمار ، وليس هو التنوع المفتعل الذى يناقض الوحدة أو يخالفها أو يخرج عنها .

لذلك ينبغى أن تفرق الاذاعة بين اتجاهين فى التنوع :

التنوع الداخلى والطبيعى الذى يكسب الوحدة دعما واثراء ، والتنوع المفروض والمفتعل الذى يهدف إلى تقويض الوحدة الثقافية ويعوق تكاملها ، وهو الامر الذى ينبغى أن تسعى البرامج الثقافية إلى تجديد مسارها فى اطاره ، بحيث تؤدى برامج صوت العرب وظيفة تتكامل مع وظيفة البرنامج العام من حيث الوحدة والتنوع .

وليس الشكل الفنى للبرامج الثقافية مجرد طلاء خارجى يضفى على المضمون الثقافى ، بل انه ليتوحد معه ، وفى هذا التوحد كل ما للبرنامج الثقافى من قوة وقيمة ، وبه يكتسب المضمون الثقافى ابعادا ، واعماقا نفسية واجتماعية جديدة تتولد عنها الآثار العميقة الخصبة الانسانية .

وكما أن مأتى الخطر على الثقافة الفنية التى تتمثل فى الادب وما يتصل به من فنون ـ هو فى أن نهبط بمستواها الفنى نشدانا لانتشارها ، كذلك يكون مأتى الخطر على الثقافة الفكرية فى نشدان التيسير باسم التبسيط المفهوم خطأ ، وتعللا بالكم أيضا فى البرامج الثقافية ، مما يؤدى إلى تعجلها باذاعة القشور ، وتشجيع التوافه من الاعمال . ولا يخطر فى بالنا ان ننكر التبسيط فى مجال الثقافة الفكرية من خلال برامج الاذاعة ، لانه أمر ضرورى ولكن التبسيط اذا أريد منه أن يؤدى رسالته قد يكون أصعب منالا من البحوث ذات المستوى الرفيع التى لا يتاح موردها لكثير من طلاب الثقافة ومع اعترافنا أن كلا من النوعين من البحوث المبسطة وغير المبسطة على جانب كبير الاهمية فى البرامج الثقافية . فاننا نشير إلى امر نعتقد انه فى ذاته واضح كل الوضوح وان عمت الغفلة عنه فى الاذاعة بصفة عامة ... ذلك أن التبسيط ـ كما يقول المرحوم الدكتور غنيمى هلال ـ ليس معناه الاقتضاب ، أو اقتطاع اجزاء من تذهب بروحه فلا يبقى منه سوى جسم هامد ، ولكن التبسيط تيسير عرض الجوهر وتسهيل ورود المسائل الممتنعة على المستمع ، والمنطقى لفهمها والاحاطة بها ، واختيار ما يعين على النفوذ إلى صميمها ، وهو فن ومقدرة لن تتاح الا للمتخصصين الامر الذى يجعلنا نوصى بأن مسئولية البرامج الثقافية فى الاذاعة يجب أن تلقى على عاتق هؤلاء المتخصصين لانه لا يصح بحال ان يلجأ فيها إلى مبتدئين أو إلى من لم يتعمق فى موضوعه فيقف فيه على كل ما يتصل بنواحيه قبل أن يمسك بالميكروفون . وهذا امر مسلم به لدى وسائل الاتصال بالجماهير التى تعنى بالتبسيط العلمى والفكرى للجمهور .

ومما يقعد باذاعتى صوت العرب والبرنامج العام عن النهوض بالثقافة فى معارضة الكم بالكيف هو الخلط الواضح بين الثقافة واجهزتها فيجب أن تطوع الاذاعة نفسها للثقافة ، ولا تطوع الثقافة للاجهزة ، ... ولاشك أن امام الادب عقبات فى هذه الناحية لما

تذلل بعد ، ذلك أن التليفزيون مثلا يتطلب نواحى فنية جديدة يفترق فيها عن المسرح من حيث هو ، ويفترق بها كذلك عن دور السينما .

ولكن المسرح والسينما والتليفزيون والاذاعة ليست جميعها سوى مسالك للثقافة

رابعا ـ الاذاعة والثقافة العربية المعاصرة :ـ

وتأسيسا على هذا الفهم ننظر للبرامج الثقافية فى الاذاعات العربية ، على اساس من التكامل الفنى بين الشكل والمضمون ، ولكننا نلاحظ من خلال الدراسة أن الجوانب والقضايا الثقافية لا تنال ـ حتى وقت كتابة هذا البحث ـ العناية الكافية فى اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ولا يخصص لها الوقت الكافى ، ولا المستوى المطلوب ، وانها فى كثير من الاحيان تعرض بشكل تعليمى مباشر لا يؤدى الغرض من تقديمها فى الاذاعة لإغناء الحياة الفكرية والثقافية للفرد والمجتمع . ولذلك يوصى البحث بمايلى : ـ

١ ـ زيادة الوقت المخصص فى البرنامج العام وصوت العرب للبرامج الثقافية او البرامج ذات الطابع الثقافى .

٢ ـ العمل على رفع مستوى البرامج الثقافية من حيث الشكل والمضمون وذلك باعداد الاذاعيين المتخصصيين فى تقديم هذه البرامج اعداداً فنيا وثقافيا أرفع ، يتمشى مع مسئوليتهم تجاه المجتمع ، وكذلك العناية بالتخطيط للنشاط الثقافى فى اذاعتى صوت العرب والبرنامج العام فى اطار الوحدة والتنوع وتطبيقه تطبيقا علميا .

٣ ـ ضرورة أن يكون الهدف الرئيسى للبرامج الثقافية مؤديا إلى تحقيق المقومات الكبرى للثقافة العربية المعاصرة وابرازها مع مراعاة : نشر الثقافة العربية عن طريق التعريف بالمعالم الثقافية الهامة فى الوطن العربى وخاصة فى اذاعة صوت العرب . ثم ترسيخ القيم العقلية وأساليب التفكير العلمى السليم ومحاربة الجهالات والخرافات والتخلص من العاطفية المفرطة التى تجعل الانسان العربى عاجزاً عن ملاحقة تطورات العصر ، فى اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب على السواء .

٤ ـ استخدام البرامج الثقافية فى صوت العرب والبرنامج العام بخاصة وسيلة لتحقيق هدف التثقيف مدى الحياة سواء بين أولئك الذين ضاعت منهم فرص التعليم أو من نالوا بالفعل نصيبا من التعلم والثقافة .

٥ ـ أن تعايش البرامج الثقافية فى صوت العرب والبرنامج العام التطور الذى يحدث فى الحياة الثقافية بحيث لا تكون هاتان الاذاعتان فى معزل عما يجرى فى الحياة الفنية والثقافية من أساليب ومناهج ، وذلك بأن تتناول بالعرض والتقديم ولكن فى اطار من التوازن عدة عوامل فى مقدمتها :

التدقيق فى اختيار الاصيل والجاد من هذه التجارب الفنيـة ، والمراعـاة الكاملـة لجمهور الاذاعة المتعدد المستويات والمختلف الاتجاهات بحيث نختار من هذه التجارب والاساليب الفنية الحديثة ماليس مغرقـا فى الاغراب والتعقيـد . ثم الحرص عـلى أن يصاحب تقديم هذه الاساليب الفنية المستحدثة وعرضها تعريف واضح بها وشرح لها وللجديد فيها .

٦ ــ ان تعمل اذاعتا صوت العرب والبرنام العام على دراسة المناهج والاساليب الحديثة فى الاخراج والانتاج للاعمال والبرامج الثقافية فى الراديو ، لتطوير الاساليب القديمة التى يكاد الجمهور ان يملها ، وتحقيق الاستفادة الكاملة من امكانات الاذاعة فنيا وتكنولوجيا مما يتيح اكتشاف اللغة الفنية الخاصة بهذه الاداة الخطيرة ، على أن يكون ذلك فى اطار من التدرج فى هذا التطوير ، ومراعاة أن هذه البرامج تخاطب جمهورا واسعا متفاوت الثقافة .

٧ ــ الاستفادة من اقبال الجمـاهير عـلى الدرامـا الاذاعية والبـرامج الخـاصة والترفيهية ، وايثارها لها وذلك بتضمين هذه البرامج مضامين ثقافية غير مباشرة وهو ما يساهم فى تحقيق الاهداف الثقافية للمجتمع ويرفع فى الوقت ذاته من مستوى هذه البرامج ويحميها من الهبوط لمستوى الابتذال والاسفاف .

٨ ــ وضع خطة للارتفاع التدريجى بمستوى اللهجات العامية التى تقدم بها بعض البرامج الاذاعية ــ فى صوت العرب خاصة ــ بحيث تصبح الفاظ الفصحى وتعبيراتها أكثر تداولا على الألسن تمهيدا لتعميم استعمال الفصحى فى جميع برامج صوت العرب ، إذ إن هذه اللغة الفصحى هى الاساس الاول للثقافة العربية المشتركة للامة العربية ، وتعميم استعمالها يمكن الاذاعات العربية من تجاوز العوائق المحلية فيحقق لها بذلك مخاطبة جمهور اوسع ويجعل برامجها أكثر صلاحية للتبادل بين مختلف البلاد العربية .

٩ ــ التركيز فى البرامج الثقافية فى صوت العرب خاصة ــ على السمات والعناصر المشتركة بين الاشكال والمظاهر الثقافية المحلية وبين الثقافات المحلية الاخرى للبـلاد العربية وذلك فى اطار انتماء هذه الاشكال والمظاهر الثقافية الى الافق الثقافى الاشمل وهو الثقافة العربية المشتركة .

١٠ ــ العناية فى البرامج الثقافية بصوت العرب والبرنامج العام معا بتصوير الحياة العربية الثقافية من خلال التراث العربى وتوصيلها للمستمع دون الاخلال بالحقـائق التاريخية .

١١ ــ نقل التراث الشعبى من مصادره الاصيلة ودراسته وتحليله قبل معالجته فنيا تمهيدا لعرضه وتقديمه اذاعيا للجماهير

١٢ ــ العناية بأهمية اتصال الفكر العربى بالثقافة العالمية فى مختلف جوانبها فى العصر الحاضر ، وينبغى على البرامج الثقافية فى صوت العرب والبرنامج العام معا أن تزود المستمع بزاد ثقافى عالمى عن طريق تقديم الأعمال الثقافية الاجنبية . ولكن تجنبا للغزو الثقافى ينبغى على البرامج الثقافية ان تختار الاعمال العالمية التى تتناول قضايا فكرية انسانية شاملة لا تتعارض مع قضايانا الفكرية ، ولا تناقض قيمنا ، وتزيد من ثروة ثقافتنا القومية .

١٣ ــ والبرامج الثقافية فى مفهومها تعنى بالقيم الفنية والجمالية باعتبارها جزءا اساسيا فى البنية النفسية للإنسان وان الاذاعة المسموعة وهى تقدم أعمالها للأذن فى تناولها لمختلف الموضوعات فى البرامج الثقافية وغيرها تؤثر فى تنمية الإحساس بهذه القيم فى نفس المستمع .

ولذلك ينبغى أن تعمل البرامج فى صوت العرب والبرنامج العام على تحقيق القيم الجمالية والفنية فى مادتها المقدمة منها والمادة المنقولة اليهما من السينما والمسرح الخ ... على المستوى الذى يؤدى إلى رفع مستوى الاحساس بالجمال والتذوق للفن فى المجتمع .

هل يستطيع الراديو أن يعمل وحده ؟

الجماهيرية

كما تبين مما سبق فان وسائل الاتصال الجماهيرية وعلى رأسها الراديو تستطيع أن تقوم بدور فعال فى عملية الثقافة ، اذ باستطاعتها نشر الرسائل الثقافية التى اشتركت فى اعدادها عقول خصبة ذات خيال واسع على أكبر نطاق والى اضخم جمهور .

لهذه الاسباب نستطيع القول إن الاذاعة لها احتمالات كبيرة جدا فى نشر الثقافة ، فالعملية الثقافية لها عدة عناصر : اكتساب المهارات ، القدرة على التفكير المتزن ، والقدرة على حل المشاكل ، والقدرة على تكوين الاتجاهات والقيم والقدرة على اتخاذ القرار المناسب إلخ .... ، وكل هذه ليست بطبيعة الحال نتيجة لتحصيل المعلومات وحسب « فالرسالة أو المعلومة تحتل فى ذهن صاحبها مكانة تتفق وما فى هذا الذهن من تأهيل سابق وطبقا لما يوجد فى ذهنه من معلومات فانه يستقبل ويغير ويبدل فى أية معلومات جديدة يتحصل عليها فى ذهنه[٢٩] ، وهذه الرسالة ينبغى أن يعقبها فى ذهن المستمع مايشبه عملية وظائف الاحياء حتى تتم الثقافة وهى فى طبيعتها امر شخصى جدا[٣٠] .

ولكن كل هذا لا يعنى انها تترك المستمع وحده أثناء تجربة الاستقبال وفى معظم الحالات نجد أنه بحاجة الى ملاحظة ومراقبة وارشاد وتوضيح لما يتلقى من معلومات ، كما أنه بحاجة الى التمرين والتحقق من النتائج التى يصل اليها . ولا تستطيع وسائل

الاتصال أن توفر له كل هذا وحدها . وحتى تدعم وتنشر من أثر البرامج الثقافية ينبغى أن يتكامل الراديو مع الكتاب فى تحقيق الثقافة العامة .

فالراديو والتليفزيون يستطيعان نشر الثقافة ولكنهما لايحويـان وسيلة يمكن بهـا معرفة رد الفعل الذي يسهل على المثقف معرفة الطريق الذى سلكته رسالته ومن الذى تسملها وكيف كان رد فعل هذا المستلم . والواقع أن طبيعة الاذاعة المنفـردة الاتجاه لا تسهل حل المشاكل وسوء الفهم اللذين قد يحوطان عملية الارسال ، وليس هناك سبيل الى الرد على الاسئلة التى قد تدور فى الاذهان قبل الاذاعة ولايمكن للراديو أو التليفزيون أن يشرفا وينظما نشاطات المستمعين أو يتابعا تقدمهم . ونظرا الى أن برامج الاذاعة توجه الى جمهور غفير فان السرعة التى تسير عليها العملية التثقيفية ومدى التدرج الذى قد يحدث خلالها وكمية المواد الثقافية التى يحويها البرنامج الواحد ، كل هذه لابد أن تأخذ فى اعتبارها قدرات المستمع العادى وبالاختصار يمكن القول إن الاذاعة لا تستطيع أن تتولى امر الحاجات الفردية للمستمع .

خامسا : الاساليب الفنية والثقافية فى انتاج البرامج :

ليس من السهل بأى حال من الاحوال أن نحدد بشكل مقنع قاطع افضلية طريق أو طرق لتقديم المادة الثقافية فى الراديو . والواقع أن أثر المدى الثقافى فى أى برنامـج اذاعى يتأثر بعدد من العوامل ، لا يمكن تقسيمها الى اجزاء واضحة ، كما انه ليس من السهل القول بأن المادة المعينة تفضل أو يحسن تقديمها بالطريقة المعينة . ولا ينبغى أن يؤدى نجاح طريقة أو اسلوب ما الى التصميم فى استخدام هذه الطريقة[٣١] .

ولكن هذا بالطبع لا يعنى اننا ننفى تماماً اهميـة الاسلوب أو نـرفض ان نناقش مشاكل التقديم والاساليب الثقافية التى ينبغى ترسمها ، فبدون قواعد وبدون مبادى معينة أو فرض هذه القواعد وتلك المبادىء نحب أن نناقش بعض نواحى اساليب تنفيذ البرامج الثقافية[٣٢] .

ولا نحب أن نبدأ بأن نقول إن البرنامج ينبغى أن يكون جذابا فهذا امر مفروغ منه ، ولكننا نؤكد ان مفتاح هذه الجاذبية يكمن أولا وأخيرا ، فى مدى صدق ووضوح الرسالة الثقافية ، وهذا لن يتأثر الا باستخدام كل الموارد المتاحة لتقديم برنامج ثقافى جـذاب صوتيا ، بغض النظر عن الاجتهاد فى النـواحى الفنية . والمـادة الصحيحة والمعلـومة الواقعية لايمكن ان يستبدلا بالحبال الصوتية ، والكفاءة والاخـلاص لايمكن أن يحل محلهما الاجتهاد غير الكفء .[٣٣] .

وقد يجدر بنا هنا رغما عنا ان نعنى بالتزام مبدأ هام وهو : دراسة الجمهور المستهدف وتقديره تقديرا صحيحا ، وعدم الاستهانة بذكائه أو عقليته .

والدراما يمكن استخدامها فى الثقافة من خلال اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، كما يمكن الاستغناء عنها أيضا فى كلتا الاذاعتين والاشكال البرامجية غير الدرامية يمكن تصنيفها فى : الحديث الاذاعى ـ الحوار ـ المناقشة ـ التعليق ـ برامج الألغاز ، والواقع أن هذا التصنيف قد يبدو مصطنعا الى حد ما ، لان كل واحد من هذه الاشكال قد يتعدى على الشكل الآخر أو يختلط به فمثلا الحديث قد يكمله حوار أو فيلم أو مقطوعة موسيقية أو مقطوعة صوتية ايا كانت ، وكثيرا مانجد ان الشكل الدرامى والشكل غير الدرامى قد يشتركان معا فى تقديم برنامج جيد من الوجهة الثقافية .

إن إيجاد الصلة المباشرة فى البرامج الثقافية من خلال الحديث الاذاعى ـ كما تقدم ـ تقتضى استخدام طريقة مبسطة فى الالقاء ـ طريقة الكلام العادى . ذلك أن الشخص الذى يتكلم وكأنه يشارك جمهوره فى مشكلة ما أفضل بالطبع ثقافيا من الذى يحاول أن يلقى عليه محاضرة أو درسا والصدق والاخلاص فى نبرات الصوت لن يتأتى الا اذا كان المتحدث فنيا وعليما بموضوع حديثه ، وله القدرة على نقل ما يعرفه ببساطة ووضوح . واختيار الكلمات البسيطة والواضحة من ضروريات مثل هذا الحديث ، فكلما كانت الرسالة مباشرة كانت درجة كفاءتها أعلى(٣٤) .

وفى الاذاعة يتحدث المتحدث الينا عن قرب وهذا يقربه جدا من جمهوره ويجعل من السهل عليه اكتساب ثقة هذا الجمهور . ولكن هنا أيضا يكمن خطر القضاء على هذه المباشرة اذا ما إستخدم المخرج موسيقى صاخبة أو لا حاجة اليها ، فتكون النتيجة بعثرة انتباه المستمع مما قد يأتى بأثر مضاد لما يراد(٣٥) .

كما أن التأثير الذى تحدثه الوسائل الاذاعية يعتمد على حد كبير على طريقة الاداء واللغة التى يستخدمها المتحدث .. وفى كل من الراديو والتليفزيون نجد أن لغة التخاطب لا لغة الكتب أو اللغة المتقعرة هى التى ينبغى أن تستخدم ومن الواضح أنه من الصعوبة بمكان أن يستوعب الشخص كلاما يسمعه من الراديو أو من متحدث فى التليفزيون لو كان هذا الكلام مؤلفا اصلا للقراءة .

والمبالغة والافتعال والتظاهر هى الاخرى من الامور التى يجب تحاشيها ، ولكن الفصاحة فى ذات الوقت يجب أن تكون من مقومات متحدث الراديو أو التليفزيون وعندما نقول الفصاحة فاننا نعنى طلاقة اللسان وجمال التعبير ولا نعنى الخطابة أو البلاغة التى

وإن الكاتب المتمرس يستطيع أن يحول المحاضرة العادية الى حديث جميل ، ولكن هذا الحديث يجب ألا يترك لمقدم البرامج بأى حال من الاحوال او لممثل فى التليفزيون ، أما فى الراديو فان هذا قد يكون مسموحا به ، لان ـــ المذيعين المتمرسين قد يحسنون إلقاء الحديث بل قد يكونون فى كثير من الاحوال افضل ممن كتبه من حيث الإلقاء(٣٦) .

والحديث المباشر فى حد ذاته ليس أكثر الاشكال جاذبية لتقديم البرامج مالم تكن شخصية المقدم وطريقة نقله للمعلومات ملهمة داعية للانتباه . وفى شكل البحث لا يجب أن يستخدم الحديث الا اذا لم تتوفر المادة التسجيلية الصوتية فى الراديو التى تدعم موضوع البرنامج الثقافى وكثيرا ما نجد المخرجين يضيفون الى الحديث مادة لا علاقة لها على الاطلاق بموضوع الدرس تلاشيا للملل ، ولكن يجب توخى الحذر الشديد عند إدخال مادة صوتية بهدف التلوين أو التنويع ، كما يجب الحذر عند استخدام الحوار ما لم يكن الموضوع قابلا للمناقشة أو الحوار أو قابلا للتحويل الى شكل درامى تمثيلى . وهذا التلوين أو التنويع قد يمكن ايجاده اذا استعملت طريقة الرواية بصوتين .

وكثيرا ما تصادف مخرجى الاذاعة مشكلة الاشخاص الذين يدعون للاشتراك فى برنامج ما . ومن الواضح ان اختيار الشخص ينبغى أن يراعى فيه أن يكون مقبولا من حيث الصوت والالقاء والقدرة على التبسيط .

وعلى أية حال ومهما كان الشكل الذى سيقع عليه الاختيار لتقديم البرنامج فإن على مخرج البرنامج الثقافى أن يستغل كل ما تقع عليه يده أو يفكر فيه ذهنه لايصال الرسالة الثقافية ، كما يجب أن يعمل على توجيه برنامجه بحيث ينسى التثقيف الذاتى .

ملخص :تحدثنا فى هذا الفصل عن :

١ ـــ تخطيط البرامج الثقافية

٢ ـــ الدور الوظيفى للبرامج الثقافية .

٣ ـــ تكامل العناصر القومية والمحلية فى الثقافة .

٤ ـــ الاذاعة والثقافة العربية المعاصرة .

٥ ـــ الاساليب الفنية والثقافية فى انتاج البرامج .

وذلك بهدف تحديد المعايير التى يقوم بها البرنامج الثقافى ، ولتكون مدخلا للباب الثانى الذى يدرس البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب ، ولتحليل المضمون فى الفصل الأخير .

ولذلك يطرح هذا الفصل سؤالا حول الوحدة والتنوع فى هذه البرامج الثقافية ، لكى تكون الاجابة عليه هى تحديد شخصية كل اذاعة من الاذاعتين موضع الدراسة .

الهوامش

(١) اجناس فانيفتش : الاذاعة لتعليم الكبار ــ (سلسلة دراسات وبحوث اذاعية) ، (القاهرة : اتحاد إذاعات الدول العربية ، ١٩٧٢) ص ٧٥ .

(٢) اجناس فاينفتش : المرجع السابق ص ٨٠

(٣) نفس المرجع السابق ص ٨٠

(٤) محمد مزالى : الثقافة العربية بين الوحدة والتنوع «مجلة الفكر تونس ع٩ م فى ١٩٧٢ .

(٥) نفس المرجع ، ص ١٥

(٦) البشير بن سلامة : «حول مؤتمر الوحدة والتنوع» مجلة الفكر ، المرجع السابق ص ٦ .

(٧) اخبار اليوم فى ١٩/٧/١٩٧٥

(٨) مجلة الفكر ــ تونس ــ مرجع سابق ٩٣ م ١٧ فى ١٩٧٢ .

(٩) سعد لبيب : «التليفزيون (نصوصه ومواد الثقافية) ــ مجلة الفكر مرجع سابق ص ٧٨ .

(١٠) الدكتور ابراهيم امام : دراسات فى الفن الصحفى (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية : ١٩٧٠) ، ص ٨٦ .

(١١) الدكتور محمود عودة : وسائل الاتصال والتغير الاجتماعى (القاهرة دار المعارف) .

(١٢) نفس المرجع ، ص ٣٥

(١٣) نفس المرجع ، ص ٣٥

(١٤) د . جيهان رشتى : نفس المرجع السابق ص ١٨٦ وما بعدها .

(١٥) نفس المرجع ص ٢٠١

(١٦) نفس المرجع ص ٢٠٨

(١٧) نفس المرجع ، ص ٢٠٨

(١٨) نفس المرجع ، ص ٢١٧

(١٩) سعد لبيب : المرجع السابق ، ص ٨٠ ، ٨١

(٢٠) نفس المرجع ص ٨٢ .

(٢١) نفسُ المرجع ، ص ٨٢

(٢٢) نفس المرجع ، ص ٨٢

(٢٣) فاروق شوشة : نفس المرجع ص ٦٨ .

(٢٤) فاروق شوشة : المرجع السابق ص ص ٧١ ــ ٧٢ .
(٢٥) نفس المرجع : ص ص ٧١ ــ ٧٢ .
(٢٦) فاروق شوشة : المرجع السابق ، ص ٧١ ــ ٧٢ .
(٢٧) المرجع السابق ص ٧٢ .
(٢٨) نفس المرجع ، ص ٧٤ .
(٢٩) ف . س . بارليت Remembring F. C. Barlatt التذكر كان كمبردج ــ (انجلترا مطبعة جامعة كامبردج ١٩٣٢) ــ الاذاعة لتعليم الكبار ــ مرجع سابق ص ٥٣ .
(٣٠) نفس المرجع ، ص ٥٣
(٣١) نفس المرجع ص ٥٣
(٣٢) نفس المرجع ص ٩٧ .
(٣٣) نفس المرجع ص ٩٧ .
(٣٤) نفس المرجع ص ٩٩ .
(٣٥) نفس المرجع ص ٩٩ .
(٣٦) نفس المرجع ص ٢٠

الفصل الثالث

الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية
البرامج الثقافية فى البرنامج العام

حاولنا فيما تقدم أن نتعرف على ماهية البرامج الثقافية ومعاييرها الموضوعية ، وفى هذا الفصل نحاول التعرف على البرامج الثقافية التى تقدمها اذاعة البرنامج العام ، ونبدأ بالتقسيم الرباعى الذى تأخذ به الاذاعة المصرية وفقا لاهدافها[1] .

١ ــ البرامج الإخبارية :

وهى البرامج التى يقصد بها إعلام الشعب بحقيقة مايجرى فى جميع انحاء العالم من أحداث وقضايا واخبار دولية والتعليق على هذه الانباء بالإضافة الى التحليل والتفسير .

٢ ــ البرامج الترفيهية :

وهى البرامج التى تهدف الى ادخال البهجة والسرور على المستمع .

٣ ــ البرامج الدينية :

وهى رسالة الاذاعة الروحية لتهذيب النفوس وبث القيم الاخلاقية .

٤ ــ البرامج الثقافية :

وهى البرامج التى تهدف الى تعبئة الضمائر بكل ما يعزز القيم الانسانية التى يقوم عليها المجتمع .

وهذا التعريف بالبرامج الثقافية ، كما تأخذ به النشرة الرسمية للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء[٢] ، يفرق أولا بين « البرامج الثقافية » وغيرها من البرامج الاخرى : الاخبارية والترفيهية والدينية ، الامر الذى يجعلنا نذهب الى أن هذا التعريف أقرب لماهية البرامج الثقافية التى تقوم على اساس المدلول الخاص للثقافة ، على النحو المبين فى الفصل الثانى حيث تتخذ الثقافة دائرة أضيق وهى دائرة « المعارف والخبرات والمهارات التى يحصلها الافراد أو الجماعات عن غير طريق التربية أو المناهج العلمية » .

كما يشير هذا التقسيم البرامجى الى الاتفاق مع تعريف البرامج الثقافية الذى تقدم والذى يفرق بين البرامج الثقافية العامة والبرامج التى تقدم من اذاعة متخصصة كاذاعة البرنامج الثانى ، التى أنشئت الى جانب البرنامج العام الذى يوجه الى جمهور الشعب لتحقيق الفائدة للمستمع الخاص والمستمع العام .

وقد تنبهت الى هذه الحقيقة جميع الاذاعات الكبرى الاحتكارية أو التى تشرف عليها الحكومات ولا وجود لهذه المشكلة فى الدول التى تأخذ بنظام الاذاعات الخاصة المتنافسة ، فان كل فئة فيها تجد الاذاعة التى تناسب مستوياتها ـ فظهر البرنامج الخاص فى كل من انجلترا وفرنسا وايطاليا وغيرها[٣] .

ولم تلبث الاذاعة المصرية أن انشأت البرنامج الثانى فى ٥ مايو ١٩٥٧ وقصد من انشائه اكمال الخدمة الاذاعية بتقديم المواد التى لا يتيسر تقديمها فى البرنامج العام بالنظر الى القاعدة الشعبية العريضة لمستمعيه مما يمكن الاذاعة من تحقيق رغبات عدد كبير من المستمعين بتقديم ما يحتاجون اليه من مواد تثقيفية وفنية ، وكذلك خدمة الثقافة الوطنية وتعميق جذورها عن طريق مايقدمه البرنامج من ابحاث وندوات ومما يعرض فيه من كتب ومشكلات واتاحة الفرصة أمام الجمهور للاستماع والاستفادة من ألوان الثقافة الرفيعة التى تتاح لشعوب العالم كالمسرح والموسيقى .

ويشكل انشاء البرنامج الثانى تطورا هاما فى رسالة الاذاعة التثقيفية ، ذلك أن الاذاعة فى مستهل ظهورها بمصر فى صورة اذاعات أهلية متنافسة على نحو ما تقدم ، لم تكن هناك من أهداف لهذه الاذاعات غير تحقيق الربح المادى من خلال إذاعة الإعلانات التجارية ومع كل ما بذل عقب ذلك وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فان الاذاعة لم تتمكن بما أتيح لها من امكانات وموارد ـ من ان تحقق كل الاهداف المتعارف عليها للاذاعات بصفة عامة وهى التثقيف والاعلام والترويح . فحتى قيام الثورة كانت تقدم برنامجين فقط ، أحدهما لخدمة المستمع المحلى لا تتجاوز مدة ارساله اليومى احدى

عشرة ساعة على فترات متقطعة كانت تبدأ من السادسة حتى العاشرة صباحا ، ثم تتوقف لتعود ثانية من الساعة الثانية عشرة حتى الثالثة بعد الظهر ومن الرابعة تستأنف الارسال حتى ينتهى فى الحادية عشرة مساء أما البرنامج الآخر وهو « الاوربى المحلى » فلم تكن مدة ارساله تتجاوز اربع ساعات يوميا ، وكان الهدف من انشائه مجرد تقديم مواد ترفيهية للنزلاء الاجانب ، وكان حتى عام ١٩٥٢ يرسل برامجه تلك باللغتين الانجليزية والفرنسية فقط[٥] .

أولا : تطور البرامج الثقافية وأهداف البرنامج العام :

إن كلمة اذاعة تعنى فى حد ذاتها منوالا خاصا لإيصال رسالة ما . وكل وسيلة اتصال أخرى لها ثلاثة عناصر اساسية[٤] :

أ ـــ الرسالة المرسلة ذاتها ومحتواها والطريقة التى ستقدم بها .
ب ـــ المتلقى لهذه الرسالة ومقدرته على استيعابها .
ج ـــ الوسيلة التى ستستخدم لإرسال هذه الرسالة .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فاننا نحاول فى هذا الفصل التعرف على البرامج الثقافية فى البرنامج العام من حيث تخطيطها واختيار مادتها التى تخدم الهدف التثقيفى وذلك بتقسيم هذا المضمون الى وحدات برنامجية متتابعة تذاع خلال زمن محدد وعلى فترات معينة .

واذا كانت البرامج الثقافية لابد أن ترتكز على هدف تثقيفى فان القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٩[٥] بشأن الإذاعة المصرية ، قد نص فى مادته الثانية على أن « هيئة الإذاعة المصرية » تتوخى فى أداء وظيفتها سياسية قومية تهدف الى تقوية الروح القومية وتعزيز التقاليد الصالحة كما نصت هذه المادة على أن الاذاعة تتوخى فى أداء وظيفتها « تثقيف الشعب[٦] » .

ومن خلال دراسة تحليل المضمون للقوانين واللوائح الخاصة بالاذاعة المصرية ، يتضح أن البرامج الثقافية فى الامر الادارى رقم ٤٠ بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٢ « كانت تعنى « الاحاديث » وخصص هذا الامر مراقبة لهذه الاحاديث وحددها بالاحاديث وركن المرأة وركن الريف وركن العمال ، والاذاعة المدرسية وركن الشباب وركن الجيش . ثم بدأت الاذاعة المصرية كغيرها من الاذاعات تدخل ألوانا جديدة من البرامج الثقافية ، ونجد هذا الاتجاه يتأكد فى المرسوم بقانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ بانشاء وزارة الارشاد القومى ، الذى نص على أن من غاياتها « تيسير سبل الثقافة الشعبية لافراد الشعب وتنويعها وتزويدها بما يعين على توسيع نطاقها وإفادة أكبر عدد ممكن بها » .

وقد نص هذا المرسوم على نقل تبعية الاذاعة المصرية من رياسة مجلس الوزراء الى وزارة الارشاد القومى . وأعيد تنظيم الاذاعة من جديد بالقرار الوزارى رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٣ ليتضمن انشاء مراقبة « للبرامج الثقافية » تنقسم الى : « مراقبة الاركان ومراقبة الاحاديث والشئون الدينية » . وقد قسم الامر الادارى رقم ١٠٩ الصادر فى ٢٩ / ٤ / ١٩٥٤ الاركان التى تضمها مراقبة الاركان الى قسمين : ادارة الاركان العامة (الجيش ـــ العمال ـــ الريف) وادارة الاركان الخاصة (المرأة ـــ الطفل ـــ الطلبة) . كما صدر الامر الادارى رقم ٢٤٧ الصادر فى ١٣/٧/١٩٥٥ باعادة تنظيم اقسام البرامج ، البرامج الثقافية الى :

أ ـــ الشئون الدينية

ب ـــ الاحاديث :

ـــ احاديث عامة

ـــ برامج خاصة

ج ـــ الاركان تنقسم الى : المرأة ـــ الطفل ـــ الشباب ـــ الريف ـــ العمال ـــ القوات المسلحة ـــ البوليس ـــ الرياضة .

وقد نص القانون رقم ٩٢ لسنة ١٩٥٥ (٧) بشأن الاذاعة المصرية على أن مجلس ادارتها « يختص بوضع السياسة العامة للاذاعة وعلى الاخص تحديد النسب فى البرامج بين الاذاعات التثقيفية والاذاعات الترفيهية وغيرها » .

وكان لابد لتأكيد مسئوليات الاذاعة وتحديدها ـــ أن تقنن واجبات الاذاعة وأهدافها ومن ثم صدر القرار الجمهورى رقم ٧٨ لسنة ١٩٦٦ ليقرر أن « على هيئة الاذاعة ان تتولى مسئوليات وزارة الارشاد القومى عن طريق الاذاعة الصوتية » وحدد لها مجالات عملها فى هذه الدائرة الموسعة . وفى ١٥ نوفمبر عام ١٩٦٧ صدر القرار رقم ٧٠٠ ينظم هيئة اذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، وقد تضمن هذا القرار :

« تهدف اذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، الى الاسهام فى تحقيق رسالة وزارة الارشاد القومى فى مجالات التوعية والاعلام والتثقيف ، وتنمية المواهب ، وذلك عن طريق الارسال الاذاعى فى النطاق المحلى والعربى والعالمى . وتعمل على تكوين وتنمية المواطن الصالح ، وتفجير طاقات الشعب ليحقق اهداف المجتمع وقيمه ومبادئه على هدى من الميثاق ومن الايمان بالرسالات السماوية ، وعلى اساس من التراث القومى والتفاعل مع الحضارة الانسانية ، كما يعمل على تنوير الرأى العام وتوعيته لتحقيق الاهداف القومية بمضمونها السياسى والاجتماعى ، وتنوير الرأى العام العالمى بمبادىء الـ ج . ع . م

ومعالم نهضتها ووجهات نظرها تجاه القضايا والأحداث ودورها فى إقرار السلام القائم على العدل » .

ماذا بعد تحديد الهدف وماهو محتوى البرامج ؟ :

والبرامج الثقافية تمهد لعناصر الاتصال الاذاعى من خلال العمليات التالية : ــ

البرامج :

أى تخطيطها واختيار مادتها التى تخدم الهدف الثقافى وذلك بتقسيم هذا المضمون الى وحدات برنامجية متتابعة تذاع خلال زمن محدد وعلى فترات معينة .

الانتاج :

تحسين وبلورة الرسالة فى واحد من الاشكال التى تختارها الموارد المادية والذهنية .

الارسال :

وهو بث الرسالة الثقافية الى المستمع وخلال كل هذه المراحل تقوم مواهب ومعرفة المتخصصين بدور بارز ، وهؤلاء المتخصصون يشملون رجال الثقافة والفكر والاذاعيين ، وكلهم يعملون بالتعاون لابراز الرسالة بطريقة تسهل على المستمع فهمها من خلال حاسة الاذن ، ولتسجيل صورة صادقة لكل ما تحويه الرسالة من معلومات أو معرفة ثقافية .

ان البرامج الثقافية لابد أن ترتكز على هدف تثقيفى ، وأن تكون لها فلسفة معينة وتنبع اهمية البرامج من الفلسفة الواضحة التى تقوم عليها السياسة الثقافية للاذاعة بأسرها ، وكلما كانت نوايا السياسة الثقافية الحسنة واضحة ومحددة أمكن استغلال الموارد المتاحة للوصول الى الاثر المطلوب .

وتأسيسا على هذا الفهم ، تلاحظ المؤلفة أن السياسة الثقافية فى مصر ، والتى تعتبر الاذاعة احدى وسائل تحقيق اهدافها ، ليست قالبا تصب فيه الأشياء ، كما انها ليست كيانا ماديا يمكن أن يقاس بالطول أو العرض أو العمق ولكنها ـ أى السياسة الثقافية فى مصر[٨] ـ ترتبط بالاتجاه العالمى الذى يربط بين السياسة الثقافية والخطة الشاملة للتنمية ، أو بمعنى آخر فانها تستهدف ارتباط السياسة الثقافية بالسياسة الاقتصادية للمجتمع . وبالتطور العلمى والتكنولوجى فيه « ذلك لأن دور الثقافة لم يعد قاصرا على تقديم المستوى الرفيع من المتع العقلية للطبقة القادرة على التمتع بها فحسب .. وفى عصر الشعوب هذا الذى نحيا فيه ، صار للثقافة دور فعال فى تحقيق أكبر قدر من الديمقراطية العقلية والوجدانية جميعا .. والديمقراطية العقلية لا تتحقق إلا بأن يشيع بين الناس ـ بقدر الامكان ـ قسط متقارب من المعارف . والديمقراطية الوجدانية لا تتحقق إلا بأن

يشيع بينهم قدر موحد من تذوق الفنون والتمتع بما فيها من اسرار ، وتبين ما فيها من قدرات خلاقة ومبدعة[٩] .

على أن السؤال الذى يثار فى هذه المناقشة هو :

هل معنى هذا أن نهبط بالثقافة الى مستوى الجماهير العريضة ؟

أم هل نقضى على مظاهر التفوق والابداع ، ليكون كل شىء فى قدرة المجموعات الواسعة من الناس ؟

على السياسة الثقافية أن تكون من الذكاء بحيث تدرك أنها لو فعلت ذلك لما حققت ديمقراطية الثقافة ، بل ستقف فى وجه التطور ويصبح انسان العصر انسانا متخلفا . ان طبيعة الثقافة من ناحية ، وديمقراطيتها من ناحية أخرى تقضى بالتطور الى الأمام على أن تيسر للجمهور الحصول عليها دون عناء .

والسياسة الثقافية فى مصر[١٠] حملت الدولة هذه المسئولية « فهى التى تتحمل مسئولية تطوير الانتاج الثقافى من ناحية ، وتيسره للناس من ناحية أخرى ، فتتحقق بذلك الركيزتان اللتان تقف عليهما الثقافة : التقدم المستمر فى غير تراخ وتحقيق الديمقراطية العقلية والوجدانية فى المجتمع »[١١] .

ويستلزم هذا من الدولة أن تفكر فى صيغ جديدة مبسطة تقدم فيها هذه المتع الكبرى ، ويصبح من واجب الفنانين والمثقفين أن يشاركوا الدولة فى الوصول إلى صيغ ملائمة يقدمون بها ثمرات الفكر وزهرات الفن على أوسع نطاق[١٢] .

من ذلك يتضح أن السياسة الثقافية فى مصر ، تمثل الفلسفة الواضحة التى ينبغى أن تعمل البرامج الثقافية فى البرنامج العام على تحقيق اهدافها ، وقد تبين ان هذه السياسة الثقافية تنظر إلى الثقافة باعتبارها عاملا فعالا ورئيسيا فى تكوين السياسة الشاملة للتنمية ، التى تتوقف الى حد كبير على قدرات الناس ، وتفوقهم ونموهم العقلى والعاطفى « وكلما زادت درجة نمو المجتمع زادت حاجة افراده الى الثقافة .. واذن فالسياسة الثقافية جزء لا يتجزأ من سياسة التنمية الشاملة ، وهى تتأثر بها وتؤثر فيها ، كما أنها تتأثر بالتطور التكنولوجى للمجتمع وتؤثر فيه »[١٣] .

مشكلة التطبيق :

إن ما يفرضه المنطق فى هذا المجال أن نحصر احتياجات المجتمع الثقافية ، ثم نحصر ما لدينا من امكانات مادية وانسانية ، قادرة على العطاء وبعملية حسابية بسيطة يتبين احتياجنا إلى استكمال اجهزتنا ... وكما نعرف أن طبيعة الثقافة ككيان معنوى واسع وفسيح ، حساس ودقيق ، فان طبيعة هذا شأنها قد ترفض الارقام ، وتأبى ان تتقيد بالاحصاءات ، ولكننا نعرف أيضا ان حصر احتياجات الفكر العام والوجدان القومى

وارادة الجماعة بل حصر ذلك جمعية بالنسبة للفرد ليس من الامور الهينة السهلة . ولهذا وطالما أن هذه هى العناصر الاساسية اللازمة لوضع سياسة ثقافية ، فان هذه السياسة الثقافية فى مصر مشكلة صعبة عسيرة الحل حتى الآن اذا اردنا لها تحديدا ، كاملا ، سليما لان البحوث الحالية لم تحدد العائد من العمل الثقافى الا بحصر المستفيدين من المحاضرات مثلا ، أو تحدد ما يباع من كتب ، أو مجموع من حضروا فليما سينمائيا أو عرضا مسرحيا أو رواد المتاحف والمعارض، ولكن السياحة تؤمن بضرورة وجود مقاييس أخرى يقاس بها العمل الثقافى .

من ذلك أنه قد تقدم مسرحية على اعلى مستوى فنى ، لا يقبل عليها الناس ولكنها تترك فى نفوس العدد الذى يحضرها شحنة عقلية وعاطفية تحدث فيهم آثارا وجدانية لا نظير لها ، وكذلك الحال بالنسبة لبرنامج اذاعى ما .. مثل هذه المسرحية ومثل هذا البرنامج كيف يمكن قياسهما بعدد المترددين والمستمعين أم بالأثر الذى يتركه كلاهما فى العدد المحدود الذى حضر وشاهد أو استمع ؟

نحن محتاجون الى مقاييس جديدة نقيس بها العمل الثقافى ، وحتى نصل إلى هذا فلا مفر من ان تخضع السياسة الثقافية للمقاييس المتعارف عليها ، وتأسيسا على ذلك الفهم ، فإن السياسة الثقافية فى مصر تتجه للإفادة من أجهزة الاعلام فى توصيل برامج الثقافة إلى الناس[١٤] . ومن أجل ذلك تضمن قرار تنظيم هيئة الاذاعة فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٦ والمشار إليه فيما تقدم ، أن تضع الاذاعة لتحقيق اهدافها ومن بينها : التثقيف ـ تخطيطا علميا متكاملا لمختلف وجوه النشاط فى شتى المجالات مستعينة بالدراسات والبحوث والإحصاءات والاستقصاءات المختلفة التى تؤدى إلى تقدم الخدمات الإذاعية على احسن وجه وبأعلى قدر من الكفاءة والاقتصاد فى الوقت المناسب[١٥] .

فقد يسفر برنامج ثقافى اذاعى لم يستمع إليه إلا قلة من المستمعين عن تغيير جذرى فى مفهوم من المفهومات الدارجة ، أو فى عادة من العادات القائمة ، وقد توحى احاديث العقاد وطه حسين بالاذاعة مثلا إلى من استمع إليها من كتاب ونقاد وفنانين بأعمال أخرى ابعد اثرا منها لدى الجماهير وأوسع انتشارا بين صفوفهم .

التركيز التام عند المستوى البيئى :

وعند تخطيط البرامج الثقافية يَحسن أن يراعى عنصران هامان جدا فى نجاح السياسة الثقافية وهما :

(أ) العنصر التثقيفى الذى سيميز البرنامج الثقافى عن غيره من البرامج الإذاعية الأخرى .

(ب) التجديد ، والبعد الجديد الذى سيضيفه البرنامج الى ميدان الثقافة ، إزاء أجهزة التثقيف ووسائل الإعلام الأخرى .

ولكن ثمة عوامل هامة اخرى يجب اخذها فى الاعتبار منها(١٦) :

أن يركز المخطط للبرامج الثقافية على المستوى البيئى : الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يعيش فيها جمهوره المستهدف ، كما يجب أن يتذكر دائما احتياجات مجموعة الافراد التى يتكون منها هذا الجمهور .. ولذلك نص القرار المشار إليه فيما تقدم ، على « متابعة الانشطة المختلفة لضمان تقديمها بالصورة والطريقة المتفق عليها مع التقييم الدورى لهذه الانشطة تلافيا للاخطاء ، وينطوى هذا النص على دعوة الى متابعة النشاط الثقافى وتوجيهه الى نوع من النقد الذاتى الذى يتغيا الإفادة من تجارب التطبيق فى رفع مستوى الاداء ».

والتركيز عند المستوى البيئى فى تخطيط البرامج الثقافية ، يعنى ارتباط هذه البرامج باخلاقيات المجتمع ، ويمكننا أن نتبين تركيز اذاعة جمهورية مصر العربية على الظروف المحيطة بالجمهور المستهدف من خلال لائحة اخلاقيات الاذاعة ، التى نذكر منها فيما يخص البرامج الثقافية : عدا الالتزام العام لجميع برامج الاذاعة بالقيم الدينية والوطنية والاجتماعية والاخلاقية :

أ ــ ارتباط البرامج الثقافية بالقيم العلمية والفنية :

١ ــ لا يجوز اذاعة المعلومات الخاطئة .

٢ ــ لا يجوز ابراز ما يخالف الحقائق العلمية من خرافات .

٣ ــ لا يجوز اذاعة آراء أو تعليقات أو توجيهات ذات صبغة علمية أو فنية أو مهنية ما لم تكن من مختص أو بعد مراجعتها .

ب ــ التزام البرامج الثقافية باخلاقيات الاذاعة :

١ ــ لا يجوز اذاعة الفاظ أو تعبيرات سوقية أو منطوية على معنى مبتذل .

٢ ــ لا يجوز اذاعة ما من شأنه أن يمس الآداب العامة أو يخدش الحياء بالقول أو الأداء .

٣ ــ لا يجوز اذاعة ما يؤدى إلى تحبيذ الانحلال الخلقى الفردى أو الجماعى سواء بالقول أو الاداء .

٤ ــ لا يجوز اذاعة من شأنه أشاعة اليأس وروح الهزيمة فى الافراد والمجتمع .

٥ ــ لا يجوز اذاعة ما يمس الاديان والعقائد .

٦ ــ لا يجوز اذاعة ما يمس القومية العربية أو قيمها الكفاحية وتراثها القومى الخ ..

ومن ذلك يتضح أن البرامج الثقافية ملزمة باخلاقيات الاذاعة بوجه عام ، من حيث ادائها لعملية التنشئة الاجتماعية ومن الضرورى أن تؤكد أن « التنشئة الاجتماعية

عملية مستمرة ـ تمتد من الطفولة حتى الشيخوخة[١٧] وهى تلتزم بوجه خاص المحافظة على القيم العلمية والفنية » .

ج ـ تطور البرامج الثقافية فى البرنامج العم :

تلاحظ المؤلفة أن البرامج الاولى التى أذيعت بالراديو ، كانت تتألف من الاحاديث فى اداء الوظيفة الثقافية ، ولكن التطور فى الارسال اتجه باذاعة البرنامج العام الى أن تدخل الوانا جديدة من البرامج الثقافية وتختلف نسبة توزيع مضمون الارسال فى البرامج اليومية أو الاسبوعية تبعا لآراء المشرفين على اعداد البرنامج وتبعا لإمكانات المؤلفين والاذاعيين وتبعا لرغبات جماهير المستمعين ، وتبعا للتخطيط العام فى الاذاعة .

وإذا كان البرنامج العام الذى أنشىء فى ٣١ مفيو ١٩٣٤ قد بلغ عدد ساعات إرساله اليومى عند الانشاء ١١ ساعة فإنه اليوم قد وصل إلى ٢٠ ساعة تقريبا ، وهذه الساعات العشرون موزعة على المواد الاذاعية المختلفة ، ويصل نصيب البرامج الثقافية منها حوالى ١٠ ٪ تقريبا حيث تحتل الترتيب الثالث بعد البرامج الترفيهية التى تأتى فى المقدمة والبرامج الدينية التى تليها مباشرة .

وتتضمن البرامج الثقافية فى البرنامج العام : الاحاديث والندوات والقصة والشعر وتبسيط العلوم والبرامج الخاصة ، بهدف « نشر المفاهيم العلمية العصرية ، وتأكيد اهمية العلم فى تطور الشعب ونهضته ، والاهتمام بالنشاطات الفكرية والفنية والادبية » و « تمكين المستمع من تحصيل أكبر قدر ممكن من المعلومات العامة فى شتى فروع المعرفة » .

وتخضع البرامج الثقافية فى الاذاعة لسياسة البرامج التى تحدد لكل فرع من فروع البرامج نسبة معينة ، وتتبع الاذاعة فى تخطيط برامجها تقسيم السنة الى اربع دورات اذاعية كل دورة مدتها ثلاثة أشهر وتبدأ السنة الاذاعية من أول يوليو وتعد البرامج التى تقدم خلال الدورة قبل بدئها بمدة كافية .

ولقد ظلت البرامج الثقافية فى البرنامج العام حتى عام ١٩٦٢ تشمل : الاحاديث والندوات والقراءات الادبية والبرامج الثقافية فى قالب منوعات والتمثيليات والبرامج الخاصة كما كانت تشمل البرامج الدينية .

ولم تلبث البرامج الثقافية فى البرنامج العام أن استقرت على التقسيم الحالى لموادها على النحو الآتى : ـ

البرامج الثقافية ـ الاحاديث والندوات ـ القصة ـ الشعر ـ المجلات العالمية والعربية ـ العلوم ـ المسابقات ـ البرامج الخاصة » .

وتلاحظ المؤلفة هنا :

أولا : ان البرامج الثقافية قد انفصلت عن البرامج الدينية . كما انفصلت عن برامج الطرائف وأصبح لها شخصية مستقلة .

ثانيا : أن البرامج الثقافية وفقا للتقسيم فى الاذاعة ـ تشمل الرياضة والموسيقى ، وقد استبعدنا كليهما من البرامج الثقافية فى هـذا البحث حتى يتفق تقسيم البرامـج الثقافية فى كل من البرنامج العام ، وصوت العرب موضع البحث .

ثانيا : اختيار الموضوعات فى البرامج الثقافية :

إن أكبر الاعتبار يجب أن يعطى لاختيار موضوعات البرامج الثقـافية واذا كـان مخطط البرنامج يرسم لمنهج ضخم له صفة اكاديمية فمن الواضح ان عليه الرضوخ تماما لمنهج جامد لا يستطيع التحويل أو التحوير فيه وفى الوقت ذاته يستطيع أن يقرر ما إذا كان المضمون الثقافى سيعالج عن طريق التقديم المباشر أو الدرامى أوغير ذلك .

واذا كنا قد انتهينا إلى ان التثقيف من أهم وظائف الاذاعة ، فإن المادة الثقافية فى الاذاعة المسموعة حين تتخذ القالب الذى نسميه بالبرامج الثقافية وعاء اذاعيا لها ، إنما تتوسل بجميع الاشكال الاذاعية المعروفة لنقل المعلومات والمعرفة وألوان الثقافة المرغوبة اجتماعيا الى المستمعين وفى هذا المجال يجب أن نؤكد على تعبير المادة الثقافية المرغوبة اجتماعيا لان لهذا التعبير دلالة بالغة الاهمية ، فهو يعنى المادة الثقافية التى يعتبرها المجتمع على اطلاقه « مطلوبة » ، أو « مرغوبة بشكل عام للشخص العادى ، وخصوصا المادة الثقافية التى تنهض بالفرد فى مجال تطوير ذاته وتفكيره وتساعده على مسايـرة مستوى المعرفة الاجتماعية والثقافية المتطورة باستمرار »[١٨] .

وعلى هذا يمكن تصنيف البرامج الثقافية فى البرنامج العام تحت عناوين عامة هى : الاحاديث [illegible]ة ـ الشعر ـ المجلات العالمية والعربية ـ تبسيط العلوم ـ مسابقات ـ برامج خاص[illegible] تخذ المادة الثقافية شكل الحديث والندوة والتمثيلية الإذاعية أو المجلة الإذاعية ، أو الحديث الحوارى .. إلخ .

وليست كل الموضوعات الثقافية صالحة لأن تقـدم من خلال هـذه الاشكال عـلى اطلاقها ، فكل نوع يتطلب نموذجا معينا يقدم البـرنامـج من خلالـه .. ولكن من أهم العوامل التى تساعد على إنجاح البرنامج : شخصية المقدم وأسلوبه فى التقديم ، اذ يجب أن يكون صديقا للمستمع وأن يكون مهذبا فى حديثه ولابد أن تكون شخصيته جذابة الى درجة القدرة على الاستحواذ على مستمعيه الذين لا يراهم ويجعلهم يستقبلون افكاره وآراءه بترحاب ورضى وإقناع ، كما لابد لمقدم هذا النوع من البرامج ان يبدو فى مستوى المستمعين الذين يخاطبهم من خلال البرنامج مع احتفاظه بشخصيته الخاصة ، كما أنه

يجب أن يأخذ دور المعاون لأن الموقف التعاونى يخلق رباطا يجمع بينه وبين المستمع[١٩] .

وقد اتجه البرنامج العام إلى تكييف المادة الثقافية فى برامجه وابراز نصيبها فيه ، وبعد أن كانت تائهة المعالم فى كل ما يقدم للمستمع كل يوم ، برزت معالم الثقافة وبرامجها فى الاذاعة وأخذت شخصيتها الفعالة ودورها العامل فى اداء الرسالة الثقافية للاذاعة . واذا كان البرنامج العام قد حدد الخط الفاصل بين البرامج الثقافية والبرامج الدينية بعد أن كانا مندمجين ، إلا أننا لاحظنا ـ كما تقدم ـ أن الأذاعة المصرية تعتبر البرامج الرياضية ضمن البرامج الثقافية ، وهو الامر الذى نرجو تداركه فى المستقبل ، حتى تتحدد معالم البرامج الثقافية تحديدا واضحا . وفى الحدود التالية نحاول حصر البرامج الثقافية التى قدمها البرنامج العام فى الدورة التى بدأت فى أول ١٩٧٨ وفقا للتصنيف الذى تأخذ به الاذاعة .

م	البرامج الثقافية العامة	الاحاديث والندوات	القصة	البرامج الخاصة	المسرح والسينما	الكتب والمجلات	العلوم
١	حياتنا الثقافية	حديث الصباح	من القصص العالمى العالمى	الجائزة التقديرية	اضواء المسرح	زيارة لمكتبة فلان	نادى العلوم
٢	لغتنا الجميلة	ع الماشى	مواقف درامية	من اسبوع لاسبوع	قصة فيلم من الشاشة	اقرا	العلم والحياة
٣	قال الفيلسوف	صالون الفكر	مع الادباء الشبان		إلى الميكروفون	ادب الخيال العلمى	
٤	لقاء الفن	للأعضاء فقط		دنيا السياحة		العائلة	طبيب
٥	فنون	يتحدثون عن		الميكرفون مع			
					المسابقات	الشعر	
				الغلط فين	—		

م	اسم البرنامج	موعد اذاعته		يوم الاذاعة	موعد الاذاعة		يوم الاعادة		مرات فى الاسبوع	مدة البرنامج
		ق	ت		ق	ت				
١	حياتنا الثقافية	٣٥	٥ م	الخميس	—	—	—	١	١٥	—
٢	لغتنا الجميلة	٣٠	١٠ م	يوميا	—	—	—	٧	١٠	—
٣	قال الفيلسوف	٣٥	١٢ م	»	—	—	—	٧	٠٥	—
٤	لقاء الفن	٣٠	١٢ م	الاثنين	٣٠	١٠ ص	الخميس	٢	—	١
٥	فنون	٢٥	٦ م	الاحد	—	—	»	١	١٠	—

أ ـ البرامج الثقافية العامة :

ومن هذا الجدول يتضح أن البرنامج العام يقدم خمسة برامج ثقافية ثابتة بعضها يومى والآخر اسبوعى ، وهذه البرامج هى :

١ ـ حياتنا الثقافية :

برنامج اسبوعى يقدمه فاروق شوشه ومشيرة كامل ٥,٣٥ مساء الخميس ، وينقل هذا البرنامج الندوات الأدبية التى تعقد فى الجمعيات الادبية ونادى القصة واتحاد الادباء وقصور الثقافة ، ومن ذلك مثلا ما قدمه البرنامج يوم ١٦ فبراير ١٩٧٨ حيث قدم البرنامج تسجيلا للندوة الادبية التى نظمها قصر ثقافة الغورى وتحدث فيها الأدباء ثروت أباظة ود . عبد العظيم المطعنى وعامر العقاد .

كما يقدم هذا البرنامج عرضا للمجلات الثقافية التى تصدر فى الوطن العربى ومن المجلات التى يقدم عرضا لها : الهلال ـ الثقافة ـ الدوحة ـ الفيصل ـ الموقف الادبى ـ الاقلام .

ومن السمات الواضحة التى نميز بها هذا البرنامج وغيره ، اتخاذه طابعا تعليميا مباشرا فهو اشبه بمحاضرة أو درس يلقى على الجمهور دون محاولة للإفادة من الامكانات الكبيرة للاذاعة المسموعة ، ومن الواضح أن هذا العيب الذى يشوب شكل البرنامج الثقافى ومضمونه يرجع قبل كل شىء ، إلى طبيعة التكوين الثقافى للمشرفين على أمثال هذا البرنامج . وحسبنا أن نقول مع الدكتور فؤاد زكريا فيما يتعلق بهذا التكوين ،

إننا فى حاجة شديدة إلى رفع المستوى الثقافى للكثيرين ممن يقومون بدور فى هذه البرامج ، وليس فى الاعتراف بهذه الحقيقة ما يعيبنا على الإطلاق[٢٠] .

٢ ـ لغتنا الجميلة :

فى سبتمبر عام ١٩٦٧ بدأ برنامج « لغتنا الجميلة » أولى حلقاته « وما زال مستمرا حتى وقت كتابة هذه السطور » ، ويقدم هذا البرنامج فاروق شوشه يوميا ومن الجدول السابق يتضح أن مدة البرنامج ١٠ دقائق يوميا ، ويذكر الاستاذ فاروق شوشة أن السؤال المطروح أمام البرنامج هو : كيف يستطيع البرنامج وهو يغوص وراء الدر الكامن فى تراثنا العربى : شعره ونثره ـ ثم وهو يتابع حياتنا الجديدة الممتلئة بألوان التعبير « الجميع » ، ونماذجه أن يشد اليه اهتمام المستمع غير المتخصص ؟ كيف يستطيع أن يتجاوز هذه المساحة الضيقة التى تقف عندها ـ عادة ـ تلك البرامج المثقلة بالفكر والثقافة ، والتى ينحبس فى اطارها عدد من ذوى الاهتمامات المتخصصة دون أن ينجح فى جذب الاهتمام العام واثارة الوجدان العام ، الوجدان البسيط ، لدى مستمعينا الذين يشكلون دائما قطاعات شتى مختلطة ، ومتشابكة من أسرة المجتمع كله ؟

ولتحقيق هذا الهدف ، فقد اختط البرنامج لنفسه من البداية أسلوب الرحلة . لم يحرص على أن يكون دروسا تلقى ، بما للدروس دائما من وطأة شديدة وثقل ظل ، ولا أن يكون ذا هدف تعليمى سرعان ما يثبط الهمم ، ويشعر المتلقين من بين مستمعيه أنهم دائما فى وضع التلاميذ ، وأن عليهم دائما أن يظلوا فى هذا المكان لا يتجاوزونه .. بل ليس من حقهم أن يتجاوزوه ، ولا أن يصبغ نفسه دائما بصبغة واحدة ، لا يغيرها ، أو جلد واحد يلبسه ولا ينزعه ، فالطابع المتجدد ، الدائم التغيير والتحول ، أكثر مدعاة للحيوية والجدة والطرافة ، وأعمق اثرا فى النفس والعقل[٢١]

ويعنى مقدم البرنامج بأسلوب الرحلة أنه « أسلوب من ينقب ويختار ويتجاوز ، ولا يبقى دائما فى محله ، أسلوب من يبحث عن الجمال أنى كان وحيثما وجده لا يعنيه إلا أن يقطف من كل بستان ما يروق لعينيه وقلبه ، ولا يمكث الا بقدر ما يتذوق ويتأمل . ثم عليه أن يرحل ويكتشف ويغامر ، بحثا عن الجديد والطريف والاصيل ، وما أكثره فى صفحات تراثنا العربى العامر بالكنوز »[٢٢] .

ويذكر أن رسائل المستمعين الى البرنامج كشفت أن « قطاعات الاستماع تضم اذواقا عدة وميولا غير متجانسة ، وثقافات شتى ، بل مستويات متعددة من هذه الثقافات تتراوح بين الأمى والمتخصص وقد يبدو غريبا أن يكون من بين مستمعى البرامج أميون ، ولكنها حقيقة تكشف عن الدور الهام والفعال الذى تقوم به أجهزة

الاتصال بالجماهير وفى مقدمتها الاذاعة فى سد فراغ المدرسة ونقص الكتاب وغياب مؤسسات التعليم والثقافة بصورة عامة ، فضلا عن واقع الحال المتمثل فى ارتفاع نسبة الامية والاميين ، بصورة خطيرة وفاضحة فى مجتمعنا ، الذى يشق طريقه مندفعا إلى عتبات القرن الحادى والعشرين . غير أن هؤلاء الأميين ـ الذين لم تخل وجداناتهم ومداركهم من ثقافة ، لم يفتهم أن يتذوقوا ما يقدمه البرنامج بين الحين والحين ، ولا أن يتعرفوا على بعض مواطن الجمال واسراره ، من خلال تلقيهم لبعض نصوص شعرنا العربى ـ قديمه وحديثه ـ ومن خلال اللغات التى يوجه بها البرنامج اهتمامه لاسرار الاعجاز والبلاغة فى آيات من القرآن الكريم ونماذج من الحديث الشريف ، وآثار البلغاء والفصحاء فى تراثنا العربى[٢٣] .

وإن كنا نتحفظ مع الدكتور يونس فى وصف اللغة « بالجمال » لأن اللغة تنظم الظواهر الاجتماعية كلها بمفهومها الاجتماعى[٢٤] ، إلا أن برنامج « لغتنا الجميلة » شكل إذاعى للمختارات التى عُنى اصحابها بالانتقاء والاختيار فى تراثنا العربى عبر العصور ، ومن هذه المختارات : « المفضليات » للضبى ، و« الحماسة » لأبى تمام ، و« الكشكول » للعاملى ، و« زهر الآداب » للحصرى ، و« مختارات البارودى » ومن هنا كان برنامج « لغتنا الجميلة » كبرنامج يخاطب المستمع يمثل انتشارا أكثر بانتشار الاذاعة فى وصل المستمع بالتراث العربى ، شعره ونثره ، عبر قرونه المتطاولة ، مع التعرف على ابرز أعلامه وأجمل نماذجه وأخلد صفحاته وأثمن كنوزه .

وفى حلقات البرنامج التى جاوزت حتى الآن ثلاثة آلاف حلقة صور للغة العربية بين الماضى والحاضر ، بين القديم والجديد . وبين ثورة الاسلوب وتجديد المجددين ، بين واقع هذه اللغة ومشكلاتها المعاصرة مع ألفاظ الحضارة ـ أى مفردات الحياة العامة وتسمياتها ومصطلحات العلوم ، بين صورتها الاولى والمكتسبة بطابعيها الصحراوى والموسيقى ، وصورتها الحديثة المكتسبة بطابع المعاصرة والقدرة على الاتصال ، والاتساع لروح العصر ومنجزات الحضارة وحصاد حركة الترجمة والتفاعل مع اللغات الاجنبية ، اخذا وعطاء ، هضما وتمثيلا ، فناً وكثافة ...

٣ ـ قال الفيلسوف :

برنامج يومى مدته ٥ دقائق يعتمد على الحوار بين ممثلين احدهما صوت رجالى يمثل الفيلسوف والآخر صوت نسائى يمثل التلميذة التى تسأل وتثير قضية من القضايا الفكرية ، فيسترسل الفيلسوف فى الاجابة من خلال استعراض لمأثور من الكلم ، معتمدا على التراث العربى العامر بالطريف والاصيل .

٤ ـ لقاء الفن :

برنامج اسبوعى مدته ساعة يذاع يوم الأثنين ١٢,٣٠ مساء وتعاد إذاعته ١٠,٣٠ صباح الخميس ، ويعتمد على اللقاءات التى يمر بها مقدم البرنامج مع رجال الفن فى مجالاته المختلفة : الموسيقى ـ الغناء ـ الفن التشكيلى إلخ ..

٥ ـ فنون :

برنامج أسبوعى مدته ١٠ دقائق اسبوعيا يذاع ٦,٢٥ مساء الاحد ويتخذ قالب المجلة الاذاعية فى تسجيل الحياة الفنية ويقدم جولة مع هذه البرامج الأخيرة ، توضح ما نعنيه باستغلال إمكانات الاذاعة المسموعة فكل برنامج من البرامج الثلاثة يقدم ما فيه من مضمون من خلال شكل يتلاءم مع طبيعة الوسط الذى يقدم فيه هذا البرنامج فقال الفيلسوف مثلا برنامج لا يعتمد على أسلوب الحديث المباشر كما فى برنامج « حياتنا الثقافية » وبرنامج « لغتنا الجميلة » إنما يعتمد على الاسلوب الحوارى الملائم لتقديم برنامج ثقافى إذاعى ، الذى يستغل إمكانات الاذاعة المسموعة فى تعريف المستمع العربى بتراثه الثقافى والاخلاقى العريق وتمثله لهذا التراث فى حياته المعاصرة ، مما يزيد من ثراء الجوانب الاخلاقية والفكرية المعاصرة للانسان المصرى والعربى .

أما برنامج « لقاء الفن » وبرنامج « الفنون » فإنهما يعملان من خلال أسلوب الحوار وتقديم الاعمال الفنية على تحقيق القيم الجمالية والفنية فى الفقرات المقدمة منهما والفقرات المنقولة اليهما من السينما والمسرح والمعارض .. إلخ على المستوى الذى يؤدى إلى رفع مستوى الاحساس بالجمال والتذوق للفن فى المجتمع فى جميع تفاصيل حياة المستمع اليومية والفكرية .

ب ـ الاحاديث والندوات :

وعنى البرنامج العام منذ نشأته بوضع سياسة مدروسة ثابتة للاحاديث توخت أهدافها مسايرة النهضة الحديثة ، فاستوعبت مواد الاحاديث بكافة أشكالها من أحاديث وندوات . وقد عُنى البرنامج العام بوضع نظام الندوات بحيث تحدد مراحل الاحاديث مع دورات البرامج كل ثلاثة أشهر ، يدرس فيها ما تمت اذاعته وما يقتضيه التجديد من ألوان وموضوعات جديدة تفصل على المراحل الاذاعية ، ثم يختارها أقدر المتحدثين وأوفرهم حظا من الكفاية والتخصص فى الموضوع الاذاعى كما ادخل نظام السلاسل الثقافية الخاصة يتناوبها فى كل دورة قادة الفكر العربى المعاصر ويعرض فيها الموضوع على حلقات متتابعة أسبوعيا لتمكين المستمع من الافادة منها على أقصى مدى من فترات الاستماع الدورى .

وعني البرنامج العام بتنسيق اتجاهات الاحاديث على أيام الاسبوع بحيث يتسع الاسبوع الاذاعى لأهم الموضوعات والقيم الثقافية التى يحتاجها المجتمع فى كل مرحلة من مراحل حياته واحداثه ، فقدمت سلسلة من الاحاديث القومية الى جانب السلاسل الثابتة التى تربط المستمع بالثقافة العربية فى مختلف المجالات العلمية والادبية والحضارية ، كما خصص برنامج على شكل ندوات يلتقى فيها أقطاب الفن والعلم .

ومن البرامج الثقافية التى تتخذ شكل الحديث أو الندوة فى البرنامج العام من دورة يناير ١٩٧٨ ، البرامج التالية :

الاحاديث والندوات

اسم البرنامج	موعد اذاعته	يوم الاذاعة	موعد اعادته	يوم الاعادة	مرات الاذاعة فى الاسبوع	الزمن المخصص للبرنامج
١ حديث الصباح	٦,٣٠ ص	يوميا	٦,٣١ م	يوميا	١٤	٥ ق يوميا
٢ ع الماشى	٧,٤٠ م	يوميا	—	—	٧	٥ ق »
٣ صالون الفكر	٩,٣٠ م	الجمعة	—	—	١	٣٠ ق »
٤ للأعضاء فقط	٩,٣٠ م	الاثنين	—	—	١	٣٠ ق »
٥ يتحدثون عن	٧,١٨ م	الاثنين	—	—	٢	٥ ق »

وقد ألغى البرنامج العام ندوة « المائدة المستديرة » التى كان يقدمها اسبوعيا فى ٣٠ دقيقة ويشترك فيها بالتحاور والمناقشة مع المخرج قادة الرأى والفكر . ومن الجدول السابق نتبين أن البرامج الثقافية تشمل الاحاديث والندوات ففى الاحاديث نجد برنامجين يوميين هما « حديث الصباح » و« ع الماشى » ، وبرنامجا يقدم مرتين فى الاسبوع هو « يتحدثون عن » ، أما البرامج التى تتخذ شكل الندوة الثقافية فاننا نجد لها مثلا فى « للاعضاء فقط » .

أما برنامج « صالون الفكر » فهو يعتمد على أسلوب المواجهة بين مفكر أو اديب وجمهور قرائه ، ومن ذلك مثلا ما قدمه مساء ٢٠ يناير ١٩٧٨ حين سجل البرنامج الحوار بين نجيب محفوظ وقرائه حول : قضايا المرأة والشكل الفنى والبيئة الشعبية فى أدبه . ومن ذلك أيضا ماقدمه البرنامج يوم ١٠ مارس ١٩٧٨ من تسجيل للمواجهة بين الدكتور

زكى نجيب محمود وجمهوره حول معنى الايديولوجية والهدف من دراسة الفسلفة والسبيل الى تجديد الفكر العربى ، وماذا نأخذ من التراث ، وماذا ندع منه وسبب انتشار الدعوات اللاعقلانية فى الشرق وأثر ذلك على النهضة الفكرية .

وقد عنيت الاذاعة بتخطيط برامج الاحاديث والندوات على اساس من :

١ ــ تخطيط الموضوعات على ضوء الاهداف والمبادىء العامة التى رسمتها الدولة فى الجانب الثقافى .

٢ ــ اختيار الاساتذة المتخصصين فى مختلف النواحى كل فى موضوعه .

٣ ــ وضع السلاسل الثقافية الجديدة على خرائط البرنامج لدورة كاملة .

٤ ــ دراسة المواد قبل تسجيلها دراسة دقيقة وقد وضعت لذلك نظاما لمراجعة المواد واعداد تقرير فنى عن كل مادة بعد استيفاء النواحى الدينية والسياسية بطريق الجهات المختصة فى هذه النواحى .

كما يتبع البرنامج العام نظاما خاصا فى اعداد تخطيط البرنامج فى الاعياد والمناسبات القومية والدينية والأحداث التاريخية الهامة التى يتم توجيه برامج خاصة لها فى حينها . وتتراوح الاحاديث الاذاعية من حيث الطول بين ثلاث دقائق وخمس عشرة دقيقة ، وذلك بالنسبة للبرنامج العام والاذاعات العامة ، أما بالنسبة للاحاديث التى تقدم من ميكروفون البرنامج الثقافى (الثالث بالاذاعة البريطانية) أو (الثانى بالاذاعة المصرية) فانها تستثنى من شرط المدة .

وبصفة عامة يمكن القول بأن مدة الحديث تحددها طبقة الموضوع المتناول فاذا استمعنا مثلا الى عدد من الاحاديث المذاعة هذه الايام وقمنا بتحليلها سنجد أن حديث الخمس دقائق الجيد يدور حول فكرة واحدة أو فكرتين على الاكثر ، وقد قدما فى تألق ووضوح وبتأن وفى نوع من الشمول ، بمعنى أن المتحدث قد نجح فى الاحاطة بفكرته أو بفكرتيه احاطة شبه كاملة[٢٥] .

وبطبيعة الحال فالحديث الاطول يحتوى على افكار أكثر عددا ، ولكن مع مراعاة أن هذه الافكار يجب أن تكون قابلة للهضم من جانب المستمعين ، وهذه القابلية تتوقف بصفة اساسية وجوهرية على عنصر الوضوح ، فالمستمع الذى لايدرك ما يقوله المتحدث على الفور أو يجد صعوبة ما فى تتبع تسلسل الافكار التى يعرضها ، يشكل حجر عثرة فى طريق وصول المتحدث الى الهدف الذى يرمى اليه من حديثه ويستطيع المتحدث دائما أن يجد مادة أكثر كثيراً من التى يمكن أن يتضمنها حديثه مهما كان طول هذا الحديث . كذلك تختلف اساليب المتحدثين فى تناول هذه المادة ، فالبعض منهم يلجأ الى تدوين كل

ما يعن له حول الموضوع على هيئة نقاط أو عناصر تمثل نقـاط الارتكاز الاسـاسية ... والدعائم التى سيقوم عليها بناء الحديث . وهذه كما تقول جانيت دنبار[٢٦] « هى الطريقة المثلى » .

أما البعض الآخر فيتعقد أنه يستطيع كتابة الحديث ككل مرة واحـدة . ولكن ايا ما كان الامر فان معظم الكتاب المنتظمين والمتمرسين يملكون القدرة الفائقة على وضع ايديهم على الافكار الهامـة والافكار المشـوقة التى يمكن أن يشتمـل عليها المـوضوع ويبدءون عادة بتسجيل جملة الحقائق والافكار والمقتطفات والمراجع التى يمكن الاستعانة بها . تلى ذلك مرحلة اختيار ما يحتاجون اليه ، واعطاء الحديث شكله النهائى .

وجمع المادة ليس بالامر الصعب . وتتمثل العملية الفنية فى الحديث فى اختيار هذه المادة وتقديمها للمستمع فى أسلوب ممتع دون ترك الفرصة أمام شبح الدافع التلقينى ليلقى ظله الكئيب على الحديث . ورغم أن الهدف التعليمى أو الاعلامى يمكن أن يكون هدفا ساميا فى حد ذاته ، الا أن تحقيق هذا الهدف يحتاج الى نظام صارم دقيق يضمن تحقيق الاذاعة الناجحة وعدم هروب المستمع فالحديث الوصفى مثلا من الممكن أن يكون أعظم مافيه قيمة هو ما لم يقله المتحدث فالمتحدث يسعى الى إعطاء المستمع انطباعـا واضحا عن شيء يعرفه المتحدث تمام المعرفة . ولكن يفعل ذلك بطريقة مجدية ، فان أول ما يحتاج اليه هو مشاركة هذا المستمع ومعاونته . وكلتاهما لن يحصل عليهما إلا إذا نجح فى تحريك خياله ودفعه الى العمل[٢٧]

والحديث الجامد المملوء بالحقائق المتراكمة لا يحرك خيال المستمع بقدر مـايعوق حركته وقدرته على الانطلاق ، كما يعوق قدرته على إمعان النظر فى الكم الهائل من الافكار التى يعـرضها المتحـدث ، ويجعل المستمـع اقـل استعـداداً وقـابليـة لفهم الصـور والاستعارات التى قد يلجأ اليها اللهم الا اذا كانت وثيقة الارتباط بما يقـال فى نفس اللحظة أو ذات صلة مباشرة بالمستمع[٢٨] .

وتضرب « جانيت دنبار » مثلا لذلك بالمتحدث الذى يريد أن يتكلم عن تخطيط جديد لاحدى المدن . هذا المتحدث قد يميل — فى سبيل اعطاء المستمع فكرة وافية عن كثافة السكان — قد يميل الى حشد عدد من البيانات والإحصاءات هى فى حقيقة الأمر لا تمثل شيئا ذا قيمة لدى المستمع بينما قد يعمد آخر الى التحدث عن العائلات التى ستملك بيوتا خاصة بها ، والعرسان الذين سيستطيعون الحصول على شقق مستقلة بذاتها . فمثل هذا المتحدث بلا شك يقول شيئا يستطيع المستمع ادراكه بمجرد الاستماع اليه[٢٩] .

والسؤال عن كمية ونوع الحقائق التى يمكن اختيارها واشتمال الحديث عليها ، ومن الواجب الاجابه عليه عندما يطلب من المرء أن يفسر أو يلقى الضوء على شيء ما يحتاج تفسيره الى مجموعة ضخمة من المعلومات .

واذا كان فى ذلك مايشير الى اهمية الحديث الاذاعى وطبيعته ، فقد حظيت الاذاعة المصرية بفرسان الحديث الاذاعى الذين تفهموا هذه الاهمية وتلك الطبيعة — : طه حسين والعقاد والدكتور هيكل والشيخ المراغى وعدد كبير من رجالات الفن والفكر والادب من لهم فى نفوس القراء مكانه خاصة . وكان موعد اذاعة حديث للدكتور طه حسين أو العقاد مثلا معروفا لدى كافة افراد الاسرة ويحرصون على تلبيته حرصهم على الاستماع الى شيء أثير ، على الرغم من أن هؤلاء كانوا يقدمون مادة ثقافية رفيعة جوهرا ولغة واداء[٣٠] .

ولعل ذلك يرجع الى الشخصيات المميزة لهؤلاء الفرسان ، فى الروح والاسلوب المميز فى تناول القضايا ووجهات النظر ، وقد اشتركوا جميعهم فى شيء واحد هو احترام المستمع وإعطائه حقه من التبجيل والتكريم ، بحيث إن المتحدث كان يفترض فى المستمع ذكاء وقدرة على الفهم وكان تبعا لذلك يخاطبه بروح أسرية اخوية دون تعال أو افتعال أو محاولات فجة للشرح والتبسيط ، ولعل الامتلاء بالمادة التى اتحدث فيها هو الذى يفرض شكلا مبسطا للحديث . ويذهب بعض النقاد الاذاعيين[٣١] الى أن الحديث الاذاعى بهذا المفهوم قد « انقرض بعد أن تسلط على البرامج مجموعة من المتاجرين بخرافة التخصص وادعائهم بانهم وحدهم يفهمون كيفية التعامل مع الميكروفون ، ولقد انحصرت كل فلسفتهم فى أن الميكروفون ينبذ الصوت المنفرد وهذا الرأى لايصح الا فى حالة واحدة فقط هى حالة ما إذا كان المتحدث ضحلا منعدم الشخصية والاسلوب مائع الروح ... ولقد بدأ بعض الاذاعيين الاذكياء يتنبهون الى أهمية الحديث الاذاعى فعملوا على احيائه من جديد ، ولكنهم حاولوا تزوير شكله الفنى بادخال عناصر فنية اخرى تبعد قدر الامكان عن المتحدث المباشر . ولكن ذلك لم يفد فى شيء وماتت مثل هذه الاحاديث ولم يبق منها سوى الحديث المباشر الصريح .

الكتابة على الاثير :

ولعل من الإنصاف أن نشير إلى أن هؤلاء الفرسان لم يكن حديثهم الاذاعى ناجحا لانهم مشهورون فحسب ، وانما لان هؤلاء قد عنوا بفهم طبيعة الاذاعة والفن الاذاعى عناية مهدت الطريق امام الحديث الاذاعى العربى . ويقول العقاد[٣٢] انه كلما كتب كلمة

للاذاعة عاودته « فكرة جديرة بالتأمل من جميع المشتغلين بالاساليب الادبية . لاننا اليوم امام أسلوب جديد من التعبير لايدخل فى باب الخطابة ولا يدخل فى باب الكتابة ، ايا كان الموضوع المكتوب فيه فالكاتب يودع الورق كلامه الى قرائه والخطيب يراهم ويرونه ، ويتجاوب شعوره وشعورهم فلا يخلو كلامه من أثر هذا التجاوب ، ولو فى لهجة الخطاب ، ولعله اذا ألقى خطابه مرتجلاً يعدل عن بقيته ويستبدل عبارات منه بعبارات اخرى ، متابعة للاثر الذى يلمحه على وجوه سامعيه فى سياق الكلام » .

أما حديث الاذاعة فليس حديث الورق وليس حديث التجاوب بين القائل وجمهوره بالرؤية والسماع ، وسيظل كذلك ولو عمت الرؤية البعيدة ونظر المتحدث الى جمهوره ونظروا اليه فى ساعة الإلقاء . وسيكون لهذا النسق الجديد اسلوبه من التعبير وتركيب الجمل وترتيب المعانى ، ويحاول الكاتب الذى يكتب للاذاعة ان يحسب لهذا الاختلاف حسابه تبعا لفن جديد تهدينا اليه الملاحظة بعد الملاحظة فى حالتى الإلقاء والسماع .

« لاأريد أن المتحدث فى الاذاعة يصطنع التبسيط ليفهمه جميع المستمعين ، فاننى أعتقد أن جمهور المحاضرات والاحاديث الادبية محدود معروف ، وان موضوعات الاذاعة تخلق جماهيرها وتوزعهم على أوقاتها فلا حاجة بقسم الاطفال مثلا الى تكييف موضوعات ليستمع اليها الكبار ، ولا حاجة بقسم التدبير المنزلى الى شرح وسائل الطبخ كى يفهمها الرجال مع السيدات . وكذلك لاحاجة بقسم المحاضرات الى التبسيط ليتشرك فى سماعها من لا يسمعها ولا يريد أن يصغى اليها .

« أعنى بأسلوب التعبير المتوسط بين الكتابة والخطابة أنه فن من فنون التعبير معوله على السماع الحاضر لا على القراءة ولا على النظر والمجاوبة ولابد أن يظهر مع هذا الفن نمط جديد من التفكير يعرض الفكرة على حسب الحالة التى يكون عليها المستمعون ساعة الإصغاء » .

وهكذا تمكن قادة الفكر المصرى الحديث من تطويع كلمتهم لوسيلة الفن الاذاعى فقدموا سلسلة من الاحاديث الثقافية تعد من تراثنا الثقاف الحديث فى مكان الصدارة . ومن سلسلة احاديث المرحوم عباس العقاد نذكر :

الواقعية فى الادب ـــ مقدمة ابن خلدون ـــ الاختراعات بين العلم والدين ـــ الدراسات الاسلامية فى اللغات الاجنبية ـــ الانسان غدا ماذا يمكن أن يكون ـــ نافذة على الثقافة العربية ـــ الكتابة عن النفس ـــ النقد الأدبى .. إلخ .

ومن أحاديث الدكتور طه حسين نذكر أحاديثه عن « الأدب » التى تحدث فيها عن الواقعية فى الادب ـــ بين القديم والحديث فى الادب ـــ فى القصص ـــ فى التمثيل ـــ الادب

الوصفى ـ الاديب الحق من هو ومكانة الادب فى الحياة الاجتماعية وسلسلة اخرى بعنوان « الادب العربى بين القديم والحديث » يؤرخ فيها للادب العربى منذ العصر الجاهلى حتى العصر الحديث وحركة التجديد فى الادب ... إلخ .

وقبل ٣٠ عاما تحدث الدكتور طه حسين فى الاذاعة عن « نهضتنا الأدبية وما ينقصها » فقال :

« لست اخاف حياتنا الادبية شيئا كما اخاف عليها الغلو فى اكبارها ، والاعجاب بها والاطمئنان اليها ... ولعلى من أجل هذا الخوف اكره التفكير فيها ، والوقوف عندها ، وتناولها بشىء من الدرس والتحليل ، فهى نهضة قوية من غير شك ، لها من الخصب حظ عظيم ... تناولت آدابنا القديمة فأحيتها . ثم لم تقف عند هذا الإحياء بل اضافت الى تلك الآداب القديمة آدابا حديثة لم يعرفها القدماء . ولم يفكروا فيها .... وهى ماضية فى احياء الادب القديم ، وانشاء الادب الحديث ، يصيبها الفتور من حين الى حين ويدركها الضعف من وقت الى وقت ولكنها لا تلبث أن تخلص من هذا الفتور ، وتبرأ من هذا الضعف ، وتمضى فى طريقها نشطة قوية لاتلوى على شىء .. وهى من هذه الجهة خليقة بالإكبار والإعجاب حقا ..

لذلك احببت ، وما زلت احب للادباء أن يمضوا فى طريقهم محبين للادب القديم ، منشئين للادب الحديث . دون أن يقفوا .. أو دون أن يطيلوا الوقوف » .

يواصل الدكتور طه حسين حديثه فى الاذاعة : نهضتنا الادبية وماينقصها .... فيقول :

« .. ولعلك إن سألتنى عما يسخطنى ويبعث فى نفسى الخوف والاشفاق بعد أن عرفت ما يرضينى ويبعث فى نفسى الامل والرجاء . لم تجد عندى جوابا يقنعك . ولكنه يقنعنى أنا ويدعونى لا الى اليأس . ولا الى الوقوف .. بل الى الأمل ، والى الجهاد الذى لايعرف مللا ولا فتورا .. » .

فنهضتنا الادبية ـ كما يقول الدكتور طه حسين ـ على كل هذا الفوز الذى ظفرت به ينقصها اشياء اساسية لابقاء للنهضة من دونها ..

إلى أن يقول :

« فمن ظن أن هذه النهضة التى انتهت بنا الى هذه المنزلة التى ستنتهى بنا الى هذه المنزلة بعد قليل الى حيث ينظر اليها الغرب كما ينظر الند الى الند والنظير الى النظير ـ

اقول من ظن أن هذه النهضة يسيرة أو ضئيلة ، فهو مسرف فى الطمع لا يعرف لآماله حدا يقف عنده أو ينتهى اليه وانا أحد هؤلاء المسرفين الذين يرضون عما وصلنا اليه من الرقى ، ولكنهم مع ذلك يأبون أن يقنعوا به ، أو ... يطمئنوا اليه أو .. يروه لائقا بما تستحق ، وبما تستطيع من التقدم بالرقى ... فأنا راض ساخط معا ..

ومن هذا الرضا وهذا السخط يأتلف لى مزاج فيه الابتسام العبوس وفيه التفاؤل والاتفاق » .

ومن ذلك يبين أن هؤلاء الرواد قد حددوا معالم الحديث الاذاعى على النحو الذى انتهت اليه فى الفن الاذاعى فى العالم وهناك عدد من الاعتبارات يجب على المتحدث الذى يريد أن تحقق احاديثه الغرض منها ان يضعها نصب عينيه منها(٣٣) .

أولا : معرفة أنه لا قيمة على الاطلاق للبداية القوية الشيقة التى تشد الانتباه اذا أتبعها ما يثير الملل أو الكآبة ، كما تفعل بعض دور الصحف عند وضع المنشتات .

ثانيا : أن الحديث الذى يسير على وتيرة واحدة من الاثارة يثير سخط المستمع بنفس الدرجة التى يثيره بها حديث آخر يسير على وتيرة واحدة من الرتابة .

ثالثا : أن مستمع الحديث يكون عادة فى حالة استرخاء ذهنى ، فاذا مادفع الى التفكير المتواصل فانه سرعان مايقع فريسة لما يسميه المحللون ... « باعباء » المستمع .

رابعا : انه لابد من التنويع فى المزاج ، وزوايا عرض الموضوع والإيقاع .

خامسا : كذلك يجب أن ينبه المستمع اذا ما اقتضى الامر العروج الى موضوعات جانبية وأن ينبه ايضا عند الرجوع الى الموضوع الاصلى سواء عن طريق إعادة النقطة التى انقطع عندها حبل الموضوع الرئيسى أو عن طريق إعطاء تلخيص سريع للموضوع .

سادسا : ضرورة توزيع المعلومات والافكار على فترات متفاوتة لضمان إثارة انتباه المستمع طوال الاذاعة . وكذلك الحال بالنسبة للنقاط المشرقة فى الموضوع ، التى يمكن أن تجدد قابلية المستمع لمواصلة الاستماع .

سابعا : واخيرا أن نهاية الحديث لاتقل أهمية عن مقدمته فهى التى تترك الانطباع الاخير الذى يحاسب المستمع محدثه على اساس ، ويصدر احكامه وفقا له بصرف النظر عما اذا كانت احكاما عادلة أم جائرة .

ومن احاديث الرواد الاوائل من المفكرين المصريين يبين أن الحديث قد صيغ بدقة ومهارة وفن بعد دراسة ، تجعل الحديث قادرا على الاستحواذ على انتباه المستمع طول الوقت .

ج ــ البرامج الخاصة :

تقوم الاذاعة المصرية باعداد تخطيط خاص لبرامج الاعياد والذكريات القومية والدينية والاحداث التاريخية الهامة التى يتم توجيه برامج خاصة لها فى حينها كل عام للمبادىء والقيم التى تنطوى عليها احداث هذه الذكريات ومنها على سبيل المثال :

المناسبات والاحداث القومية :

عيد الثورة ــ عيد الجلاء ــ تأمين قناة السويس ــ ذكرى الاعتداء الثلاثى فى معركة بور سعيد ــ ذكرى انسحاب المرشدين الاجانب . اسبوع النصر وانسحاب القوات المعتدية من بور سعيد ــ يوم فلسطين ــ عيد الوحدة ــ يوم الجزائر ــ الإعلان العالمى لحقوق الانسان ــ عيد تأسيس الجامعة العربية ــ ذكرى هزيمة لويس التاسع فى معارك المنصورة ودمياط ــ ذكرى معارك رشيد ــ ذكرى دنشواى ــ أسابيع ذكرى قادة الفكر : مثل : شوقى وحافظ وخليل مطران وطاغور وطه حسين والعقاد .

وذلك بالاضافة الى الاسابيع الخاصة التى يتم فيها التركيز على ناحية واحدة من نواحى الاصلاح والتطور وحياتنا الثورية الجديدة كأسابيع الخدمات الاجتماعية والتعليم والصحة والمواصلات والمرور ورعايا الأحداث والبريد .

المؤثرات الدولية الكبرى :

مؤتمر باندونج ــ مؤتمر بريونى ــ مؤتمر الشباب الآسيوى الأفريقى ــ مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا .

المناسبات الدينية ويقدمها الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر وكبار رجال الدين :

شهر رمضان المبارك ــ ليلة الاسراء والمعراج ــ عيد الفطر المبارك ــ عيد الاضحى ــ عيد رأس السنة الهجرية ــ مولد الرسول عليه السلام .

هذا كما قدمت الاذاعة عدة سلاسل هى :

رواد القومية العربية وقادة الفكر فى الشرق العربى .

شهداء الحرية وابطال معارك القومية والتحرير .

المعارك الشعبية والنضال الشعبى ضد الاستعمار .

كما قدمت عدة سلاسل فى الفنون والآداب والمناسبات العامة اليومية والدينية والاجتماعية والاسابيع الخاصة . منها : سلسلة أحاديث : أدبنا المعاصر ، ماله

وما وعليه ، وأحاديث : نافذة على الثقافة العالمية ــ واحاديث : رجال غيروا وجه التاريخ ــ وسلسلة أحاديث امجاد اللغة العربية ــ وسلسلة احاديث اقتصادية .. وسلسلة أحاديث تراثنا العربى ودوره فى الحضارة العربية وتراثنا الاندلسى فى شبه الجزيرة الاسبانية ــ المكتشفون العرب ــ دور الادب فى التعبير عن الحرية وسلسلة احاديث : المجلات فى الاذاعة ــ من سير العظماء ــ ودور الادب العربى فى الآداب الغربية ــ ومن تاريخنا .... إلخ .

ولعل البرنامج الخاص فى الراديو من الموضوعات التى اختلف فى تحديد مفهومها الكثيرين من المشتغلين بفنون الراديو سواء كانوا كتابا أو مذيعيين .

ولعل البرنامج الخاص فى الراديو من الموضوعات التى اختلف فى تحديد مفهومها الكثيرون من المشتغلين بفنون الراديو سواء كانوا كتابا أو مذيعين .

ورغم الاهمية البالغة للبرامج الخاصة الناتجة عن الدور الرائع الذى يمكن أن تقوم به فى مجال التثقيف والمعرفة ، فالاذاعة المصرية للاسف ــ ليس بها حتى الان قسم خاص لانتاج هذه البرامج على أسس فنية سليمة ..[٣٤] .

وإزاء هذا الاحساس العام لجمهرة العاملين بالراديو نرى هيئة الاذاعة تنشىء فعلا مراقبة خاصة بهذا النوع من البرامج قدمت أولى برامجها منارات الحضارة مع بداية شهر ابريل سنة ١٩٦٥ واستمرت لتؤدى رسالتها فى محاولة لسد الفراغ ..

والآن يجدر بنا ان نحدد .. المقصود بالبرنامج الخاص Feature Program ولكن ينبغى أولا أن نعرف أين يقف البرنامج الخاص بين مختلف اشكال فنون الراديو ونحن اذا بحثنا فى هذا المجال لوصلنا الى أن البرنامج الخاص برنامج راديو خالص بنسبة ١٠٠ ٪ بل هو البرنامج الذى قد لا نجد له مثيلا فى أى وسيلة اخرى من وسائل الاعلام المختلفة .

ويمكن القول إن البرنامج الخاص يتميز بـ[٣٥] :

أولا : أنه برنامج تستخدم فيه جميع إمكانات الراديو .

ومعنى ذلك أن البرنامج الخاص يتسع فى اطاره ليشمل كل امكانات الراديو ... إننا نستخدم فيه الموسيقى .. التسجيل من داخل الاستديو ... لقاء ميكرفون فى صورة ديالوج بين اثنين ... لقاء ميكرفون مع أكثر من فرد .. التسجيل خارج الاستديو ــ الاغنية ــ المؤثرات الصوتية .

ثانيا : أنه برنامج يعتمد على الحقائق :

وهذه ابرز مميزات البرنامج الخاص ، فهو لا يعتمد على الخيال بل هو ملتصق بالحقيقة المجردة ، وهذا يجعل مهمة معد البرنامج الخاص غاية فى الصعوبة لاسيما فى الموضوعات التى تخلو بطبيعتها من المادة الكافية ، فكثيرا ما نرى المعد يلجأ الى خلق الشخصيات من خياله ، وهنا ينبغى أن نشير الى خطورة لجوء كاتب البرنامج الخاص على الخيال وينبغى عليه أن يحذر دائما أن يغلبه الخيال وتجبره قلة المادة العلمية على أن يجانب الحقيقة .

ثالثا : أنه برنامج يخاطب العقل لا العاطفة :

وتلك دون شك طبيعة الحقائق ، ونحن فى مخاطبتنا للعقل مطلقو اليد فى اختيار الوسيلة التى نخاطبه بها دون افتعال للإثارة التى يراد بها تحريك العواطف وليس حتما أن تستخدم الرواية لتوصيل الافكار ، ففى برنامج خاص عن « تعمير الصحارى » بدأه كاتبه بمسمع تمثيلى عن الحياة فى الصحارى المصرية موضحا كيف كانت عامرة بالسكان فهو يريد أن يقول إن هذا المكان كان عامرا فينبغى أن نعيد تعميره وهذا كما هو واضح ليس بالسبب الكافى المقنع للاتجاه الى الصحراء ولذلك رؤى أن يخاطب عقل المستمع أولا .. يحدثه عن أهمية اتجاهنا نحو الصحراء لاستزراع أكبر مساحة ممكنة منها ، وكان أن أمسك بالقلم ليضيف هذه البداية .

اللحن والتقديم ثم خلفية بالمؤثرات وراء المسمع التالى :

رجل : الارض .... الغيط .... التقاوى .... الكيماوى .... المزرعة .... المية

امرأة : العيش .... الفرن ... الجاموسة .... العيال ... عيال عايزة ... توضح عيال عايزة تأكل ... عيال عايزة كساوى .

. طفل : الكتاب .. المدرسة .. العامل : الورشة .. المصنع .. السكن .. شغل .. شغل .. شغل . وتبدو الحاجة الملحة لمخاطبة عقل المستمع عند معالجة أمور ذات حساسيات معينة إزاء جمهور المستمعين ، فمثلا موضوع الادخار ، أن تطالب الناس بأن يقتصدوا فى مصروفاتهم ، أن يغيروا من عادتهم الشرائية أن يتنازلوا عن بعض مظاهر الإسراف فى حياتهم لو أن يتبرعوا بالحلى الذهبية أو ببعض اموالهم .... هنا لا تصلح

مطلقا طريقة الوعظ والإرشاد حتى التبشير بالجنة ونعيم الآخرة ، بل قد تؤدى تلك الى عكس المقصود منها تماما ، بل قد يسرع المستمع الى اغلاق الراديو وعلى الاقل تحويل المؤشر الى محطة اخرى وهنا نشير الى تجربتين لبرنامجين عالج احدهما موضوع الادخار ، وعالج الآخر موضوع التبرعات ، وفى برنامج « وسام لهذا المواطن » تم تقديم

شخصية مدخرة ناجحة كنموذج لما يفعله الادخار .... وقبل ذلك تم استعراض جوانب الإسراف في حياتنا ، وكان لابد من التحايل على ذلك ومعالجته بحذر شديد وكان لابد من اتباع تخطيط خاص يلزم اتباعه(٣٦) . ويقدم البرنامج العام برامج خاصة تقدم في مناسباتها وهي :

اسم البرنامج	موعد اذاعته		يوم الاذاعة	موعد الاعادة		يوم الاعادة	عدد مرات الاذاعة اسبوعيا	الزمن المخصص للبرنامج
	ق	ت		ق	ت			
١ الجائزة التقديرية	—	١٢ م	الاحد	—	—	—	١	٣٠ ق
٢ من اسبوع لاسبوع	٤٥	٨ م	السبت	—	—	—	١	١٥ ق
٣ فنجان شاى	٣٠	٩ م	السبت	٤٥	١٠ ص	الاثنين	٢	٣٠ ق
٤ دنيا السياحة	٤٥	٦ م	الثلاثاء	٤٥	٥ م	الخميس	٢	٢٠ ق
٥ الميكروفون مع	٤٤	١١ م	الجمعة				١	٣٠ ق

والواقع ان كل برامج الاذاعة يمكن أن يكون لها من أثر في التكوين الثقافي للفرد والمجموع سواء كانت برامج الاطفال او الاسرة أو كانت اخبارا أو برامج متصلة بالاحداث الجارية سواء كانت تمثيليات أو برامج توجيهية تنشر مجرد التسلية ، بل إن مثل هذه البرامج خليقة بأن تترك اثرها الثقافي في التنشئة الاجتماعية بطريق غير مباشر .

الهوامش

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : الاحصاءات الثقافية الاذاعة والصحافة مرجع رقم ٦ ــ ٣١١ يناير ١٩٧٠ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١٥
(٣) سعد لبيب : اهمية البرنامج الثانى فى مصر ــ الفن الاذاعى ع٣ م ٦ يناير ١٩٥٧ .
(٤) اجناس فانيفتش : الاذاعة وتعليم الكبار ــ مرجع سابق ذكره ص ٨٧ .
(٥) الوقائع المصرية ع ١٠١ فى ٤ أغسطس سنة ١٩٤٩ .
(٦) الوقائع المصرية ع ١٠١ فى ٤ أغسطس ١٩٤٩ .
(٧) الجريدة الرسمية ع٩٥ مكررا فى ١/٢/١٩٥٥ .
(٨) وزارة الثقافة ــ السياسة الثقافية ــ (القاهرة مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٩) ــ ص ٨ ، ٩ ــ والمؤتمر العام للثقافة والاعلام مارس ١٩٧٨ ــ القاهرة .
(٩) نفس المرجع ، ص ٨ ، ٩
(١٠) نفس المرجع ، ص ٩
(١١) وزارة الثقافة : السياسة الثقافية ــ مرجع سبق ذكره ص ٠
(١٢) نفس المرجع ص ٩
(١٣) نفس المرجع ص ١٠
(١٤) المرجع السابق ص ١١ اذاعة
(١٥) القرار رقم ٧٠٠ فى شأن تنظيم هيئة اذاعة الجمهورية العربية المتحدة فى ١٥ نوفمبر ١٩٦٧ .
(١٦) اجناس فاينفتش : الاذاعة وتعليم الكبار ــ مرجع سبق ذكره ص ٨٨ .
(١٧) د . جيهان رشتى : الاسس العلمية لنظريات الإعلام ــ المرجع السابق ص ٢٠٤ .
(١٨) دونالد ماكوينى : فن الراديو مجلة الفن الاذاعى ع ٥٥ م ١٤ فى ابريل ١٩٧١ .
(١٩) مجلة الفن الاذاعى ع٥٥ م ١٤ فى ابريل ١٩٧١ .
(٢٠) فؤاد زكريا : الاذاعة المرئية والثقافة العربية المعاصرة « فى حلقة الاذاعة المرئية مرجع سبق ذكره ٦٩ .
(٢١) فاروق شوشة : لغتنا الجميلة ، (القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٧٣) ، ص ٦ .

(٢٢) نفس المرجع ص ٦ .
(٢٣) المرجع السابق ص ٦
(٢٤) د . عبد الحميد يونس وآخرون : فن الإذاعة ــ مرجع سبق ذكره ص ٢٣
(٢٥) فؤاد زكريا : الاذاعة المرئية والثقافة العربية المعاصرة » فى حلقة الاذاعة المرئية مرجع سبق ذكره ص ٦٩ .
(٢٥) الفن الاذاعى ــ ع ٣٨ م ١١ فى يناير ١٩٦٧ .
(٢٦) الفن الاذاعى ــ ع ٣٨ م ١١ فى يناير ١٩٦٧ .
(٢٧) نفس المرجع السابق ص ٣٥ .
(٢٨) نفس المرجع السابق ص ٣٥ .
(٢٩) نفس المرجع السابق ص ٣٥ .
(٣٠) نفس المرجع .
(٣١) نفس المرجع .
(٣٢) عباس محمود العقاد : كيف نكتب على الاثير ولماذا تختلف اصوات الناس ، مجلة الهلال ع ٢ م ٦٣ فى فبراير ١٩٥٥
(٣٣) دانبارا : المرجع السابق ص ٣٧ .
(٣٤) عبد المجيد شكرى : « مفهوم البرنامج الخاص » الفن الاذاعى ــ القاهرة ع ٤٢ م ١٢ يناير ١٩٦٨ .
(٣٥) عبد المجيد شكرى : «مفهوم البرنامج الخاص الفن » الإذاعى ـ القاهرة ع ٤٢ م ١٢ يناير ١٩٦٨ .
(٣٦) نفس المرجع ص ٧

الفصل الرابع

البرامج الثقافية فى صوت العرب

نحاول فى هذا الفصل التعرف على البرامج الثقافية فى صوت العرب فنبدأ بالتعرف على الاهداف العامة وعلى مضمون البرامج وشكلها ، فنتحدث عن اذاعة صوت العرب واهدافها وعن البرامج الثقافية العامة ، والاحاديث والندوات والقصة والشعر والكتاب والمجلات الثقافية والرسائل الجامعية وتبسيط العلوم والبرامج الخاصة .

اذاعة صوت العرب :

فى مايو سنة ١٩٥٣ رؤى توجيه برنامج الى الجماهير العربية فى جميع اجزاء الوطن العربى ... وقد سارعت الاذاعة الى تنفيذ هذه الرغبة ، فبدأت فى دراسة إمكاناتها الهندسية والفنية المختلفة ، وانتهت هذه الدراسة فى شهر يونية سنة ١٩٥٣ على النحو التالى : —

اولا : امكان تخصيص ساعة كل يوم للبرنامج المطلوب استقطاعا من وقت الارسال المخصص للبرنامج الثانى الذى كانت الاذاعة تقدمه فى ذلك الوقت لمدة ساعة ونصف من مغرب كل يوم .

ثانيا : ضرورة تقوية محطات الإرسال حتى يصل البرنامج المطلوب بوضوح الى المستمع العربى المنتشر فيما بين شواطىء الخليج العربى والمحيط الأطلنطى :

ثالثا : تكليف مراقبة البرامج الثقافية اعداد وتقديم هذا البرنامج واختير له اسم اذاعة صوت العرب من القاهرة .

وقد تحدد لصوت العرب ثلاثة أهداف هى نفسها أهداف ثورة ٢٣ يوليو كما تحدد آنئذ فى « فلسفة الثورة » .

أولها : التعبير الصادق عن آلام وآمال الجماهير العربية فى جميع اجزاء الوطن العربى .

ثانيها : الدعوة الى تحرير البلاد العربية من الاستعمار وعملائه وتحكم الراسمالية والإقطاع فى جماهير العرب .

ثالثها : العمل على جمع كلمة العرب وحشد قواهم ضد اعداء العروبة والسعى معهم لتحقيق الوحدة العربية المرجوة .

وقد تطورت هذه الاهداف مع التطور السياسى العربى فى مصر ، على نحو يجعل من هذه الاذاعة مرآة تعكس وجهات النظر وتبرز سياسات الجمهورية العربية المتحدة (بعد قيام الوحدة فى سنة ١٩٥٨) وسياسة جمهورية مصر العربية وتجربتها النضالية فى سبيل غايات امتها العربية وتحقيق امانيها وتهدف الى : —

(أ) تبنى وجهة نظر الثورة فكريا ونضاليا واتجاهات جمهورية مصر العربية إزاء القضايا المختلفة

(ب) تأكيد الارتباط المصيرى للوطن العربى بجمهورية مصر العربية .

(ج) التصدى للافكار المعادية سياسيا وعقائديا والكشف عن زيفها وتناقضها مع أهداف ومبادىء الامة العربية بشكل علمى وموضوعى .

(د) تقديم جمهورية مصر العربية للامة العربية باعتبارها نموذجا للدولة التقدمية لا بالنسبة للامة العربية فقط وانما بالنسبة ايضا لدول العالم الثالث .

(هـ) دعم المبادىء القومية وابراز مضمونها وتأكيد وحدة القوى العربية .

(و) تأكيد دور القاهرة كمركز شعاع فكرى وثقافى وسياسى ، واستقطاب اهتمام التنظيمات الشعبية العربية من خلال عرض نشاطها ، وتقديم نماذج نشاطات التنظيمات المماثلة فى مصر ، وكذلك إبراز النشاط الداخلى فى الاقطار العربية فى مجالات الفن والثقافة والفكر جذبا لاهتمام المستمعين العرب وتأكيدا لدور الجماهير العربية ، والحرص على أن يكون صوت العرب هو مصدر الاخبار الموثوق بها والحقائق الكاملة غير المجزأة .

وبعد مايو ١٩٧١ ، أى بعد ثورة التصحيح واصلت اذاعة صوت العرب دورها القومى على نحو يمكن من إحداث التقارب العربى ، وعنيت بتوجيه برامجها على نحو يكفل

بناء الإنسان العربي الجديد « منفتحا على العالم اجمع بكل ثقافاته وبكل ما يصنع من تقدم حضارى وتكنولوجى ... قادرا على الإسهام بقوة فى هذه الحضارة ... إنسانا يعرف كل شيء عن كل شبر من أرضه العربية ، يعرف أن العمل الجاد وحده هو الذى يدفعه الى الامام ، والى أهدافه وليس الصراخ والتشنج والوقوف (محلك سر)[١] .

وكما تجلت روح أكتوبر ١٩٧٣ فى ساحات المعارك العسكرية فانها تجلت ايضا فى شتى مجالات العمل الوطنى . وبنفس روح المقاتلين كان العمل يمضى فى « صوت العرب » خلال المعارك وبعدها ، الامر الذى ظهرت نتائجه على كافة البرامج والمواد المذاعة ، لكى تؤدى اهدافها فى تقديم الاخبار الصادقة والتعليق السريع المركز على أهم الاحداث وفتح منافذ للحوار حول أحداث الساعة بين صوت العرب والمستمعين وبينه وبين كبار الكتاب والمفكرين السياسيين وتقديم التحليلات السياسية التى تواكب تطورات الاحداث وذلك من خلال الفترات الإخبارية الكاملة التى يقدمها صوت العرب ثلاث مرات يوميا فى الساعة الواحدة والنصف ظهرا والساعة الثانية مساء والساعة العاشرة والنصف مساء ومدة كل فترة ثلاثون دقيقة بالإضافة الى ملخصات وعروض الانباء ونشرة الأخبار الصباحية والبرامج الموجهة الى جزيرة العرب والى الشعوب الصامدة فى داخل سيناء[٢]

ولقد بدأت اذاعة صوت العرب ارسالها فى الساعة السادسة من مساء يوم السبت الرابع من يوليو سنة ١٩٥٣ وقد استمر الارسال لمدة نصف الساعة ضمت[٨] :

١ ــ كلمة الاذاعة .

٢ ــ كلة السيد رئيس الجمهورية

٣ ــ كلمة السيد الامين العام لجامعة الدول العربية .

٣ ــ برنامج عن الفن فى خدمة العروبة وتتابعت حلقات الاذاعة كل يوم بعد برنامج الافتتاح على النحو التالى : ــ

(أ) نشرة الاخبار .

(ب) تعليق عام وأقوال الصحف .

(ج) غناء من مختلف البلاد العربية .

(د) حديث أو محادثة أو برنامج خاص يتناول امجاد العرب وأسباب وحدتهم .

وكان رد الفعل الذى أحدثه بدء إرسال صوت العرب من القاهرة ومن قبل حكومة الثورة مختلفا فى الوطن العربى ، فالشعوب وجدت فيه مرآة تنعكس عليها آلامها ، وجهازا يدعوها لتحقيق آمالها ، بعكس بعض الإذاعات التى تستهدف خداع العرب وصرفهم بعيدا عن أمانيهم فى التحرر والتقدم والوحدة .

التحرر

والمستعمرون بعملائهم وحكام بعض البلاد العربية والعصابات الصهيونية التى تغتصب فلسطين ، وجدوا فيه خطرا عليهم وعلى وجودهم بحكم ما يدعو إليه وبحكم ثقة الشعب التى انهالت عليه .

وبعد مضى أكثر من شهر ونصف على بدء ارسال صوت العرب ، خلع الاستعمار الفرنسى سلطان المغرب السلطان محمد الخامس ولما كان إقدام فرنسا على ذلك يرجع إلى رفض السلطان توقيع عدة قوانين يريد بها الاستعمار تشديد قبضته على المغرب والقضاء على بشائر حركة تحريرية تريد الخلاص منه ، فقد انتفضت فى القاهرة حكومة الثورة استنكارا للاستعمار وتأييدا للسلطان .

وقد شن صوت العرب حملة يومية عنيفة على الاستعمار الفرنسى وجريمته ... وأيد خلالها الشعب العربى الذى هب يدافع عن سلطانه وكرامته ويطالب باستقلاله وحريته . وقد كان دور صوت العرب فى معركة عودة السلطان محمد الخامس ورفع الحماية الفرنسية عن المغرب دورا رئيسيا أشاد به ملك المغرب الراحل والملك الحالى فى تسجيلات كثيرة منها :

« تسجيل للملك محمد الخامس لبعثة صوت العرب التى زارت المغرب عقب عودته من المنفى سنة ١٩٥٥ ».

« تسجيل للملك الحسن الثانى أثناء زيارته لمصر سنة ١٩٥٦ عندما كان ولياً للعهد .
للعهد .

قال الملك الراحل محمد الخامس : « ولقد كانت اذاعة صوت العرب من القاهرة البشير لى فى المنفى بأننا سننتصر كما كانت اذاعة صوت العرب التى وقفت الى جانب شعبنا تهيب به أن يثور حتى ثار ونال حريته واستقلاله » .

وقال الملك الحسن الثانى : « ولا يمكن العربى أن ينسى الدور الكبير الذى تلعبه اذاعة صوت العرب فى خدمة القضايا العربية . ونحن فى المغرب نكن لصوت العرب عرفانا عميقا لوقفته مع المغرب فى محنة نفى الملك » .

وقد حاولت حكومة فرنسا الضغط بمختلف الوسائل على حكومة الثورة لتحول دون تأييد صوت العرب للشعب العربى فى المغرب وللحركات الثورية فى تونس ثم فى الجزائر ولكن حكومة الثورة أبت أن تتنكر لمبادئها العربية وتحول دون اذاعتها العربية وتحقيق أهدافها التى أنشئت من أجلها .

وفى خلال الاعوام ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ خاض صوت العرب تجارب اذاعية عديدة للوصول الى مرحلة الإتقان فى الشكل والمضمون فمن حيث اللغةالاذاعية التزم صوت العرب بالمفهوم العلمى لهذه اللغة سواء فى الاسلوب المباشر أو الدراما . وأصر على تنقية اللغة من شوائب التكرار والمغالاة والسطحية والارتجال . واتجه الى تجديد اسلوب المناقشات واللقاءات الاذاعية وتطويع العمل الاذاعى لخدمة أهداف مرسومة وذلك بايجاد صلات مستمرة بالمذيعين العرب من خلال استنباط برامج متعددة تعتمد على رسائل المستمعين مع انتظام الرسائل الخاصة بين إذعة صوت العرب ومستمعيها .

ولقد اتاح نشاط المندوبين والمراسلين الفرصة التى طالما ترقبها صوت العرب لتأكيد شخصيته كاذاعة للوطن العربى ، وأدى ذلك الى تطوير برامج كثيرة .

تطور إرسال صوت العرب :

كان للنجاح الكبير الذى احرزه صوت العرب فى شهوره الاولى دافع ثورى لتدعيم وزيادة ارساله ، ففى أكتوبر سنة ١٩٥٣ ، ولم تكن قد مضت غير شهور ثلاثة على بدء صوت العرب حتى اصبح الارسال ساعة كل يوم .

وفى يناير سنة ١٩٥٤ ألغى البرنامج الثانى وحل مكانه صوت العرب وبارسال يومى مدته ساعتان .

وعندما تولى الصاغ صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة وزارة الإرشاد القومى والإشراف على الإذاعة عنى بأن يحقق صوت العرب اهداف الثورة فارتفع عدد ساعات صوت العرب فى يوليو سنة ١٩٥٤ الى سبع ساعات كل يوم منها ساعة كل ظهر . وازداد نجاح صوت العرب فى حمل رسالة الثورة الى الامة العربية فازداد اهتمام حكومة الثورة بتدعيم صوت العرب بالاجهزة القوية .

وعندما تولى الدكتور محمد عبد القادر حاتم الإشراف على هيئة الإذاعة تتابع اهتمام حكومة الثورة باذاعتها العربية حتى اصبحت مدة ارسال صوت العرب ٢٢ ساعة وربع من كل اربع وعشرين ساعة يبثها صوت العرب على اقوى اجهزة ارسال تصل فيما بين المحيط الاطلنطى والخليج العربى . وتخدم جميع قضايا العرب التحررية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

البرامج الثقافية فى صوت العرب :

واذا كان الهدف الثقافى لاذاعة صوت العرب قد اتضح مما تقدم ، فان تخطيط البرامج واختيار مادتها الثقافية يقوم على اساس من هذا الهدف الذى يتلخص فى التوجه الى الجماهير العربية ، ولعل هذا الهدف العربى الذى يركز على المستوى البيئى العربى ، أن يكون مميزا للعنصر التثقيفى فى برامج صوت العرب عن غيرها من البرامج الاذاعية الاخرى .

وقد تطورت البرامج الثقافية فى صوت العرب منذ انشائه فى سنة ١٩٥٣ ، حيث نصف الساعة من الإرسال فى ٤ يوليو ١٩٥٣ ، برنامج عن الفن فى خدمة العروبة وتتابعت حلقات الاذاعة كل يوم متضمنة كذلك حديثا أو برنامجا خاصا يتناول امجاد العرب واسباب وحدتهم .

كما حرصت اذاعة صوت العرب فى فى مراحل تطورها المختلفة على ربط المستمع بالكتاب فبدأت فى شهر مارس ١٩٦٢ تقدم برنامجا يوميا بعنوان « كتاب اليوم » الذى أصبح الآن « قرأت لك » يقدم كل يوم عرضا لاحد الكتب من إعداد احد كبار النقاد العرب . وتتناول هذه الكتب كل ما يتصل بالوطن العربى وتراثه ومشاكله وثرواته والتطور الدولى والعلمى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى . ويقدم هذا البرنامج ٥٠ر١٠ صباح كل يوم ويعاد ١٥ر٥ مساء .

كما قدمت اذاعة صوت العرب حلقات مسلسلة توظف الدراما لاغراض التثقيف فقدمت حلقات استغرق كل منها شهرا كاملاً عن الفارس والشاعر العربى عنتر بن شداد ، وعن الملك الشاعر امرىء القيس والامير الفارسى فارس بنى حمدان والبطل المغربى الاسلامى طارق بن زياد كذلك قدمت مسلسلات عن كتب :

شهرزاد والمعذبين فى الارض والوعد الحق للدكتور طه حسين . ومسسلات عن قصص فى بيتنا رجل ــ شىء فى صدرى لإحسان عبد القدوس . ومسلسلات عن ثلاثية بين القصرين وقصر الشوق ــ والسكرية لنجيب محفوظ . وقدمت ايضا رواية واسلاماه لعلى احمد باكثير فى حلقات مسلسلة استغرقت ثلاثين حلقة .

وقدم صوت العرب ٢٤٠ حلقة يومية لبطل عربى رمزى اسماه « السندباد العربى » ليعرض من خلال مغامراته المثيرة ، رحلاته فى ارجاء العالم العربى من خلال اسكوب اذاعى وفى دورة ابريل يونيو ١٩٧٨ اعد صوت العرب هذا البرنامج تحت عنوان « عودة

ابن بطوطة » لمدة نصف الساعة كل اسبوع ، وهو برنامج درامى يقوم على تخيل ان ابن بطوطة عاد الى الحياة ويقوم بجولات معاصرة فى البلاد العربية ومن خلال مغامراته وجولاته نتعرف على مظاهر الحياة المعاصرة فى البلاد العربية ووفقا للتصنيف الذى تأخذ به الاذاعة ، والذى سبق الحديث عنه بالنسبة للبرنامج العام نحاول التعرف على البرامج الثقافية فى خريطة صوت العرب من يناير ١٩٧٨ .

السنة / البرامج	عام ١٩٦٩ / ١٩٧٠			عام ١٩٧٠ / ١٩٧٠			الفارق النسبى
	ق	ت	النسبة	ق	ت	النسبة	
برامج اعلامية	٥١	٢٣٣٤	٢٤,٥٦ ٪	٤٩	١٩٦٠	٢١,٧١	٢,٨٥ ٪
اعلانات تجارية	—	—	—	—	—	—	—
برامج تعليمية	٤٥	١١	,١٢ ٪	٣٤	٨	,١٠ ٪	٠,٠٢ ٪
برامج ترفيهية	٨	٥٠٣٩	٥٣,٠٢ ٪	٢	٤٩٩٣	٥٥,٢٨ ٪	+ ٢,٢٦ ٪
برامج ثقافية	٢٩	٧٠٩	٧,٤٧ ٪	٤٩	٦٩٥	٧,٧٠ ٪	+ ٠,٢٣ ٪
برامج درامية	٩	٤٤٩	٤,٧٣ ٪	٣٦	٣٨٧	٤,٣٩ ٪	٠,٤٤ ٪
برامج دينية	١٦	٥٩٩	٦,٣١ ٪	٢٥	٦٥١	٧,٢١ ٪	+ ,٩٠ ٪
برامج الطرائف	٤٣	٣٦٠	٣,٧٩ ٪	٤٧	٣٣٤	٣,٧١ ٪	− ,٠٨ ٪
الاجمالى	٢١	٩٥٠٤	١٠٠ ٪	٢	٩٠٣٢	١٠٠ ٪	٣,٣٩ ٪

ومن الجدول نتبين بعض النقص فى اجمالى ساعات ارسال عام ٧٠ / ١٩٧١ عن الاجمالى المناظر فى العام السابق له ، ونلاحظ من مقارنة التوزيع النسبى للبرامج فى العامين ان هناك برامج زادت نسبة ساعات إرسالها هى :

البرامج الترفيهية + ٢٦ر٢ ٪

البرامج الدينية + ٩٠ر٠ ٪

البرامج الثقافية + ٢٣ر٠ ٪

وعلى النقيض من ذلك فان برامج اخرى نقصت نسب ساعات إرسالها وهى :

— البرامج الإعلامية ٨٥ر٢ ٪

— البرامج الدرامية — ٤٤ر. ٪

— برامج الطرائف — ٠٨ر٠ ٪

— البرامج التعليمية — ٠٢ر٠ ٪

وبحساب معامل التخالف بين التوزيعين النسبيين فى العامين ، وجد انه يبلغ ٣٫٣٩ ٪ وهو معامل صغير لا ينبىء عن تغير ما فى سياسة الخدمة نحو توزيع ساعات إرسالها على مختلف الخدمات .

ولما كان الهدف السياسى هو مسئولية اذاعة صوت العرب لذلك فقد جعل العديد من البرامج السياسية الهادفة فى مقدمة البرامج . ونظرا للتوسع فى مجالات العمل السياسى الذى تتطلبه المرحلة الحاضرة ، فقد أدخلت عدة تعديلات على مراقبة الشئون السياسية بحيث اصبحت تواكب الاحداث أولا بأول ، وتضم المراقبة إدارة للتوجيه والتحليل السياسى تقوم بتحليل الاخبار والموضوعات المعادية مع الإشارة الى الموضوعات والاخبار غير المعادية ، وذلك للمشاركة فى اعداد خطة صوت العرب للرد عليها وايضاح ماترمى اليه من تأثيرات مسموعة فى المستمع العربى وتوزيع الخطة السياسية اليومية على جميع مراقبات صوت العرب ليتسنى معالجة الموضوعات حسب هذه الخطة .

البرامج الثقافية فى صوت العرب

البرامج الثقافية العامة	الاحاديث والندوات	القصة	البرامج الخاصة	المسرح والسينما	الكتاب والمجلات	العلوم
بطاقة ثقافية	من القلب للقلب	عالم القصة	عالم السياحة	عالم المسرح	ش الصحافة	اقتصاد
عالم الفكر	حديث الذكريات		شخصيات تحت	سينمائيات	قرأت لك	عالم الغد
قصاقيص	اللقاء المفتوح	سهرة الاحد		الأضواء		عالم المجلات
	المسابقات	الشعر	رسائل جامعية	الموسيقى		
	—	عالم الشعر	رسائل جامعية	مع الموسيقى العالمية		

(أ) البرامج الثقافية العامة :

ومن هذا الجدول يتضح أن صوت العرب يقدم ثلاثة برامج ثقافية ثابتة وهذه البرامج هى :

١ ــ عالم الفكر :

برنامج اسبوعى مدته ١٥ دقيقة يقدم ٨٫٤٥ مساء الاحد من كل اسبوع وتعاد اذاعته ١١٫٣٠ صباح الثلاثاء : تقديم مدحت زكى .

وهذا البرنامج تطوير لبرنامج « الفكر العربى » الذى كان صوت العرب يقدمه من قبل ويتناول « عالم الفكر » بالعرض والتحليل والنقد والتوجيه نشاط المفكرين والأدباء والشعراء العرب .

بل إن هذا البرنامج يؤكد مفهوم البرامج الثقافية من حيث عنايتها بالعلوم الى جانب العناية الانسانية ، ففى حلقة ٢٩ / ١ / ١٩٧٨ استضاف البرنامج د . مصطفى طلبه نائب السكرتير العام للامم المتحدة ود . محمد عبد الهادى مدير مركز الاستشعار من البعد فى ندوة حول التكنولوجيا والتنمية .

ويتناول « عالم الفكر » من خلال الاستعراض الإذاعى أوجه النشاط الفكرى بوجه عام فى الوطن العربى ، ويستهدف ربط العرب ثقافيا ويتبع حركة الفكر والثقافة المعاصرة ويقدم آخر أنبائها ومختلف وجهات النظر فيها .

وبرنامج « عالم الفكر » بخاصة والبرامج الثقافية فى صوت العرب بعامة تعتبر مدخلا رئيسيا الى الثقافة العامة ، تستهدف تشبع المستمع العربى بالروح الثقافية او تحول اليها لتكون عاملا مساعدا له على البحث والتنقيب عن الثقافة والخوض فى اعمالها دارسا وباحثا عن الحقيقة .

ويقدم هذا البرنامج قضايا الثقافة والفكر من مواقعها واقتراح الحلول الملائمة للمشكلات الفكرية والمختلفة ومما قدمه (قضية النشر — قضية الأمية — البحث العلمى — الامن الغذائى) .

٢ — **بطاقة ثقافية** :

برنامج يومى مدته ٥ دقائق يذاع ١٢٫٤٥ ظهرا وتعادا إذاعته ٥٫٤٥ مساء ، وقد توقف فى دورة ابريل ١٩٧٨ . ويقدم هذا البرنامج على اساس تقديم معلومة ثقافية مبسطة ومركزة عن حدث ثقافى أو شخصية فكرية أو كتاب من الكتب التى أثرت فى التراث الإنسانى أو مصطلح ثقافى أو فكرى أو علمى أو مثل معين

وقد استبدل به فى الدورة الجديدة برنامج « وجدتها » لمدة ٥ دقائق يوميا ، وهو برنامج ثقافى يتوقف فى كل حلقة أمام اكتشاف علمى تنعم البشرية بآثاره ويقدم قصة هذا الاكتشاف

على أن إلغاء برنامج « بطاقة ثقافية » ينبغى أن يعاد النظر فيه ، لان هذا البرنامج من خلال الجرعات الثقافية التى كان يقدمها ، كان يسهم فى تكوين المواطن العربى



وتهيئته للوعى بتراثه ومعايشة عصره ، كما أن المعلومات الثقافية القومية والانسانية التى كان يقدمها كانت تستند الى أصولنا وتراثنا وتستوعب تيارات .. العصر .

ذلك أن هذا البرنامج وغيره من البرامج الثقافية ينبغى أن تتغيا إعداد المواطن العربى إعدادا ثقافيا متكاملا لا يقتصر على التخصص المهنى الدقيق وتحقيق التوافق بين التكوين العقلى والروحى والجسمانى .

وانطلاقا من هذا الهدف الثقافى لابد من مراعاة المعايير التالية : ــ

(أ) ارتباط التخطيط للبرامج الثقافية فى صوت العرب بأهداف واضحة وواقعية حتى يتسنى وضع برامج قابلة للتنفيذ .

(ب) التعرف على احتياجات المستمع العربى الحقيقى مثل وضع الخطة الإذاعية والغاء بعض البرامج ، واشراك المستمعين من خلال البحوث العلمية فى التعبير عن مطالبهم .

(ج) ارتفاع نسبة الامية فى الوطن العربى وما يتطلب ذلك ــ فضلا عن العمل على محوها بكل الوسائل ــ من ضرورة الاعتماد على الصورة والكلمة المسموعة كأدوات فعالة للتوصيل الثقافى ومراعاة لحق الأميين فى الثقافة .

(د) إعداد الدراسات والبحوث الثقافية اللازمة لقياس اثر العمل الثقافى واحتياجات المستمع العربى قبل وضع خطة البرامج ، واستخدام الإحصاء الثقافى كوسيلة من الوسائل المعينة على إعداد هذه الدراسات وعلى قياس المطالب والاحتياجات مع الاستعانة بالإحصاءات الموجودة لدى الأجهزة الاخرى .

وقد تميز هذا البرنامج باستغلال صوتيين إذاعيين (مدحت زكى ، والهام الحكيم) فى تقديم الفكرة الثقافية يتخلل الحديث موسيقى ومشاهد تمثيلية ، بحيث يمكن القول إن هذا البرنامج يقدم فكرة مسموعة يومياً لا تستنفد اغراضها . وقد حرص هذا البرنامج على عدم الالتزام بالترتيب الهجائى ، حتى لا يلزم المستمع بنسق معين فى الاستماع لمعلومة ثقافية جديدة .

وقد قدم برنامج « بطاقة ثقافية » ٩٠ حلقة فى شتى فروع المعرفة خلال دورة يناير ١٩٧٨ مثل اللغة ــ الادب ــ التاريخ ــ نظرية ــ المحاكاة ــ النزار ــ الحكايا الشعبية ــ المجموعة الشمسية ــ الاستشعار من البعد ــ بديع الزمان الهمذانى ــ ديك الجن ــ أبو العلاء المعرى ــ تأبط شرا ــ الموسيقى ــ السينما ــ المسرح ــ الصحافة ــ الاذاعة ــ ابن حزم ــ احمد شوقى ــ حافظ ابراهيم ــ احمد لطفى السيد ــ طه حسين ــ البحار ــ الانهار ــ الشعراء الصعاليك ــ الزكاة ــ المعتزلة ــ

الالعاب الاوليمبية ـ الرياضة ـ السلام ـ الحرب ـ القاهرة ـ الاسكندرية ـ بابل ـ اخناتون .

٣ ـ قصاقيص :

مجلة إذاعية اسبوعية تقدم فى منتصف ليلة الجمعة من كل اسبوع ، لمدة ساعة وتتناول الحياة الثقافية من خلال القصة والخبر والمقال ، وتتوسل بعدة اساليب إذاعية فى التقديم مثل الحوار والتمثيلية والاغنية ، وتتخذ مجلة « قصاقيص » شكلا صحفيا يفيد من فنون التحرير الصحفى ، وخاصة فن التحقيق ، فى تقديم المادة الثقافية كما أنها تفيد من المنوعات الاذاعية فى وصل المستمع بالمادة الثقافية ، من خلال تقديم فقرات من الطرائف والغرائب واستضافة بعض الشخصيات لمعرفة مايشغلهم من مشروعات المستقبل ، ولتعريف المستمع بالحقائق عن طريق الارقام السريعة ، وتعتبر هذه المجلة امتدادا لبرنامج « الكشكول » الذى كان يقدم سنة ١٩٧٠ ولبرنامج من « هنا وهناك » الذى كان يقدم فى هذا العام أيضاً والذى كان يتجول بين الصحف العربية ويجسد أهم الموضوعات بطريقة أشبه بالدراما ويطعم بأغنيات وهو ما تفعله مجلة قصاقيص الآن .

ومن ذلك يتضح أن برنامج « قصاقيص » من البرامج التى تقدم مضمونا ثقافيا ، يعرض من خلال شكل ملائم للصفات المميزة للاذاعة المسموعة ، أى أنه يعرض المضمون الثقافى فى اطار فنى يحقق مايتوقعه مستمع صوت العرب ولكن المضمون ذاته لايخلو من نقائض بدوره ، فكثيرا ما يكون سطحيا أو مفرطا فى أداء التعلم أو ضعيف الصلة بالموضوع .

فهذا البرنامج الموجه من صوت العرب لايعنى باستخدام اللغة العربية السليمة ، فى كثير من فقراته ، ينبغى أن يهتم بمصادر الثقافة العربية والعمل على تقديمها بطريقة تراعى أصول العمل الاذاعى دون إضرار أو تشويه لها .

ب) الاحاديث والندوات :

سبق أن تحدثنا عن برامج الاحاديث والندوات فى البرنامج العام ، ولكننا نلاحظ هنا ان ساعات الارسال المخصصة للاحاديث والندوات فى البرنامج العام تزيد عنها فى صوت العرب ، ففى البرنامج العام يخصص للاحاديث والندوات ٩س ٧٦ق فى حين يخصص لها فى صوت العرب ٢٠س ٢٨ق ، ولعل ذلك يرجع الى اهتمام البرنامج العام منذ نشأته بوضع سياسة مدروسة ثابتة للاحاديث والندوات فى حين اتجه صوت العرب اتجاها سياسيا قوميا ، جعل الاحاديث سياسية بوجه عام . ولعل فى ذلك ما يفسر السبب الذى جعل اذاعة صوت العرب تدرج الاحاديث والندوات تحت عنوان البرامج العقائدية ، التى

تعنى المواد الاذاعية التى تخرج عن نطاق الترفيه المحدد والمواد الخفيفة ذات الطابع الثقافى العام ، وتغدو الاحاديث العقائدية فى صوت العرب مرتبطة بالفكر السياسى ، والمعارك الايديولوجية التى يموج بها الوطن العربى . وتهدف البرامج العقائدية لصوت العرب الى غايات هى : —

١ — أن تشرح وتفسر وتوضح موقف مصر من التيارات وأوجه الصراع التى يموج بها الوطن العربى .

٢ — أن تبشر بالحلول التى تبنتها مصر للمشاكل السياسية والاجتماعية العربية وأن تبرز نجاح القاهرة فى تطبيق هذه الحلول .

٣ — أن توجد صلات روحية بينه وبين المستمعين العرب بمختلف قطاعاتهم ترسيخا لاساس الوحدة الفكرية العربية .

٤ — أن تؤكد على كل مقومات الوحدة العربية من لغة وأرض وتاريخ ودين ومصير واحد ببرامجها المختلفة .

٥ — أن تسهم فى إحياء الفكر العربى والتراث العربى كسياج يدعم تلك المقومات .

٦ — أن تفتح نافذة فكرية على مختلف التيارات الفكرية والثقافية والعقائدية تحليلا وتفسيرا ونقدا بما يتفق مع المفاهيم العربية فى كل هذه المجالات .

ومن برامج الاحاديث والندوات ذات الطابع الثقافى التى تقدمها اذاعة صوت العرب هذه البرامج :

١ — من القلب للقلب :

حديث اسبوعى يقدمه سعد زغلول نصار يوم السبت من كل اسبوع ٣٥ر٦ مساء ، و« من القلب للقلب » بشكله الاذاعى الذى يقدمه صوت العرب اشبه بفن اليوميات الصحفية ، حيث يتميز بالإيناس واقامة علاقات إنسانية مع المستمع من خلال الحديث .

ولكن مضمون هذا البرنامج ينبغى أن يركز على الخطط أو المشروعات الرئيسية فى المجالات الاجتماعية والثقافية على المستوى العربى كله ، وان يعنى باختيار مجموعة من القيم الاجتماعية الجديدة التى ينبغى غرسها أو تأكيدها لدى المستمع لإذاعة صوت العرب لضرورتها فى التطور الثقافى ذلك أن عملية التطور الثقافى تقتضى بالضرورة غرس قيم ثقافية جديدة أو تأكيدها اذا كانت موجودة من قبل على نحو ما — وذلك فى مواجهة مجموعة اخرى من الاتجاهات التى قد تصبح متخلفة بالنسبة لظروف التطور ويترتب على بقائها تعويق عجلة التطور والوقوف بينها وبين الانطلاق المطلوب .

الاحاديث

ويثير هذا البرنامج دور « الاحاديث » الاذاعية فى تثقيف الكبار فى مجتمع عربى تنتشر فيه الأمية وتنعدم فرص التعليم امام الكبار ، ذلك أن هذه الاحاديث ينبغى أن تفتح عهدا لاتكون فيه الامية ذاتها مشكلة ، وهناك من يذهب إلى أن عهد الثقافة المقروءة ، ثقافة الاوراق والصحف والكتب سينتهى عما قريب ، وسيحل محله عهد الثقافة المسموعة والمصورة . وفى هذه الحالة لن يكون لمشكلة الامية معنى ، لأن وسائل جديدة لتثقيف الانسان ستحل محل الرموز المكتوبة وقد يكون هذا رأيا مبالغا فيه ، ولكنه لاينبغى أن يقابل بالاستخفاف فى مجتمع يعانى من استفحال الامية ولايبدو حتى الآن قادراً على التخفيف من وطأتها ، فاذا لم يكن هذا هو الحل الوحيد والنهائى لمشكلة الامية ، فهذا على الاقل حل جزئى ينبغى أن نبدأ به فى بلادنا العربية بالذات اعظم الاهتمام[٣] .

على أن إمكانات الاحاديث الاذاعية فى مجال ثقافة الكبار ، لا تقتصر على اتاحة الفرصة امام الاميين للحاق بركب الثقافة ، بل إن كل فرد ، مهما كان نصيبه من التعليم أن يجد فى الاذاعة زادا ثقافيا لا غناء عنه ، فالمثل الاعلى للتعليم فى نظر المفكرين المعاصرين ، هو التعليم مدى الحياة أى الذى لايقتصر على التلقين ، الرسمى فى المدارس ، بل يشتمل على ثقافة تظل تتجدد مع الانسان طوال مراحل عمره[٤] . وهنا تستطيع الاحاديث الاذاعية أن تسهم بدور كبير فى تكوين عقلية الانسان العربى الجديد

٢ ـــ حديث الذكريات :

حديث اسبوعى مدته ساعة بعد منتصف الليل يذاع يوم السبت ، ويستضيف شخصية عامة فكرية أو سياسية أو أدبية ويستعرض معها تاريخها وصفحات من تاريخ بلد الضيف ويتخلل البرنامج اعمال درامية .

وهذا النوع من الاحاديث الاذاعية من افضل الاساليب الفنية لتقديم المادة الثقافية ، ذلك أن مستمع الراديو ـــ كما يقول « فريد الن » لم يكن يرى شيئا ، كان فى وسع كل فرد أن يستمتع بنفس البرنامج طبقا لمستواه الثقافى ، وقدرته الذهنية ومع ارتفاع تكاليف المعيشة وكثرة المشكلات التى تواجهه فى العالم الحديث ، كان كل ما بقى للإنسان الفقير هو خياله وجاء التليفزيون ليأخذ منه هذه المتعة الوحيدة الباقية له .

وطبيعة البرنامج تتيح له أن يقدم فروع الثقافة من خلال احاديث شخصيات متعددة الاهتمامات ، ومن ذلك مثلا ما قدمه البرنامج مساء السبت ٧ / ١ / ١٩٧٨ حيث استضاف يحيى شاهين الذى تحدث عن مشوار حياته وكفاحه فى ايام شبابه الى أن وصل الى الصف الاول فى التمثيل وكيف عمل فى اعمال كثيرة وهو صبى وصمم على أن يشتغل فى

مجال التمثيل ، ومن خلال هذا الحديث تعرف المستمع على مسرح فاطمة رشدى وجوانب من حياة أم كلثوم والحياة الفنية فى مصر بوجه عام كما استضاف البرنامج فى حلقته المذاعة مساء ٢٨/١/١٩٧٨ الموسيقار محمد عبد الوهاب فى حديث عن ذكرياته الفنية .

وهنا يمكن القول إن الحديث الاذاعى الذى يفيد من إمكانات الاذاعة مثل هذا البرنامج ، يمكن أن يعاون المستمع العربى على ملاحقة العصر ومتابعة تطوراته وتجديد نفسه مع تجدد الحياة من حوله من خلال احاديث الذكريات مع قادة الفكر .

ولكى يحقق هذا البرنامج وغيره من البرامج الثقافية الهدف الرئيسى للثقافة العربية المعاصرة ، ينبغى أن توضع خطة ترتفع تدريجيا بمستوى اللهجات العامية التى تقدم فيها بحيث تصبح ألفاظ الفصحى وتعبيراتها أكثر تداولا على الالسن بين مختلف فئات الجماهير العربية ، التى تنظر الى قادة الفكر الذين يستضيفهم حديث الذكريات على أنهم قدوة وكذلك ينبغى العمل على ترسيخ القيم العقلية وأساليب التفكير العلمى السليم ، ومحاربة الجهالات والخرافات والعاطفية المفرطة التى جعلت الانسان العربى عاجزا عن ملاحقة تطورات العصر وتجديداته :

٣ ــ اللقاء المفتوح :

برنامج اسبوعى يذاع الساعة ٢ ظهر الاثنين لمدة ساعة ، وهو برنامج يتخذ شكل الندوة الاذاعية حيث يقسم البرنامج الى فقرات ، يقوم كل مذيع بتقديم فقرة كاملة ، يعتمد فيها على اللقاءات الشخصية مع الادباء والفنانين والعلماء والجمهور ، ويتميز هذا البرنامج بالطابع الاسرى الذى يرسمه مقدموه الذين يمكن تسميتهم بـ « مجموعة العمل » .

ويتميز « اللقاء المفتوح » فى برامج الاحاديث والندوات بأنه يفيد من خصائص المنوعات من حيث تقديم فقرات منوعة فى المادة والموضوع والشكل تكاد تقترب من البرنامج الخاص الذى يعتمد اساسا على وحدة الموضوع من تنوع الوسائل الفنية لمعالجته .

ولذلك ينبغى استغلال حاجة المستمع العربى الى الترفيه وايثاره لهذا اللون الاذاعى على غيره فى تقديم مضامين ثقافية غير مباشرة من خلال الفقرات الترفيهية ، وذلك من خلال خطة يضعها البرنامج لتحقيق اهدافه الثقافية تتضمن :

١ ــ تدعيم وتطوير الدور الحضارى العالمى للأمة العربية لخير البشرية .

٢ ــ مناقشة القضايا الثقافية من خلال نظرة عربية شاملة تكون سبيلا للتنمية الثقافية وركيزة لخطة عامة للتنمية الشاملة .

٣ ــ تأكيد اعتبار الثقافة حقا لجميع المواطنين ، مرادفا لحقهم فى التعليم ولحقوقهم السياسية والاجتماعية .

٤ ــ وجوب العمل على تعميم استعمال اللغة العربية لغة للبرنامج فى جميع فقراته باعتبار أن اللغة القومية هى أهم دعامة للوحدة ، وهى الوعاء الصحيح للثقافة الاصيلة للامة ، وان اصالة التفكير العلمى لا تترسخ فى الامّة إلا من خلال لغتها .

٥ ــ ترسيخ المفهوم الصحيح للثقافة العربية من حيث هى ثقافة قومية وانسانية معا تستند الى أصول الامة العربية وتراثها وتستوعب فى الوقت نفسه تيارات العصر ، وتدرك آفاقه ، وتشارك مشاركة ايجابية متفتحة أخذا وعطاء ، فى تقدم ــ الحضارة العالمية .

ج ــ القصة والشعر :

١ ــ برنامج عالم القصة :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ٨ر٤٥ مساء الثلاثاء وتعاد إذاعته ١١ر٣٠ صباح الخميس . يتناول بأسلوب درامى اشهر القصص العربية القصيرة فى كل بلد عربى بحيث يقدم فى كل حلقة قصة قصيرة من بلد عربى مع تعريف بالكاتب كما يقدم اخبار القصة العربية وآخر انتاجها . وقد ألغى هذا البرنامج فى دورة ابريل ١٩٧٨ وحل محله برنامج « عالم القصة العربية » واصبحت مدته نصف الساعة اسبوعيا بدلا من ربع الساعة كل اسبوع وتقدمه جيلان حمزة ولم يلبث هذا البرنامج أن اختفى أيضا .

ومن هذا التغيير يتضح أن « عالم القصة » كان يقوم بدور محلى فقط فى حين ينبغى ، كما يتضح من « عالم القصة العربية » الا يقتصر البرنامج على تقديم القصص ذات الطابع المحلى ، بل يقدم القصص التى تتناول القضايا والمشكلات ذات الطابع العربى التى تبرز فيها القيم والسمات المشتركة فى المجتمع العربى الذى يتوجه إليه صوت العرب .

كما ينبغى أن يعنى برنامج القصة بتبسيط الاعمال القصصية الكبيرة لإمكان توصيلها الى العامة عن طريق تقديمها اذاعيا بمستوى ثقافة المستمع العادى . ذلك أن فن القصة فى الادب العربى الحديث وليد الاتصال بالانواع الادبية الاوربية فيما بعد عصر النهضة ، وكما ظهر هذا الفن على ايدى الطبقة الوسطى الاوربية فقد اعتنت به الطبقة الوسطى فى البلاد العربية وما زالت إلى الآن هى منتجته وقارئته على الاغلب وقد اثرت كل هذه العوامل فى إبراز بعض ملامح هذا الفن القومية والمحلية(٥) .

وربما كان للاتصال الاول بهذا الفن مترجما الى الفصحى اثر فى عملية الفصحى على معظم الانتاج العربى ، بحيث استطاع كتابه تجاوز كثير من العوائق على الطريق القومى للتلقى ، ولكن هل استطاعوا تجاوز العوائق النفسية المحلية للابداع بنفس القدر ؟ إن الافقين المحلى والقومى لم يتباعدا الا بقدر ضئيل جدا على مستوى الشكل بينما كان تباعدهما على مستوى المضمون أكثر وضوحا .

وربما كان الافق العالمى من خلال الانسان اشد جذبا للقصة والرواية من الأفق القومى نتيجة للارتباط القائم منذ نشأة هذا الفن بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى .

٢ ـــ عالم الشعر :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ١١ر٣٠ صباح السبت وتعاد إذاعته ٨ر٤٥ مساء الاربعاء ، ويقدم مختارات من الشعر العربى مصحوبة بالموسيقى كما يستضيف أحد الشعراء أو النقاد للتعريف بالإنتاج الشعرى للشعراء العرب ، وهذا البرنامج امتداد لبرنامج خفقات القلوب الذى بدأ فى أواخر ١٩٦٩ (٣٠ ق اسبوعيا) ثم اصبح فى ١٩٧٠ (١٥ ق اسبوعيا) يقدم الشعر العاطفى قديمه وحديثه ، تقدم هذا البرنامج سهير بهجت .

ويثير هذا البرنامج دراسة المحلية والقومية فى اعرق فنون العرب : الشعر ، باعتبارهما من مؤثرات البيئة التى يتأثر بها الفن بالضرورة ، وهذه الدراسة تجعلهما ظاهرتين متكاملتين خطوتين نحو الافق الانسانى الاسمى ، ولكن أكانتا كذلك على مر السنين الطوال فى المجتمع العربى ؟ الم تكتسبا على الاقل فى العصر الحديث بعض الملامح التى تباعد مابينهما وتضعهما ـــ احيانا فى موقف الضدين المتصارعين ؟

ثم اذا استجاب شاعر ما للمؤثرات المحلية واستغرق فيها وأفرغ لها ، أيحرمه ذلك القدرة على التوصل الفنى والفكرى فى المحيط القومى ؟

واذا كان ذلك صحيحا فما هو الموقف من الاداة الفنية للشعر وهى اللغة ؟ أيصبح من حق الشاعر استعمال لهجته المحلية ؟ واذا استعمل الشاعر الفصحى ولكنه استمد ضمائر شعره ومصادر صور التعبير فيه من موارد فى التراث المحلى القديم مثل الآشورية والفرعونية والفينيقية ـــ أتمثل هذه المصادر المتباعدة عائقا عن تصاعده بفنه الى المستوى القومى ؟ وكذلك المصادر الفولكلورية المحلية ـــ وهى ذخيرة فنية جيدة للشعر العربى الحديث ـــ أتصبح صورها ورموزها عائقا مماثلا ؟

أتصبح ورموزها

وفى ضوء هذه التساؤلات ، فان صوت العرب ينبغي أن يقدم الشعر المعبر بالفصحى ، وأن يستبعد فيما ينتخب من نماذج تلك التى تنزع الى التميز الاقليمى والانفصال ، ثم إن على الاذاعة إن تنظر الى حركة التجديد فى الشعر على أنها صيغة من صيغ التطور مادام مرتبطا بالوجدان العربى ونابعا منه ، ومتفاعلا معه ووفيا لتراثه وتقاليده .

إن من سمات الشعر الذى يقدمه هذا البرنامج أنه يتجه فى الاتجاه القومى ويرتبط بالقيم الاصيلة فى تراثنا الاسلامى العربى ، ومعالجة قضايا الانسان العربى المعاصر .

د ـــ البرامج الخاصة :

١ ـــ عالم السياحة :

برنامج أسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ٦ر٤٠ مساء السبت وتعاد إذاعته ١١ر٣٠ صباح الاثنين ويهدف الى التعريف بالبلدان وأهم المعالم السياحية والتاريخية وانطباعات الشخصيات المختلفة عنها .

واذا كان الكتاب هو التسجيل المطبوع للفكر ، فان المتحف هو تجسيد للفكر فى صور مرئية ، وان كنا لانستطيع أن نصحب معنا متحفا فى كل انتقال[٦] ومن هنا فان برنامج « عالم السياحة » ينقل المتاحف والمعالم السياحية والتاريخية بالفعل الى المستمع العربى لتزويده بالمعارف والمعلومات مع إعطائه قدرا من الانفعال من خلال انطباعات الشخصيات المختلفة عن القيمة الفنية التى تتولد عن التجسيد .

وتقدر احصائيات اليونسكو الاخيرة عدد المتاحف فى مصر باثنين وسبعين متحفا ، يدخلها اربعة ملايين وثمانمائة وخمسة وأربعون الفا من الزوار : وبمراجعة احصائيات السياحة سنجد أن عدد السائحين الوافدين الى مصر يصل الى قرابة نصف المليون سائح كل عام نصفهم من البلاد العربية والسائحون الاجانب يحضرون الى مصر وفى برامجهم زيارة المتاحف الكبرى والمناطق الاثرية . ولو حسبنا المتاحف الكبرى وهى أربعة فاننا نجد أن زوارها من الاجانب مليون زائر ، على اعتبار أن ـــ الاغلبية الساحقة منهم يزورون هذه المتاحف الكبرى مرة على الاقل اثناء اقامتهم فى مصر . يبقى بعد ذلك العدد الباقى ويقدر بحوالى أربعة ملايين نسمة اغلبهم من تلاميذ المدارس[٧] .

واذا كنا لانستفيد من متاحفنا بالقدر اللازم[٨] فان الإذاعة ينبغى أن تقوم بدور كبير فى زيادة عدد المستفيدين بالمتاحف والمناطق الاثرية وينبغى أن يتم التعاون مع الإذاعات العربية فى التعريف بالآثار العربية الاسلامية التى توجد فى الاقطار الاجنبية وفى متاحف العالم الكبرى .

كذلك ينبغى أن يعنى برنامج عالم السياحة بتعريف المستمع العربى بالحضارة الفنية العربية من منظور عربى وبأقلام متخصصة ، حتى يشيع بين مجموعات الناس تذوق لما تحتويه الآثار من فنون كتب لها الخلود .

٢ ــ شخصيات تحت الاضواء :

برنامج اسبوعى مدته نصف الساعة يذاع ٣٠ر٩ مساء السبت ، ويقدم حياة بعض المشاهير فى العلم والفن والادب وقصص كفاحهم .

وعلى الرغم من تحديد هذا الهدف للبرنامج الا أنه كغيره من برامج الاذاعة يهتم « بأهل الفن من مطربين وممثلين ولا يهتم بأهل الفكر[٩] » ، وينبغى أن يهتم هذا البرنامج بأهل الفكر لأننا « بتقديم الفنانين نعطى انطباعا للمستمعين وبالذات صغار السن منهم ــ أن أحسن الناس هم المطربون والممثلون الامر الذى يبعد الجيل الصاعد عن الاهتمامات الفكرية[١٠] » ، على حد تعبير الاستاذ حافظ محمود .

ولكى يقوم هذا البرنامج بدوره ينبغى أن يلتزم بـ :

١ ــ الدقة التاريخية .
٢ ــ صياغة المادة العلمية فى شكل درامى .
٣ ــ اختيار المخرج لشخصية الممثل الذى سيقوم بدور « الشخصية التى هى تحت الاضواء » .
٤ ــ استخدام الموسيقى المناسبة لموضوع البرنامج .

كما أن الحوار مع الشخصية التى يلقى البرنامج الضوء عليها نوع من محاورة الشخصية ولذلك ينبغى أن تخضع لما يلى :

١ ــ يريد المستمع أن يتعرف على هذه الشخصية ويستمع إليها
٢ ــ الحرص على الا يظهر بطل الحلقة بصورة المتفضل المتعالى الذى يشعر أنه بذل شيئا وانه أفضل من المستمعين .
٣ ــ الحرص على ألا يظهر مقدم البرنامج وكأنه من مستوى اعلى من مستوى بطل الحلقة والبعد عما يؤذى شعوره .
٤ ــ البعد عن افتعال الحوار .

ذلك أن البرنامج الخاص هو الشكل الإذاعى الذى يلى الدارما فى الأهمية ، وإن كان بعض العاملين فى مجال الاخبار قد يرفضون هذا القول ويؤكدون رفضهم بقولهم إن البرنامج الخاص فى صورته المتكاملة يربط بين الاخبار وبرامج الاحداث المعينة وكذلك

الدراما ... بمعنى أنه يعتمد على هذه الاشكال مجتمعة .. الا أن الحقيقة تقول بأن البرنامج الخاص لا يكتفى بالعرض المحايد وانما يستطيع أن يقوم بتفسير الماضى كما يستطيع أيضا التنبؤ بالمستقبل فى بعض الحالات(١١) .

٣ ــ سهرة الاحد :

برنامج اسبوعى مدته ساعة يذاع الساعة ١٢ منتصف ليل الاحد ، ويعتمد هذا البرنامج على أسلوب « مجموعة العمل » حيث لايقتصر على جهد اذاعى واحد ، ويتوسل بأسلوب المنوعات فى تقديم البرنامج الخاص من خلال تقديم فقرات منوعة فى المادة والموضوع والشكل ، وهذا الاسلوب اقرب الى اسلوب البرنامج الخاص الذى يعتمد اساسا على وحدة الموضوع مع تنوع الوسائل الفنية لمعالجته ، فموضوع « السهرة » دائما واحد ، حيث تتضمن « سهرة الاحد » فكرة واحدة تدور حولها السهرة ، تقدم من خلال استعراض وجهات نظر فنية ومسرحية وسهرة مع فيلم .

ومن ذلك ماقدمه البرنامج فى سهرة ١٢ /٣ /١٩٧٨ حيث قدم شخصيات فنية مثل روميو وجوليت وكشكش بيه وأوديب ، من خلال حديث عن هذه الشخصيات لمتخصصين فى الدراما يقدمون وجهات نظر متنوعة حول موضوع واحد .

كما قدم البرنامج حلقة علمية بعنوان « اشياء غريبة فى جسم الانسان » وعلى الرغم من صعوبة المادة العلمية الا أن الشكل الاذاعى الذى يتميز به هذا البرنامج جعل المادة العلمية مقبولة سمعيا ، كما قدم البرنامج بنفس الاسلوب الاذاعى فى سهرة الاحد ٢ /٤ / ١٩٧٨ حلقة عن « الاحجار النفيسة واستعمالاتها واغرب أنواعها وقصة كل حجر من الاحجار النادرة والكبيرة » إلخ ..

و« سهرة الاحد » كبرنامج خاص تواكب الاحداث ، وتتخذ من حدث ما موضوعا للسهرة ، ومن ذلك ماقدمه البرنامج مساء الاحد ٢٩ / ٨ /١٩٧٨ عن عيد الطيران المدنى وعرض الجديد عن عالم الطيران من خلال الحوار مع المختصين وعلماء الأرصاد ونوادى الطيران المدنى والشراعى .

ومن هنا يتضح أن البرامج الخاصة فى صوت العرب تسعى الى تكوين الانسان العربى وصقل فكره ووجدانه ، من خلال عرض القيم الصالحة فى المجتمع وتهيئة المستمع العربى لمعايشة عصره من خلال عرض الاحداث وذلك يتطلب الاهتمام من حيث المضمون فى البرامج الخاصة الثقافية العربية لمقوم اساسى من مقومات الوحدة كما يقتضى الاهتمام بالمشاركة الايجابية فى الحضارة العالمية ويقتضى ذلك أن تعنى البرامج الخاصة بتقديم :

١ ـــ التراث الفكرى وتقريبه للعقل المعاصر والاحتفال بأعلامه ومناسباته التاريخية .
٢ ـــ الآثار والمتاحف .
٣ـــ الآداب والفنون تواصلا بالتراث ومعاصرة لمشكلات الوطن العربى .
٤ـــ ندوات المفكرين والادباء والفنانـين العرب حول الحركة الثقافية العربية .

هـــ المسرح والسينما والموسيقى :

١ ـــ عالم المسرح :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ٣٠ر١١ صبـاح الاربعاء وتعـاد اذاعته ٤٥ر٨ مساء الاثنين ، يتناول النشاط المسرحى بهدف وصل المستمع للراديو بالمسرح كوسيلة ثقافية وقد اصبح هذا البرنامج ابتداء من دورة يناير ـــ مارس ١٩٧٨ مستقلا ، بعد أن كان متضمنا فى برنامج « أضواء المسرح والسينما » ، ويقدم البرنامج احاديث مع المشتغلين بالمسرح الى جانب لقطات من أعمال مسرحية ، ومناقشة لهذه الاعمال .

ولأن للمسرح تأثيرا واضحا على تكوين الوجدان ولأنه من أهم الوسائل الفنية فى تحريك الخيال ، واثارة القضايا المعروضة ، فان العناية به تصبح ضرورة هامة فى دراسة البرامج الثقافية ..

فالمسرح بالنسبة للاذاعة المسموعة عند قيامها بدور الوسيط الثقافى مصدر ثقافى وجماهيرى متمم لدورها فى الحياة الثقافية ، ولذلك فان برنامج « عالم المسرح » فى صوت العرب بشكله الراهن ومدته المحدودة (ربع الساعة اسبوعيا ينبغى أن يعاد النظر فيه ، وفى المدة اللازمة ليقوم بدوره فى ضوء ما يلى : ـــ

١ ـــ أن يهتم برنامج عالم المسرح فى صوت العرب بنقل الاعمال المسرحية الجيدة من المسرح الى جمهور المستمعين من خلال فقراته التى تحتاج وقتا أطول ، مع مراعاة أن يجرى اعداد هذه الاعمال المسرحية للاذاعة بما يتواءم مع الفن الاذاعى دون التفريط فى مقومات العمل المسرحى الاساسية .

٢ ـــ أن يتعاون « عالم المسرح » مع الاذاعات العربية فى تقديم الاعمال والدراسات المسرحية التى تحقق التقارب بين فنانى ومثقفى الوطن العربى ، حيث إن البرنامج فى شكله الحالى لا يعنى الا بالمسرح المصرى فقط . ويمكن أن يتم ذلك عن طريق تبادل اشرطة المسرحيات التى التزم حوارها بالفصحى .

٣ ـــ أن يتابع « عالم المسرح » مهرجان المسرح العربى الذى يقام سنويا فى شهر ابريل ، وتشترك فيه الاقطار العربية ، وأن يتخذ منه مادة طويلة الاجل تقدم على مدار

العام ، حيث تشترك فيه فرق مسرحية من الاقطار العربية ، وفى ذلك مايتيح للمستمع العربى أن يتعرف على الحركة المسرحية العربية ، فلا تزال الحركات المسرحية فى المغرب العربى مجهولة تماما لدى غالبية دول المشرق ولاشك أن ـــ صوت العرب هو القادر على التعريف بتلك الحركات .

٢ ـــ سينمائيات :

برنامج اسبوعى مدته نصف الساعة يذاع ٣٠ر٩ مساء الثلاثاء ، يستعرض اهم ما تقدمه السينما فى اسبوع ، ورأى النقاد الفنيين والجماهير فى الانتاج السينمائى .

ويتميز هذا البرنامج بمواكبته للاحداث الفنية ، نذكر من ذلك انه فى الذكرى الاولى لوفاة عبد الحليم حافظ ، قدم برنامج « سينمائيات » مساء ٢٨ / ٣ / ٧٨ حلقة خاصة تتضمن تقييما لافلامه يوم من عمرى ـــ بنات اليوم ـــ لحن الوفاء ـــ شارع الحب ـــ الخطايا ، وكذلك فى الذكرى الثالثة لرحيل أم كلثوم قدم البرنامج فى يوم ٣١ / ٨ / ١٩٧٨ حلقة خاصة استضاف فيها مصطفى أمين ـــ فى حوار حول فيلم « فاطمة » الذى كتب قصته ، كما قدم البرنامج مشهدا من مشاهد الفيلم كما استضاف البرنامج فى حلقة يوم ٢٤ / ١ / ١٩٧٨ الاديب يوسف السباعى الذى تحدث عن قصته فى فيلمى « بين الاطلال » لفاتن حمامة و« اذكرينى » لنجلاء فتحى . واستضاف كمال الشيخ للتحدث عن فيلمه « الصعود الى الهاوية » وأذاع البرنامج جزءا من فيلم « إنى راحلة » .

واستضاف البرنامج فى ٢٤ / ٣ / ١٩٧٨ الروائى نجيب محفوظ فى حوار حول رأيه فى الاعمال السينمائية لكل من ـــ توفيق الحكيم ويوسف السباعى واحسان عبد القدوس وعبد الرحمن الشرقاوى ويحيى حقى . وقدم البرنامج مسامع من افـلام « الشوارع الخلفية » و « الرباط المقدس » و « السقا مات » ومن ذلك يتضح الدور الهام الذى تقوم به الاذاعة فى نشر الثقافة السينمائية بين مختلف طبقات الشعب ، وخاصة فى الريف حيث لا يجد المواطن فى القرية من وسيلة للتثقيف والاعلام غير الراديو الذى ساهم فى خلق برامج متعددة عن السينما وابراز مختلف الافلام بطرق متعددة ونشرها بشتى الطرق البرامجية الاذاعية على المواطنين .

وبالنسبة لصوت العرب فان برامجه السينمائية وخاصة « سينمائيات » تساهم فى نشر الثقافة السينمائية بين مختلف الدول العربية ، حيث لا تقـوم هذه البـرامج بنشر الافلام عن طريق الراديو فحسب ، ولكنها تستضيف النجوم السينمائيين وتلقى الاضواء على عملهم وعن طريق اللقاءات المستمرة معهم استطاع المستمع العـربى على مختلف

ثقافاته أن يعرف الكثير عن السينما ، واستطاع أن يكون على علم بما يجرى من تطور فى الافلام المختلفة .

ويوصى البحث بتخصيص مدة أطول لبرنامج سينمائيات حتى يتمكن صوت العرب من القيام بدوره فى تقريب الفكر العربى ، ذلك أنه اذا كانت دور العرض لا تكفى فان دور الاذاعة فى توصيل السينما الى المستمع يغدو دورا اساسيا لما تمثله السينما من وسيلة قومية فى تشكيل الوجدان العربى .

٣ ـ مع الموسيقى العالمية :

برنامج اسبوعى مدته نصف الساعة يذاع ١٫١٥ بعد منتصف ليل الثلاثاء ، وهذه المدة لا تكفى لوصل المستمع بالفنون الرفيعة ذلك أن البرامج الموسيقية ينبغى أن تتجاوز تطوير الفنون القومية الى المشاركة فى الفن العالمى ومن ذلك ما قدمه البرنامج يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٧٨ عن مؤلف الموسيقى المجرى فرانزليست (١٨١١ ـ ١٨٨٦) وأذاع له الابسودية المجرية رقم ١٠ ومقطوعة الجرس الصغير والقصيد السيمفونى « المقدمات »

وبرنامج « مع الموسيقى العالمية » حين تتحدد معالمه فى اطار خريطة البرامج الثقافية فى صوت العرب ، انما يؤكد الاصالة العربية فى التعبير عن خلجات النفس الانسانية ، ونكتفى هنا بذكر الرائد الفيلسوف ابو نصر محمد الفارابى المتوفى فى عام ٣٣٩ هـ الموافق ٨٥٠ م ، لنتعرف على ما ينبغى أن يقوم به هذا البرنامج الموسيقى فى صوت العرب من وصل للمستمع العربى بتراثه وعالمه المعاصر فى آن معا ، فالفارابى قد خلف للانسانية كتابا شهيرا لايزال مرجعا لكل دارسى الموسيقى فى العالم وهو « كتاب الموسيقى الكبير » وفيما يلى مقتطفات من هذا الاثر الكبير .

قال الفارابى : « فقد تبين أن أصناف الالحان ثلاثة : أحدها الالحان الملذة والثانى : الالحان الانفعالية والثالث الالحان المخيلة .

« والملذة منها تستعمل للراحات فى كمال الراحات والانفعالية تستعمل حيث يقصد بها حدوث الافعال الكائنة عن انفعال ، أو حصول الاخلاق التابعة لانفعال ما .

والمخيلات تستعمل حيث تستعمل الاقاويل الشعرية وانحاء من الخطبة ومنافعها تابعة لمنافع الاقاويل الشعرية ، والنصف الاول نافع ايضا فى الانفعالات والصنفان جميعا نافعان فى المخيلات لان كثيرا من التخييل وانقيادات الذهن تابع للانفعالات على ما تبين فى موضع اخر » إلخ ..

وهكذا نرى فيلسوفنا الفارابى قد قرر قيمة الموسيقى فى خدمة الوجدان وتحريك ارادة الانسان ، ولعل هذا يوضح ماينبغى أن تكون عليه شخصية البرنامج الموسيقى فى صوت العرب ، ذلك أن هذا البرنامج بشكله الحالى فضلاً عن أن مدته لاتكفى لا يتميز عن غيره من البرامج التى تقدمها الاذاعات الاخرى ، فالبرنامج الموسيقى فى صوت العرب يجب أن يتميز بشخصية عربية فى تذوق الموسيقى العالمية حتى تتفاعل الخبرات الموسيقية العربيه مع الموسيقى العالمية وتظهر مدارس موسيقية قومية متطورة سيما وأن للموسيقى اثرها فى تكوين رأى عام موحد يقضى على التناقضات بين الشعوب وبعضها البعض ، لما تتميز به من القدرة على التغلب على اختلاف العادات والتقاليد واللغات .

و ـ الكتب والمجلات والرسائل الجامعية :

١ ـ شارع الصحافة :

برنامج يومى مدته ١٠ دقائق يذاع ٧ر٤٠ صباحا يستعرض أهم ماجاء فى الصحف من موضوعات متنوعة وريبورتاجات وأخبار ثقافية وغيرها .

وتتضح أهمية هذا البرنامج وغيره من البرامج التى تحتفى بالكلمة المطبوعة ، فى ضوء المنافسة التى يحققها الراديو فى الانفراد بوقت فراغ جمهوره ، أى جذب عدد من قراء الصحف والمجلات لكى يستمعوا الى برامج الاذاعة ، أو حصول هؤلاء المستمعين على المعلومات السياسية والثقافة التى يريدونها من الراديو بدلا من قراءتها فى الصحف والمجلات . الامر الذى يؤدى الى تقليل عدد النسخ المباعة بنسبة تؤثر فى توزيع الصحيفة وفى حجم الاعلانات التى تحصل عليها(١٢) .

وبرنامج « شارع الصحافة » من البرامج التى تحقق هذا الاتصال بين المستمع والصحف العربية ولكن الملاحظ على هذا البرنامج انه يستعرض الصحف المصرية فقط ، فى حين أن الرسالة العربية لصوت العرب تقتضى أن تتسع دائرة الصحف التى يستعرضها « شارع الصحافة » بحيث يتمكن المستمع العربى فى كل قطر عربى من التعرف على وجوه الحياة الثقافية المعاصرة فى كل قطر عربى من خلال استعراض صحيفة .

كما أن برنامج « شارع الصحافة » ينبغى أن يلتزم فيما ينقل عن الصحف بقيم الامه العربية ، وأن يعنى باختيار ما يكتب عن قضايا الفكر والثقافة والادب إكمالا لرسالة الكلمة المطبوعة ، لا سيما وأن الامية فى الوطن العربى تشكل عائقا خطيرا بين المستمع العربى والكلمة المطبوعة ، ومن هنا ينبغى أن يعنى فى اعادة تخطيط البرامج الثقافية فى صوت العرب بعامة و « شارع الصحافة » بخاصة أن تكون الكلمة المسموعة

بالفعل أداة فعالة للتوصيل الثقافى للجماهير ولاشك أن الصحافة العربية قد لعبت دورا جوهريا فى تطوير ثقافتنا المعاصرة ، وربطها بتيارات الثقافة العالمية ونقل مضمون الصحف العربية من خلال صوت العرب يتيح انتشارا أكبر للمضمون الثقافى والذى يشارك فى صنعه معظم كتابنا المعروفين . ولذلك فان « شارع الصحافة » بشكله الحالى ، ينبغى أن يعنى باذاعة فقرات مما يكتبه المفكرون العرب فى الصحف من مقالات فى الفكر والأدب والفن .

٢ ــ قرات لك :

برنامج يومى مدته ١٠ دقائق يذاع ١٥ر٥ مساء وتعاد اذاعته ٥ر١٠ صباح اليوم التالى ، ويعرض احدث ما أخرجته المطابع العربية ، والكتب العالمية ذات الدلالات العربية والتى تعالج قضايا معاصرة وتنشر على أوسع نطاق عالمى والبرنامج يتتبع المؤلفات الجديدة فى شتى القضايا العربية والمصرية والدولية بعيدا عن النزعات العقائدية .

ويستهدف هذا البرنامج بالدرجة الاولى خدمة المكتبة العربية والتراث الفكرى العربى الذى ارتفعت به منارة الحضارة العربية للانسانية كلها فى أحلك عصورها .

وقد حرص صوت العرب كاذاعة عربية موجهة منذ شهر مارس ١٩٦٢ على أن يقدم كل يوم عرضا لأحد الكتب من اعداد كبار النقاد العرب ، حول الوطن العربى وتراثه ومشاكله وثرواته .

وتتضح أهمية برنامج « قرات لك » وغيره من البرامج التى تعنى بوصل المستمع بالكلمة المطبوعة ، فى ضوء الدراسات التى أجريت فى العام الدولى للكتاب[١٣] والتى اثبتت ان الكتاب لايزال يشق طريقه نحو الانتشار برغم تطور الوسائل الاعلامية الجديدة وقدرتها على امتصاص الوقت والانتباه جميعا ، لكن هذا الحصر لا ينفى ــ مع هذا ــ أن تأثير الوسائل الجديدة على انتشار الكتاب قد انحصر فى الدول النامية ، ذات الإمكانات الاقتصادية المحدودة ، أما فى الدول المتقدمة التى وصلت الى مرحلة اقتصادية هيأت لها قدرات التفوق فان انتشار هذه الوسائل الجديدة قد سار جنبا إلى جنب مع انتشار الكتاب . فى حين نجد أن هذه الوسائل قد اثرت على انتشار الكتاب فى الدول النامية[١٤]

ولعل التساؤل الذى يفرض نفسه على المناقشة هو ماذا تستطيع البرامج الثقافية فى صوت العرب بخاصة أن تقدمه للكتاب ونشر الوعى القرائى العربى ؟ ان تخصيص برنامج يومى للكتاب هو قرأت لك ذلك لايكفى لتحقيق هذا الهدف الثقافى ولايقوى الكتاب

العربى على المنافسة الخطرة التى يلقاها من الوسائل الاخرى الجديدة المنافسة . ان على البرامج الثقافية جميعها ان تساهم فى نهضة الكتاب العربى بالنشر عنه ، والترويج له واتخاذه مادة حوار تثير شهية المستمع العربى للقراءة . لا سيما وأن المستمع العربى يعتبر القراءة جزءا من تراثه الروحى والحضارى ، فقد كانت بداية نزول الوحى من الله سبحانه وتعالى الى رسوله محمد صلوات الله عليه هى/« اقرأ . اقرأ باسم ربك الذى خلق »١.

٣ ــ عالم المجلات :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع ١٢ر٣٠ صباح الاحد وتعاد اذاعته ٨ر٤٥ مساء الجمعة ، يتناول البرنامج النشاط الثقافى العربى من خلال المجلات الأدبية والثقافية الأسبوعية والشهرية التى تصدر فى البلاد العربية ... ويركز هذا البرنامج على كل ماهو عربى فى إطار الثقافة العربية ، مع عرض للاتجاهات الأدبية والثقافية فى الوطن العربى وعلاقتها بالعالم .

وتعتبر المجلات والنشرات الدورية المتخصصة من أهم وسائل التثقيف فى الوطن العربى . فهى كتب مركزة المادة ومتنوعة ويشترك فى تحريرها متخصصون متباينو الثقافة ، والمنهج العلمى والانتماء الوطنى والتاريخى ، ومن ثم يمكن أن تغنى تلك المجلات والدوريات عن كتب المجموعات المقالية التى تعالج موضوعا واحدا من زوايا مختلفة بأقلام متعددة ، والتى لا يزال العالم العربى يتجاهل إصدارها حتى الآن .

وأول ما يلاحظ على هذا البرنامج أن مدته لاتكفى لتحقيق اهدافه الثقافية ، ذلك أن ربع الساعة اسبوعيا ، لاتكفى لتحقيق التكامل الثقافى بين الكلمة المسموعة والكلمة المطبوعة ، وان برنامج عالم المجلات « اذا ما خصصت له ساعة على الاقل كل اسبوع ، يمكن أن يسهم فى تحقيق هذا التكامل ، سيما وأن المجلة فى السنوات الاخيرة ــ كما يقول جورج ديهاميل[١٥] « غيرت من منظرها ، والتمست لها مظهرا جديدا ، فلدينا اليوم المجلة الاسبوعية التى تحافظ على مظهر الجريدة وان قدمت مادة اغنى ولجأت الى شىء من التراجع فى الزمن لتحكم على الوقائع والناس . والمجلة تجمع بين الجريدة والكتاب ، وهى كما يدل معنى لفظها الاشتقاقى ، تسعى أو تحاول أن تسعى الى أن تستجلى أى توضح حقيقة من العالم » ، والمجلة كما يقول ديهاميل ايضا « تشاطر الكتاب حياته ، لانها تاخذ مظهره لا مظهر الجريدة وهى لاتموت فورا اذ تسير إلى إحد رفوف مكاتبنا تستقر به حين تبقى ــ كالكتاب ــ تحت تصرفنا « فللمجلات » مكان وسط بين الكتب والجرائد ، وهى لازمة لحفظ التوازن العقلى فى تلك البلاد التى تعتبر اليوم مسئولة عن كنز حضارتنا[١٦] » .

ويتضح من ذلك أن البرامج الثقافية التى تعرف بالكلمة المطبوعة ، تسهم فى نشر قوة تأثيرها التى لاتبارى من خلال استعراض الكتاب والصحيفة والمجلة كوسائل للتثقيف ، تتيح الدراسة من ناحية والتفكير من الناحية الاخرى ، الامر الذى يجعل الاذاعة تزيد من رقعة انتشار الكلمة المطبوعة حين يبحث عنها المستمع بعد استماع برامجها فى الاذاعة ليدرس ويفكر من خلال القراءة بعد الاستماع .

٤ ـــ رسائل جامعية :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة يذاع الساعة ٦ مساء الثلاثاء ، ويستهدف هذا البرنامج الربط بين الحياة الجامعية والمستمع العربى ، من خلال تقديم أهم النتائج التى توصل اليها الباحثون فى رسائلهم الجامعية ، عن طريق الحوار بين صاحب الرسالة الجامعية ومقدمة البرنامج رباب البدراوى وتسجيل لجزء من المناقشة للرسالة أو حضور أحد المشرفين عليها .

وقد ألغى هذا البرنامج فى دورة ابريل ١٩٧٨ ، فى حين كان ينبغى أن تزيد مدة إرساله ، وان تتطور اساليب تقديمه لتحقيق التكامل الثقافى بين الاذاعة والجامعات العربية ، ولذلك يوصى البحث باعادة هذا البرنامج ليقوم بـ : ـــ

١ ـــ تقديم خلاصات للأبحاث الهامة التى يجريها طلاب الدراسات العليا كالماجستير والدكتوراه من خلال المناقشة مع صاحب البحث ، وتقديم هذه الخلاصة فى شكل درامى من خلال البرنامج لربط المستمع بالبحث العلمى وتعريفه بمشكلة البحث والطريقة المستنبطة لحلها .

٢ ـــ تقديم خلاصات للفكر الجامعى الذى ينشر فى شكل مقالات وتقارير الدوريات العلمية من خلال فقرة فى البرنامج بشكل اذاعى مناسب ييسر على المستمع معرفة نتائج بحث ما أو معلومات معينه عنه ، من خلال إثارة التشويق لدى المستمع وتقديم الحقائق بطريقة مباشرة وموضوعية ومختصرة .

٣ ـــ أن يركز البرنامج فى تقديم الفكر الجامعي على ثلاثة جوانب رئيسية تمثل اهمية البحث علميا وهى : اكتشاف حقيقة جديدة ، التمحيص النقدى للبراهين والأدلة المفضية الى النتائج التى تتوصل اليها الباحث ، ثم كيفية الاستفادة من الحقائق الجديدة واستخدامها تطبيقيا فى الحياة العلمية .

فعلى سبيل المثال ماذا كان يهدف شكسبير من قصة « هاملت » هل كان يكتب لمجرد كتابة قصة خيالية تاريخية عن فترة زمينة معينة ، أو أنه استخدم روايته لينقل آراءه عن عصره ؟ إن الاجابة عن مثل هذه الاسئلة لا تعتمد فقط على مجرد معرفة الحقائق ، بل

على فحص افكار شكسبير التى عبر عنها فى اعماله الاخرى . وبما أن آراء الكاتب لا تظهر بشكل محدد قاطع فالبديل الآخر لمعرفتها هو استنباطها عن طريق التفسير النقدى بما يحتويه من براهين وحجج .

والوسائل المستخدمة فى هذا النوع من البحث هى التجربة والمنطق وكذلك مستوى رفيع من الامكانات العقلية يتطلبها التفسير النقدى لانه ينطوى بالضرورة على حكم شخصى مبنى على الاسباب المنطقية ومستند الى التعليل المقبول والمعقول ، ومن هنا تتضح اهمية برامج الفكر الجامعى من حيث انها لا تقدم معلومات للمستمع فحسب ، ولكنها تزوده بالتفسير النقدى الذى يعاونه فى المعرفة بوجه عام .

وأهم الرسائل الجامعية التى قدمها البرنامج منذ إذاعته فى أبريل ١٩٧٧ وحتى أول ابريل ١٩٧٨ هى : ـــ

ـــ المسرح الشعرى	د . كمال اسماعيل
ـــ أثر القصة فى التكوين النفسى للطفل	نادرة عبد الحليم وهدان
ـــ التأثير العربى فى الادب التركى	الصفصافى احمد المرسى
ـــ شعر المرأة فى العصر العباسى	عبد الفتاح عثمان
ـــ لغة الصحافة المعاصرة	محمد حسن عبد العزيز
ـــ الامتداد القارى والقواعد الدولية للبحار	نبيل أحمد حلمى
ـــ الشعر الاردنى المعاصر	نبيل حداد (أردنى)
ـــ الاتحاد الفيدرالى بين النظرية والتطبيق	محمد بكر حسين
ـــ ابن حزم مؤرخا	عبد العليم عويس
ـــ ازهار واثمار الزبدية	زينب حمدى
ـــ مشيخات عمان	عبد الفتاح عبد الحميد (سودانى)
ـــ التنشئة السياسية للفلاح المصرى	كمال المنوفى
ـــ الموال فى البلاد العربية	ابراهيم الحامولى
ـــ الاخبار فى الاذاعة المصرية	فوزية فهيم
ـــ الاذاعات الاقليمية فى الدول النامية	يوسف مرزوق
ـــ دراسة فى سرطان المثانة	د . عادل أبو طالب
ـــ تآكل حديد غلايات الصلب	نبيل نصيف
ـــ السوق العربية المشتركة	تحسين هلال (سورى)

ـــ اقتصاديات العالم العربى　　سليمان المنزرى (عراقى)
ـــ الطيران المدنى فى الدول العربية　　محمود عزت
ـــ السودان وتجربة الحكم المحلى　　سمير حليم
ـــ التعليم الصناعى للمرأة　　ليلى حسين

(وغيرها من الرسائل المختلفة .)

ز ـــ تبسيط العلوم :

١ ـــ اقتصاديات :

هو برنامج اسبوعى مدته ١٥ دقيقة يذاع ٦ مساء الاربعاء ويستهدف هذا البرنامج تبسيط علوم الاقتصاد فى إطار من تحقيق رسالة الاذاعة فى تبسيط العلوم الطبيعية والإنسانية . والاهتمام بتبسيط العلوم ، يقوم على اساس أن العلم قد بدأ يمسك بزمام مستقبل الانسانية كلها ، حيث اعطى لدول معينة ، وخاصة تلك التى يطلقون عليها اسم « القوى الكبرى » ، مقدرة هائلة على التدمير ، كما قدم العلم للجنس البشرى وسائل الحصول على قدرات إنتاجية تتزايد باستمرار[١١]

وعلى ضوء ما جد للعلم من خطورة أصبح لتبسيطه ونشره بين الجماهير وظيفة جديدة ، هى مساعدة الأمم على قبول ما ستواجهه مستقبلا بسبب العلم ، وهذا ايضا من اجل بقاء الجنس البشرى على الارض ، ثم تفهم مايستطيع العلم ان يفعله لوضع حد للجوع والفقر وكثير من الأمراض المنتشرة اليوم . وما كان يعتبر فى الماضى حلما يمكن أن يتحول فى عصر العلوم الى حقيقة واقعية . ومن الامور الحيوية ان تحصل الانسانية على ادراك كاف لامكانات العلم المدمرة والبناءة على السواء وهذا وحده هو الذى يستطيع أن يوفق بين التكوينات الاجتماعية التى ترتبط بظروف المعيشة الجديدة والظروف الجديدة للوجود الانسانى ، وهى الظروف التى لايتوقف العلم ايضا عن تغييرها يوما بعد يوم .

وقد انعكست آثار تفجير القوة المدمرة للعلم الحديث على الجنس البشرى كله فى ذلك اليوم من شهر اغسطس ١٩٤٥ حينما احترقت مدينة هيروشيما واحترق مايقرب من ١٠٠ ألف من سكانها وتفحموا فى ثوان معدودة ، وكان هذا بعد انفجار قنبلة ذرية واحدة من ارتفاع بضع مئات من الامتار . وبالقياس الى ما وصلت اليه القنابل الذرية اليوم تعتبر قنبلة هيروشيما من القنابل الذرية التكتيكية المنخفضة القدرة ، بعد أن عرف العالم كيف تصنع الاسلحة التى تفوق القنبلة الذرية الاولى بآلاف المرات[١٨]

هذا هو التحدى الاول الذى تواجهه البشرية بالتحدى الثانى فقد نجم عن الثورة الصناعية الحالية التى جعلت ثلثى سكان العالم بلا موارد معقولة ومع الذين يتزايدون

عددا ويزيدون فقرا هناك نحو ثلث العالم ينعمون بالثراء الجيد نتيجة للاستفادة من إمكانات الانتاج الهائلة التى وضعها العلم تحت تصرفهم . كذلك فانه من واجب العلماء أن يضغطوا على الحكومات والهيئات التنفيذية ليبقى للعلم وللعلماء مكانتهم ودورهم المحايد فى التعاون الدولى لحل مشاكل التنمية العالمية ، للوصول بالانسانية كلها الى مستوى معقول من المدنية والتقدم بالاعتماد على العلم والتكنولوجيا . ويصبح واجبا ايضا على العلماء تبسيط العلوم لتعليم الناس ولتربية البشر على الحياة فى العالم الجديد الذى خلفته الثورة العلمية(١٩)

٢ ــ عالم الغد :

برنامج اسبوعى مدته ربع الساعة ويذاع ٦ مساء الخميس يقدم جرعة علمية مبسطة لربط المستمع بأحدث إنجازات العلم وتأثيرها على المستقبل .

ويستهدف هذا البرنامج تبسيط العلوم لتربية المستمع العربى على الحياة فى العالم الجديد الذى خلفته الثورة العلمية . وتثير برامج تبسيط العلوم قضية اساسية بالنسبة للمستمع العربى بوجه خاص ، ذلك انه لايكفى للاقناع بالعلم وبدوره مجرد شرح تركيب المفاعل النووى أو الصاروخ البعيد المدى أو شرح التركيب الكيماوى لجزيئات الجينات الحاملة للوراثة فى الخلية الحية ، أو كيفية تأثير دواء جديد ذلك أنه ليس الهدف من برامج تبسيط العلوم فى صوت العرب أو البرنامج العام مجرد المتعة الذهنية والإثارة العقلية للمستمع بأخبار الاختراعات والاكتشافات ولكن النشر العلمى هدفه الاكبر هو نشر اسلوب تعايش الدول العربية والحكومات مع منجزات العلم الكبيرة ، ومع الحياة التى لا مفر منها مع متطلبات عصر العلوم .

ملخص :

تحدثنا فى هذا الفصل عن البرامج الثقافية التى تقدمها اذاعة صوت العرب ، وتبين أن هذه البرامج تتنوع مابين برامج ثقافية عامة واحاديث وندوات وبرامج خاصة بالشعر والقصة والمسرح والسينما والموسيقى والكتاب والمجلات والعلوم والانسانية بخاصة .

كما تبين أن هذه البرامج تسعى لتحقيق السياسة الثقافية التى تنتهجها إذاعة صوت العرب فى النطاق العربى ، والتى تتسم بالطابع القومى العربى ، ولكن لوحظ أن الاهتمام بالثقافة المحلية المصرية يفوق اهتمامها بالثقافة فى البلاد العربية وهو الامر الذى يتناقض مع سياسة صوت العرب . لذلك توصى المؤلفة باعادة تخطيط البرامج الثقافية فى صوت العرب فى اطار الوحدة والتنوع .

الهوامش

(١) مجلة الاذاعة والتليفزيون ع٢٠٥٠ فى ١٩٧٤/٦/٢٩ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) د . فؤاد زكريا : المرجع السابق ص ٧٧ .

(٤) نفس المرجع ص ٧٧ . نفس المرجع ص ٧٧

(٥) المنظمة العربية للتربية والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية ــ مرجع سبق ذكره ص ١٧ .

(٦) عبد المنعم الصاوى : وماذا بعد ٦ أكتوبر ــ القاهرة ـ روز اليوسف ١٩٧٤ ــ ص ١١٤ .

(٧) عبد المنعم الصاوى : وماذا بعد ٦ أكتوبر ــ (القاهرة ــ روز اليوسف ١٩٧٤) ، ص ١١٤ .

(٨) نفس المرجع ص ١١٤ .

(٩) حافظ محمود : «رأيهم فى برامج الاذاعة» مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ١٩٧٦/٤/١٧ .

(١٠) نفس المرجع .

(١١) مجلة الفن الاذاعى ٤٥ م ١٣ أكتوبر ١٩٦٨ ص ٦٦ .

(١٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة : حلقة الاذاعة المرئية ــ مرجع سبق ذكره ص ٤٣ .

(١٣) مجلة اليونسكو للمكتبات ع١١ م٣ ــ مايو ــ يوليو ١٩٧٣ . يوليو ١٩٧٣

(١٤) مجلة اليونسكو للمكتبات ع١١ م٣ــ مايو ـ يوليو ١٩٧٣

(١٥) جورج ديهاميل : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٥ .

(١٦) جورج ديهاميل : مرجع سبق ذكره ، ص ٩٥ .

(١٧) رابينوفتش (ترجمة صلاح جلال) : دور تبسيط العلوم فى عصر الذرة مجلة العلم والمجتمع ٥ يونيو ١٩٧١ .

(١٨) رابينوفتش (ترجمة صلاح جلال) : دور تبسيط العلوم عصر الذرة ــ مجلة العلم والمجتمع ٥ يونيو ١٩٧١ .

(١٩) رابينوفتش : دور تبسيط العلوم فى عصر الذرة ــ نفس المرجع ص ٩ .

الفصـــل الخامس

البرامج الثقافية واللغة المشتركة

نتحدث فى هذا الفصل عن البرامج الثقافية واللغة المشتركة ، لأن اللغة فى البرنامج العام وصوت العرب وغيرهما من الاذاعات وعاء الثقافة وحاملة التراث والحضارة من ناحية ، واللسان الذى تنطق به المواد والنصوص الثقافية الاذاعية من ناحية أخرى ، فضلا عن أنها القضية المحورية دائما بين دعاة القومية والمنتصرين للمحلية(١) . وعن أنها القاسم المشترك الاعظم فى جميع الاذاعات .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن دراسة العلاقة بين اللغة والتعبير الاذاعى فى البرامج الثقافية يتطلب نوعا من الاتفاق حول المصطلحات الاساسية التى يستخدمها الكثيرون دون أن يستشعروا الحاجة إلى تحديدها وضبطها ونحن نؤثر مع الدكتور عبد الحميد يونس(٢) منذ البداية أن نأخذ بالدلالات الشائعة دون أن نشغل انفسنا بمعـاجم طال العهد على تصنيفها ، دون أن نتحول عن مهمتنا فى رصد علاقة اللغة بالبرامج الثقافية إلى مهمة أخرى تتركز حول أصول الألفاظ واختلاف الدلالات(٣) .

ومن أبرز الشواهد على اتساع رقعة الخلاف بين الدلالة المعاصرة وبـين الدلالـة القاموسية القديمة مصطلح (اللغة) فنحن جميعا نتفق اليوم على أن هذا المصطلح إنما

يعنى فى المقام الأول أهم وسيلة من وسائل الاتصال بين الناس وهى « اللسان » ومع ذلك فإن اللغة كانت عند الأقدمين ترادف ما نستعمله الآن من مصطلح « اللهجة » فاللسان العربى هو اللغة العربية بالمفهوم المتسع ، وقد تبلبل هذا اللسان فاستوعب لهجات مختلفة عرفت كل واحدة منها بأنها لغة ، كأن يقال : « لغة مصر » و « لغة تميم » ... أما الآن فإننا نقول « اللغة الانجليزية » و « اللغة الفرنسية » و « اللغة العربية » ونعنى بذلك الكيان اللغوى لكل أمة من هذه الأمم على إختلاف اللهجات فى التلفظ والدلالة جميعا ، وإذا كان المعنى الخاص قد غلب على المعنى العام فيما يتصل بمصطلح اللغة ، عندما تحول من اللهجة إلى اللسان بمفهومه المتسع فإن التعبير النفسى يتطلب منا أن نستعمل الدلالة المعاصرة حين نحاول أن نستكشف علاقة الفن بالوسيلة التى يستخدمها فى تحقيق الذات وتصوير الموقف والتعبير عن قيمة انسانية عليا تتطلبها جماعة من الجماعات[٤] .ولذلك نتوقف فى هذا الفصل عند قضية اللغة والاذاعة .

الاذاعة واللغة :

والاذاعة تعمل جاهدة على توثيق الوجدان الانسانى فهى لم تظهر هذا الوجدان فقط فى مجال قومى معين محدد بلغة قومية معينة ولكنها اعانت على التمكين لهذا الوجدان وتقويته أيضا وبعد أن كانت الجماعات تعيش منبثة فى الريف والقرى وفى مدن ذات أسوار مادية ومعنوية ،حطمت الإذاعة هذه الأسوار فوجدنا أن إذاعة البرنامج العام فى مصر تتجاوز حدود الوطن المصرى إلى جميع الناطقين بالعربية ، كذلك الحال بالنسبة إلى اذاعة صوت العرب فالاذاعة عامل جوهرى هام يعمل على تقارب المجتمعات ، ولكن هذا التقارب يحدث فى نطاق معين تحدده اللغة العامة Lingua Franca لمجتمع كبير ولقومية كبيرة وطبيعى — كما يقول الدكتور يونس — « أن اللغة العامة غير اللهجات المحلية والطبقية الخاصة[٥] » .

فاذا نظرنا إلى الرباط بين الاذاعة وبين الثقافة أو بين الاذاعة وبين المجتمع وهى عامل حيوى خطير — وجدنا أنها أولا وقبل كل شىء قد أعانت من الناحية اللغوية على إظهار المفهوم الاجتماعى الصحيح للغة ، وهذا بلا شك من المهام الكبيرة التى قامت بها الاذاعة[٦] .

أما المهمة الثانية التى تتشعب عن هذه المهمة فهى أن الاذاعة باعتبارها وسيلة ديمقراطية احتفلت باللهجات الطبقية والمحلية ايضا لكى تكون الافادة منها أعم ، لأنها منتشرة فى كل مكان ، وكان صنيع الاذاعة كصنيع العرب عندما أحسوا انفسهم بعد

العصر الجاهلى وبعد اختلاطهم بغيرهم من الأقوام فلقد عرفوا اللغة بمفهومها الصحيح كما نعرفها نحن الآن .. كان العرب يحسون اللغة إحساسا فطريا ، ويقومون ألسنتهم بالتوجه إلى البادية ، ويسجلون اللهجات وما بينها من تغير ، ولم ينظروا إليها على أساس الخطأ والصواب فحسب ونحن اذا درسنا اللهجات كما يقول الدكتور يونس دراسة صحيحة « سنجد أن كثيرا مما ننظر إليه على أنه خطأ إنما هو صحيح ، فلو سمعنا مثلا أهل القاهرة أو الريف فى مصر يقولون (تسلم) أو (تكتب) بكسر التاء الأولى — فإننا نتصور أن هذا خطأ ، والصحيح (تسلم) و (تكتب) (بفتح التاء) .. وعندما نعود إلى دراسة اللهجات ، سنجد أن لهجة ما ، وهى اللهجة القيسية مثلا ، كانت تنطق هذا النطق ، فليس الأمر إذن أمر صواب أو خطأ ، إنما هو أمر توزيع اجتماعى لغوى جعل اللهجات تتوزع على هذه الصورة(٧) .

ولقد أفادت الاذاعة فى اظهار هذه اللهجات وابرازها لأن اتصالها بالناس وتوسلها باللغة جعلها تنظر إلى اللغة بهذا المفهوم الاجتماعى ولكنها ، تقرب فى الوقت نفسه بين هذه اللهجات . ولقد أصبحت الآن الاختلافات بين اللهجات المصرية بل العربية يسيرة جدا كالإدغام والإمالة وتغيير مخارج الحروف فالاذاعة تعمل على التقريب بين اللهجات بمعدل متزايد السرعة ، حتى أصبح المستمع فى القاهرة يستطيع أن يستمع من دمشق إلى تمثيلية اذاعية مثلا باللهجة السورية ويفهمها ويتذوقها ، وأصبح السورى أو العراقى ليستمع إلى تمثيلية باللهجة القاهرية أو الصعيدية ويفهمها ويتذوقها ، بل أصبحت هذه المحاولات تغلب بعض اللهجات على بعض (٨) .

ويذهب مؤرخو الفنون الجميلة إلى تتبع الطابع الذاتى فى الأشكال والمضامين وذلك للكشف عن مدى الأصالة فى الإبداع ، وهم يصنفون الفنون على أساس تاريخى جغرافى ، ويتخذون الشخصيات ، التى حفرت أسماءها فى ذاكرة الجماهير المتذوقة للفن ، معالم ترصد التحول من عصر فنى إلى عصر فنى آخر ، أو يحصرون تصورهم للنشاط الانسانى فى محيط جغرافى معين ، وقد يفسرون التغير فى الشكل والمضمون بمصطلحات هذا العلم أو ذلك من العلوم الانسانية ، والمهم أنهم لا يلتفتون إلى الفنون ، التى تصدر عن الجماعة ، وتصب فى الجماعة ، إلا بمقدار ما يؤيد نظرتهم إلى التاريخ الفنى ، أو يؤكد منهجهم فى تفسير النشاط الانسانى الذى تحتل الفنون مكان الصدارة فيه (٩).

فى موضوع عن شعراء التروبادور Les Traobadours والراديو ، يحاول «سنجريا» Cingria التعرف على ما ورثه الراديو عن شعراء التروبادور فى العصور الوسطى ، فالتروبادور ، كانوا يتغنون بقصص الحب ، ويروون الانباء ، شأنهم فى ذلك شأن الراديو تماما ، وكذلك كانوا يقدمون الاغنيات والتمثيليات القصيرة ، أما فى ايامنا ، فإن هؤلاء

الشعراء قد حل محلهم القادة والملوك فى دول العالم ورئيس الهيئة الدينية وجماعة العلماء والشعراء والفنانون التشكيليون والشخصيات البارزة(١٠) .

وتحدث سنجريا « عن نوع آخر من شعراء التروبادور «Les Achougues » الذين وجدوا فى الاقاليم الروسية ، كانوا يقومون بنفس الدور . ولقد كان الاعتماد على اللسان فى التعبير القولى فى الشرق كما كان فى مناطق أخرى من العالم ، فكان العلماء أو الوعاظ يتجولون بين مدينة وأخرى يستخدمون الصوت والتعبير القولى فى الغناء والرواية . وكان الصوت البشرى هو العروة الوثقى فى الفنون التقليدية التى عرفها الانسان ، وفى عصرنا عصر التصنيع والتفرد أو التميز ، فإن صوت الشاعر وصوت المندوب أو المراسل وصوت الراوى ، هذه الأصوات تلاحق الانسان فى كل مكان ، لأنها أصبحت تنتقل من خلال الموجات بواسطة الراديو .

ليس صحيحا ، أن نعتقد أن (الكتابة) استطاعت أو سوف يكون فى مقدورها مستقبلا أن تحل محل التعبير الصوتى فى الإعلام ، وذلك لسببين :

اولهما : أن الكلمة المكتوبة كلمة منتقاة لا تتوجه إلا إلى الذين يجيدون فك رموزها أى الذين يجيدون القراءة . فى حين أن الأمى لا يستطيع التعامل مع الكلمة المكتوبة ـ أما الكلمة المنطوقة ، فهى كلمة عالمية تسمع وتفهم من كل الناس . المثقف وغير المثقف »

وثانيهما : انسانى ، ليس فى مقدور الكلمة المكتوبة خلقه .

ان الكلمة المكتوبة ثابتة فى الوقت والمسافة وتتمتع بتأثير محدود فى المضمون بينما نجد أن الكلمة المنطوقة تنتقل من لسان إلى آخر ، ومن لسان إلى أذن ، مما يتيح لها نوعا من المرونة ، إلى أنها تفسح للخيال مجالا واسعا .

ومن الاحصاءات الحديثة التى انتهت إليها « اليونسكو » فى سبتمبر ١٩٦٧ ، يتبين أن ٤٠ ٪ من سكان البلاد الفقيرة أميون ، رغم الجهد الخارق لمحو الأمية لدى الجماهير ولذلك فمن الطبيعى أن يلجأ هذا الكم الغفير من الأميين إلى الكلمة المنطوقة أو المذاعة بالراديو (١١)

ويذكر « روبرت ديلانيفيت » De Laniguette فى « دراسته من المنطوق إلى المطبوع » أن التكنيك القديم للاذاعة قد استمر فى الوجود موازيا للتكنيك الحديث فى البلاد التى تسعى إلى النمو ، وتتعلق الوسائل التكنيكية القديمة باذاعة الاصوات وتستخدم آلات موسيقية حيث لكل منها وظيفة خاصة بها »(١٢) .

أما «Pepper» الباحث فى الموسيقى البدائية فيذهب إلى « أن البند Les Bandas يستخدمون طنبورين ، ويمكن لكل منهما أن يسمعنا صوتين مختلفين ، فيكون مجموع أصواتهما أربعة أصوات منها ثلاثة تستخدم للكلام Parles ، والرابعة للإعلام أو التنبيه » .

إن اذاعة الاخبار أوتداولها بين القبائل المتجاورة ، كما يقول ديلانيفيت أصبحت حوارا Dialogue وليست مونولوجا . وهذا الحوار يثرى موضوع الخبر المذاع « بحيث لا نصبح « أمام » خبر ، ولكننا « نعيش » فى الخبر ذاته . هذه المعايشة تصل بنا ــ اذا لم تكن الكلمة قوية ــ إلى نوع من المسرحة الاعلامية » .

فهل من الضرورى أن نذكر هنا أن هذه المسرحة الاعلامية أصبحت أسلوبا يستخدم فى الفن الاذاعى اليوم ؟

فى كتابه « الراديو فى افريقيا السوداء » يقول : على لسان الافريقيين : « إننا نصدق الراديو لأن كل ما يقدمه لنا من معلومات تقال لنا ، ولا تكتب برغبتنا ، وهذا يتفق مع مدنيتنا الافريقية التى ليست من المدنيات التى تقوم على الكتابة ، ولكنها تقوم على الكلمة المنطوقة . نحب هذا النوع من الاذاعة لأنه يتوجه إلى كل فرد منا ، وأنه ليس من المهم أن نتعلم القراءة والكتابة لنفهم الرسائل التى تصلنا » .

« ... نحب الراديو لأنه بالنسبة لنا يحل محل الرسالة المذاعة فى صخب فهو ينقل أى شىء وإلى أى مكان ، ومن جهة أخرى يستخدم وسيلة الكلمة المنطوقة » .

« .. لقد حاولنا التعرف على الصوت الذى يتكلم ، ونقول من ياترى المتحدث ؟ هل نعرفه معرفة جيدة ونراه يوميا ، ونقنع أنفسنا أن صوته جميل ، وأن له الآن قوة ، لا تجعل منه صوتا عاديا . وأن ما يقوله ليس فيه شىء من الخطأ ، وأن من الفائدة بالنسبة الينا أن نسمعه وان كنا لا نرى صاحب الصوت ، وفى ذلك شىء غامض »[١٣] .

واذا كان الراديو قد احتفظ بالنسبة للافريقى بالشىء الخفى الغامض فإن مرجع ذلك إلى التقنية الحديثة والفن الاذاعى الحديث ، حيث لا نرى المذيع ولكننا نسمعه » .

والواقع أن الحلقات الشعبية من التراث الفنى أكبر واغزر ، وربما كانت أهم من بعض الآثار الفنية ، التى اشتهر مبدعوها ، لسبب أو لآخر ، يكمن فى مقومات الابداع ، أو ينبعث من علاقة المبدعين بقمة الهرم الاجتماعى ، التى تمثل السلطة او الجاه ، أو لنزعة سلوكية عند « اصحاب القرائح المعبرة ، جعلتهم يخرجون على النموذج التقليدى

للانسان فى بيئته وعصره . ومهما يكن من شيء ، فان ما نسميه الآن بالفنون الشعبية ــ على حد تعبير الدكتور يونس ــ لايزال فى مكانه البارز من نشاط الجماعة ، يقوم بوظائف حيوية وجمالية فى وقت واحد . وهذه الفنون الرفيعة وهى التى تعطى ، فى الوقت نفسه ، الأبعاد ، التى تلتمس فيها الدلالات فى الآداب الرسمية أو الرفيعة(١٤)

ولابد أن نتذكر أن رواد النهضة الأدبية عندنا قد حاولوا أول الأمر أن يضعوا مناهج جديدة فى تاريخ الأدب ونقده وكان من أهم ما ارتكزت عليه مناهجهم(١٥) :

أولا : أن الأدب الشعبى جزء لا يتجزء من التراث القومى .
ثانيا : أن الشعر مثلا إنما تلتمس أصوله فى الغناء والرقص .

ومع ذلك فإن هؤلاء الرواد قد حاولوا تأصيل مناهجهم الجديدة ولكنهم ظلوا يعتصمون بقوالب ثابتة فى تقويم الحضارة بصفة عامة والفن بصفة خاصة مما جعلهم يستعلون على التراث الشعبى ويجعلون الثقافة مرادفة للتعليم ويحتفلون بفن الكلمة وقلما يلتفتون الى الفنون الاخرى زمنية كانت أو تشكيلية اما الآن فقد اثمرت الدراسات الانسانية الجادة تصورا مختلفا لعلاقة اللغة بمفهومها المتسع بالفن سواء كان محققا لوجود ذاتى أو اجتماعى وسواء أكان رسميا او شعبيا وهذا التصوير يرتكز بطبيعة الحال على المفهوم الجديد للثقافة الذى يستوعب معارف الانسان وخبراته ومهاراته على مدى حياته وهى محصلة لا تتحقق بتعليم القراءة والكتابة فحسب وانما تتحقق بالمحاكاة والتجربة والخطأ أو التلقين المباشر وغير المباشر(١٦) .

ولعل أهم نتيجة يستخلصها الباحث من هذا النظر الجديد الى علاقة اللغة بالفن هى تصحيح خطأ شائع فقد تعلمنا منذ نصف قرن ان الادب العربى لم يعرف التمثيل وأن الشعر بخاصة غنائى كله وقد أخذ رواد هذا الرأى عن بعض الاتجاهات العصرية التى كان من أهمها أن العقلية العربية تتسم بالتجريد وانها لاتعرف التشخيص والتجسيم والتمثيل ومن ثم افتقر فكرها الى التفسير الاسطورى كما افتقر ادبها الى القصص والتمثيل ولم تعد فى حاجة الى دحض ذلك الرأى فقد تولت الدراسات العلمية الجادة تصحيحه على اساس موضوعى لا عاطفى وحسبنا ان نميط اللثام عن حقيقة واحدة هى أن الجماعات الانسانية كلها قد مرت بالمرحلة الاسطورية وأن الشعوب العربية قد عرفت الاطوار الاولى للتعبير الدرامى وهذه الحقيقة تتضح بجلاء اذا نحن نظرنا الى اللغة الفنية فى اصلها العريق وفى وسائلها الصوتية والحركية والتشكيلية(١٧) .

ولقد مر بنا ان فن الحركة والايقاع اسبق من فن الكلمة وانه استهدف فى أوامره غايات دينية وسحرية ونفسية ومن اليسير أن نتتبع المراحل التى تحولت بهذه الفنون البدائية من البساطة الى بدايات التعقيد وان نرصد الانواع الفنية التى تجمع فى اعطافها

وسائل التعبير كلها او جلها وعلى رأس هذه الفنون بطبيعة الحال الدراما التى تتوسل بالإيماءه والإشارة والحركة والايقاع والكلمة الى جانب تشكيل المادة[١٨] .

ولم يكن المقصود من الدراما حتى فى اصلها اليونانى حكاية الـواقع للتطهـير او الترفيه وانما كانت تعنى الفعل فى عالم الواقع لم تكن تصويرا ينعكس عن أصل وانما كانت اقتناعا واقعيا من الاصل ذاته والدراما بهذه المثابه تسايرفجر الضمير الانسانى وهى من أعرق الفنون وأكثرها ارتباطا بنفسية الجماعات وهى تقترن بفن الحركة والايقاع فى المرحلة الاسطورية وبذلك يرتفع الحاجز بين الابداع والتلقى فى الطقوس والمراسيم والاعياد التى تقوم على التشخيص والتمثيل قيامها على الرموز المستخلصة من الاقنعة والازياء وسائر المواد المشكلة بالاغراض الدينية أو السحرية المنشودة[١٩] .

ولقد اقتحمت العروض الافريقية الأصيلة الباهرة مسارح العـالم شرقـا وغربـا واستطاع اكثرنا ان يشاهد باعجاب مقرون بالدهشة تلك الفنون الأفريقية التى مازالت على اصالتها وصدقها وارتباطها بالانسان الافريقى .. ومن الجلى ان تلك العروض لاتقوم ولايمكن ان تقوم بالكلمات وحدها ولاتنبض ولايمكن أن تنبض بالاشارات والحركـات والايقاعات وحدها ذلك لان المتعة الحقيقية الكاملـة لا تحصل من عنصر واحـد وانما تستخلص من جميع العناصر التى يتألف منها العـرض الفنى وقد يتفق للمشـاهد ان يستمتع بالكلمات وحدها ولكنه استمتـاع ناقص يشبـه الى حد كبـير الاكتفاء بقـراءة مسرحية تقوم بالعرض التمثيلى الفاحص اكثر جدا مما تقوم بالقراءة المستأنية يقوم بها فرد منعزل عن الجماهير يترك لخياله العنان الناقص بتمثيل النبرات وتصور الحركات وتخيل المناظر على تتابعها وتباينها[٢٠] .

واذا أردنا ان نقتطع من حياتنا الواقعية شاهدا يدل على الدراما الشعبية التى ترتبط بالطقوس والتى تقام فى المواسم الطبيعية والاجتماعية فاننا نشير الى تلك الاشكال التى تقوم على الرقص الجماعى والاغنية الجماعية فى الاعياد او الموالد او مواسم التقويم فى التحول من فصل الى فصل ... هذه الاغانى والرقصـات فيها مـا يمكن ان نطلق عليه مصطلح الادوار التمثيلية ويقوم بها الرجال والنساء لتشخيص الحياة الانسـانية من ناحية وحياة الحيوان من ناحية أخرى بل أنها تعمل على تشخيص الحياة والجمادات او الاطياف او الارواح ويستطيع المشاهد الاجنبى ان يلاحظ فى يسر أن الذين يقومون بتلك الادوار يتقمصون روحه او يلبسون شخصه والممثلون يعون انهم يخرجون عن ذواتهم الى ذوات اخرى ومن الطبيعى ان يدفعهم هذا التحول الى استخدام الاقنعة أو الطلاء يدهنون به وجوههم واجسامهم أو اصطناع صور أو ادوات أو مواد لها عندهم مصطلحات رمزية والجماهير التى تدرك ان تلك المشاهد الدرامية جزء من تقاليدها وتراثها تقف منها احد موقفين تبعا لوظيفة المشهد ومكانه من الشعيرة او التقليد او العرف فهى إما ان تندمج فيه

وتدخل في إطاره حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من المشهد الدرامي نفسه واما ان تكتفي بالمشاهدة التي تستحدث عندها لـذة تقترب من النشـوة العارمـة الموقف الاول يطلب للمنفعة ويقوم بشعيرة او ممارسة سحرية والموقف الثاني يطلب تفريغ شحنة الشعور من توتر الواقع المذكور والتطلع الى غد اسعد وأرحب ولا تزال حفـلات الربيـع والصيف وعروض الرقص التنكري وما اليه وسيلة الجماهير للبحث عن واقع نفسي واجتماعي ابعد من واقعهم العملي[٢١] .

وكل ناقد فني يستهدف تقويم الدراما كما يتصورها مجتمعنا المعاصر لا يستطيع ان يتجاهل ان التعابير الجديدة في اشكالها المستحدثة ومضامينها المبتدعة ليست الا تطورا لمادة غنية قديمة بل موغلة في القدم وذلك لان الصيغ والدلالات الاسطورية العريقة وان أخلت مكانها الى تعابير جديدة فإن علاقتها ووظائفها لا تزال كما كانت في العالم القديم ولا تزال كما هي في الممارسة الشعبية في جميع انحاء العالم[٢٢] .

إن الجماعات الانسانية تستجيب لمختلف الظـواهر الطبيعيـة والتحول من حـالة اجتماعية الى اخرى وهذا فصل الربيع قد تختلف صور الاحتفال به بين شعب وآخر ولكن الرموز والدلالات والوظائف واحدة والناس في كل مكان على الارض يحتفلون بالخصب بتواصل الحياة بالغرس والحصاد بالمطر والفيضان الموسمي .. بالزواج بالميلاد الخ .. قد ننسى أوزوريس (وارتميس وديانا) ولكننا جميعا نحتفل بالطبيعة والانسان كمـا كان يحتفل اسلافنا من قبل والبعد الدرامي الذي يكسب اللغة الفنية حركة وتنوعا وتأثيرا لا يلتمس في تلك الاحتفالات الطقوسية أو الموسمية وحدها وانمـا ايضا في تلـك العادات والتقاليد التي لها أصولها السحرية والتي تستهدف حماية الانسان والحيوان والنبات من الآفات والاوصاب ولا يزال الفلاح في ارياقنا بل لا يزال الفلاح في ربوع آسيا وأفريقيا وأوربا والامريكتين يمارس طقوسا غير معقولة ورثها من عصور قديمة موغلة في القدم وهذه الحفلات الصاخبة الكثيرة المتنوعة في اعياد الطبيعة والطقوس السحرية وشبه السحرية التي يعتصم بها الفلاحون الى الآن لها قوامها الدرامي الواضح الذي يستوعب الكلمة والايماءة والايقاع والمادة المشكلة جميعا[٢٣] .

ومنذ اكثر من قرن والعلماء المتخصصون في الدراسـات الانسانيـة يعكفون عـلى تسجيل العلاقة الوثيقة بين المأثور الشعبي او الفولكلور من جهة وبين الادب والفنون من جهة اخرى وليس هناك من يجهل المدرسة الانجليزية الانثروبولوجية التي اصلت منهجها في القرن الماضي والتي لاتزال مـلاحظاتهـا واحكامهـا محل تقـدير الـدارسين واعجابهم الى الآن ومن المنتمين لهذه المدرسة متخصصون في الآداب الكلاسكية اليونانية واللاتينية ومع ذلك فقد شغلوا انفسهم بالكشف عن العناصر البدائية التي يستوعبها سلوك الانسان المتحضر والتي ترتكز عليها ايضا تعابيره الادبية والفنية وما تنتظمه من

شعائر لاتزال كامنة فى كثير من مظاهر حياتنا وضروب سلوكنا وبذلك اتضحت للدارسين والنقاد الدعامة الكبرى التى يقوم عليها التعبير الفنى المعاصر وهى الشعائر التى انبثقت منها الفنون على اختلاف انواعها واشكالها ولغاتها واثمرت هذه المناهج مدرسة نقدية لاتفسر الاشكال والمضامين بمعايير المؤثرات البيئية والنوازع الفنية وانما تفسرها بمعايير مستخلصة من التراث الذى لايزال حيا ومؤثرا فى علاقات الناس ووجوه نشاطهم وابرازها بانتزاع البقاء بالتعبير الفنى(٢٤) .

وهناك سؤال لم تعد الإجابه عليه عسيرة كما كانت عند علماء الإنسان القديم فى القرن الماضى وهذا السؤال هو : كيف تفسر التشابه بل التماثل والتطابق بين شعائر تباعدت بينها البيئات والعصور ولقد احتدم الخلاف بين العلماء حتى انقسموا إلى قسمين متناظرين يرى أحدهما أن هناك أصلا واحدا انتشرت عنه تلك الشعائر وأن هذا هو التفسير الوحيد للتشابه والتماثل بين الشعائر والممارسات البدائية التى استمرت به فعالة فى كنف الحضارات التاريخية ويذهب الفريق الثانى إلى أن وجوه التماثل إنما جاءت نتيجة للتماثل فى الظروف التى تمليها بيئة ثقافية فى مرحلة بذاتها من مراحل التطور وأخذ كل فريق يؤيد وجهة نظره بما سجله الرحالة وما استنتجه العلماء من مختلف الملاحظات ولم يعد أحد من الدارسين يعنى بتلك المناظرة أو يؤثر فريقا على فريق ذلك لأن المهم الآن هو الحقيقة الواضحة التى لا خلاف حولها وهى أن التغير فى حياة الإنسان فردا كان أو جماعة لا يستحدث انسلاخا كاملا عن الماضى القريب أو البعيد وإنما يعنى تطور الأساليب والعلاقات وهو التطور الذى يتبع التغيير من الاحتفاظ بعناصر قابلة للبقاء من الماضى أو التراث وعندما يحاول مؤرخ الحضارة أن يوحد بيئة بعينها أو عصرالبعينه يجد فى الحلقات الشعبية الحية ما يوضح المضامين الثقافية للوحدة الإنسانية التى يدرسها واللغة الفنية من أبرز وسائل التطوير فى حياة الإنسان لما تتسم به من القدرة على التغير ومن الاحتفاظ بالأصالة فى وقت واحد واذا اختلفت اللغات الفنية باختلاف وسائل التغيير فإنها تتفق فى المصدر والسياق التاريخى والوظيفة حيوية كانت أو جمالية بيد أن استقلال كل وسيلة عن الشعيرة القديمة المتكاملة قد جعل اللغة الفنية بمدلولها الشامل كما تتشعب اللغة اللسانية إلى لهجات لهجة تتوسل بالكتلة أو اللون والخط ولهجة تتوسل بالكلمة وثالثة تتوسل بالصوت واللحن ورابعة تتوسل بالحركة أو الإشارة ومن هذا كله تخضع لهجات اللغة الفنية لقانون واحد فى أطرها العامه ومسارها الثقافى وتشترك فى مقومات رئيسية جعلت مصطلحات هذه اللهجة يمكن أن تستخدم فى الحكم على لهجة أخرى وتقريبها فنحن نستعمل مصطلح الإيقاع فى فنون التشكيل كما نستعمله فى فنون الحركة والتمثيل وتستخدم ألفاظا تدل على البناء أو التركيب فيها جميعها وقد نتوسل بأحد مصطلحات الحركة لوزن الشعر وتقعيد موسيقاه(٢٥) .

وقبل أن نتخلص من هذا العرض لما بين (اللهجات الفنية) من وحدة نرى لزاما علينا أن نجيب على سؤال لا يزال مطروحا أمام الدارسين والنقاد وهذا السؤال هو « اذا كانت الفنون تصدر عن لغة واحدة أو أصل لغوى واحد تنتظمه حركات الجسم الإنسانى فهل من الممكن الآن ترجمة أثر فنى يصطنع وسيلة خاصة به إلى أثر فنى آخر ؟ ولكى نكون أكثر وضوحا فاننا نتساءل : هل من الممكن أن نترجم قصيدة من الشعر تقوم على الكلام المنظوم إلى تمثال صيغ من مادة صلبه ملموسة أو ما نريد أن ندخل فى الاختلافات الكثيرة التى أثمرتها المدارس الفنية المختلفة بل يكفينا أن نذكر حقيقتين تبدوان متعارضتين :

الأولى : أن اللغة الفنية لا تقوم بذاتها وإنما تقوم بجهد خاص يشكلها بأسلوب خاص ومن العسير تبعا لذلك أن تنقل خصوصية الجهد والاسلوب إلى مجال آخر وهذا الرأى يصدر عن النظر الذاتى للفنان ويجعله الأصل الأول والأخير فى تشكيل اللغة الفنية ، ومن الآخذين بهذا النظر من يلتمس خصوصية التجربة أو الموقف الإنسانى عند هؤلاء الأفراد ولا يمكن أن تتكرر التجربة أو الموقف مهما امتص من عناصر الحياة المعاصرة أو الماضية لا يتكرران بتفاصيلها أو أماراتها .

الثانية : تذهب إلى أن الفن وسيلة حيوية وهامة من وسائل الاتصال بين النص واللغة الفنية وليست نشاطا فرديا مقصورا على مبدعيه أو منشئيه أو صاغته ولكنه يستهدف فى المقام الأول انتزاع البقاء من عوامل الاضمحلال والذبول ويستهدف فى المقام الثانى نقل خبرة انسانية وشعور انسانى إلى آخرين وأصحاب الرأى الأول يذهبون إلى أن ترجمة أثر فنى إلى شكل آخر بوسيلة أخرى أو لهجة أخرى لا يمكن أن يتحقق والمرء نفسه لا يستطيع أن يترجم أثرا من آثاره إلى لغة فنية أخرى فالشاعر مثلا يستحيل عليه أن يلخص قصيدته فى كتله مشكلة أو صورة تقوم على الخط واللون وأصحاب المذهب الثانى يرون أن هذا النقل ممكن ولكن بشروط فلابد أن يكون الناقل من أصحاب المواهب الفنية أولا وأن يستكمل دراسة الأثر الذى يريد أن ينقله ثانيا ولقد ظهرت فى حياتنا المعاصرة وسائل تدوين أو تسجيل جديدة تمهد إلى اللغة الفنية وحدتها من ناحية وقدرتها على النقلة من لهجة فنية إلى لهجة أخرى فقد ظهر الراديو الذى أعاد إلى اللسان مكانته وأكد أن الكتابة التى كدنا نستغنى بها عن التلفظ المجهور ليست إلا وسيلة تعسفية لنقل المسموع إلى منظور وأعاد تمثله مسموعا بتلك المصطلحات الخطية وظهرت الصورة المتحركة التى خلصت تسجيل المنظر من التلخيص والتكبير إلى حكاية السياق الواقعى ، وازدهر هذا التسجيل بالقدرة على التركيز والتصغير والإسراع والإبطاء والتلوين واقترن اللسان بالصورة وظهر التليفزيون وكاد المسطح الناطق يتحول إلى منظور مجسم متحرك ومتكلم فى وقت واحد وبهذه الوساطة الجديدة فى التسجيل مع ازدهار الطباعة الآلية

السؤال

أصبح السؤال مطروحا هل من الممكن أن يترجم التمثال إلى قصيدة أو تترجم الرواية إلى مسرحية أو تمثيلية سينمائية أو تليفزيونية(٢٦) .

وما لنا نذهب بعيدا والحياة تختبر وسائلها ووسائطها بلا انقطاع وقد برز فى عالم الفنون والآداب اسلوب الترجمة من وسيلة فنية إلى أخرى ومن الشواهد الناطقة على قيمة هذه التجارب تحويل بعض الروايات إلى مسامع اذاعية بعد أن كثر تحويلها إلى مسرحيات وليس من شك فى أن النقاد التفتوا إلى الفروق بين الأصل وبين الترجمة التفتوا إليها كما يقول الدكتور يونس فى الأثر الذى يستخدمه الشكل الجديد بالقياس إلى القديم ، يصلها النظارة من شكل قام على التصور أو التمثل الخيالى وذلك لأن القصة المدونة تقوم بالقراءة ومهما كانت قدرة الألفاظ على التصوير والمحاكاة فإنها من غير شك تعجز عن الوفاء بالتفاصيل والتقنيات الخاصة بطاقة المسرح ، والصورة المتحركة الناطقة هى الفيصل الحقيقى فى اقتراب الترجمة الفنية من الأصل وما يوحيه من وقائع ومسامع ومشاهد(٢٧) .

المادة الخام فى البرامج الثقافية : الكلمة :

تقع الكلمة المنطوقة فى قلب التجربة الاذاعية ، ولقد حدث أن أصبح « الأدب » يعنى شيئا منفصلا تماما عن الصوت .. شيئا يعيش على صفحات الورق ومن السهل أن ننسى أن عددا كبيرا من الأعمال الأدبية الخلاقة العظيمة فى العالم تمثلها الناس بروح مناقضة لذلك تماما ، أى باعتبارها شيئا منطوقا(٢٨) .

لقد كان موليير ينصح الناس بقوة ألا يقرءوا مسرحياته وأن يشاهدوها وهى تمثل .. نصيحة بسيطة ، ومع ذلك فهى صعبة التطبيق ، وقد يبدو من التهور حتى بالنسبة لها — أن يصدر الإنسان حكما موسيقيا بناء على مجرد قراءته للنوتة الموسيقية لإحدى المعزوفات ، كذلك فإن من الصعب تحديد المغزى الحقيقى لمعظم الكلمات ، تماما مثلما نجد من الصعب تحديد معنى اية علامة أو نبرة موسيقية منعزلة ، ولكن من سوء الحظ أن كل كلمة وأية كلمة يمكن للانسان أن يقرأها وأن يكسوها بنوع ما من المعانى ما دامت الكلمات هى العملة المتداولة ، ومادام من الممكن وضع تعريف لكل منها(٢٩) .

ويقصد بالمادة الكلامية كل ما تقدمه الاذاعة من الكلمة المنطوقة دون — استخدام أى من الفنون الإذاعية الأخرى سواء كانت خلفية موسيقية أو مؤثرات صوتية أو فواصل ترفيهية وغيرها . وتتحدد أساليب الكلمة المنطوقة وتتخذ أشكالا متباينة منها الحديث الذى يلقيه متحدث واحد ، والحوار بين أكثر من متحدث ، والندوة التى تجمع عددا من المتخصصين فى مجال معين ، ومنها أيضا الأسئلة والأجوبة .

وتواجه الكلمة المنطوقة منافسات تتزايد مع تطور الفنون الإذاعية شأنها شأن الكلمة المطبوعة التى تنافسها أساليب أخرى تتصدرها الصورة . على أن الكلمة المنطوقة ظلت رغم ذلك سيدة الموقف ، ولعل ذلك يرجع إلى أنها فى أكثر الحالات أداة اتصال طبيعى ، وأن المستمع يستقبل فيها مضمونها صافيا دون أن تضرفه عنه محسنات منافسة وقد واجهت إدارة الإحصاء بهيئة الاذاعة المصرية صعوبة فى عزل المادة الكلامية عن غيرها وتصنيفها فى مصنف واحد إذ كثيرا ما تتداخل فى برامج تتضمن فنونا اذاعية أخرى وفى حدود المستطاع حددت المادة الكلامية بالآتى :

١ ـ البرامج الاعلامية وتشمل النشرات الإخبارية والتعليقات السياسية والرسائل السياسية .

٢ ـ البرامج التعليمية عامة .

٣ ـ الأحاديث والندوات والقصة والرياضة والعلوم من البرامج الثقافية .

٤ ـ الأحاديث الدينية والفتاوى .

٥ ـ ٥٠ ٪ من برامج الخدمات .

٦ ـ ٥٠ ٪ من البرامج الخاصة .

٧ ـ وقد حددت نسبة الـ ٥٠ ٪ من برامج الخدمات والبرامج الخاصة استنادا إلى دراسة تجريبية انتهت إلى أن حوالى نصف هذه البرامج تقريبا تكونه مادة كلامية وفق التعريف الإجرائى الذى أشار إليه البحث . وفى هذه الحدود حصرت ساعات إرسال المادة الكلامية التى قدمت خلال عام ٧٠ / ١٩٧١ من الإذعات المحلية فبلغت ٤٣ق ٩٧٣٤ت بنسبة ٢١,٧٦٪ من إجمالى ارسال تلك الاذعات أى بما يقل عن الربع .

ومن هذا البحث يتضح أن نسبة المادة الكلامية فى البرنامج العام ٢٨,٣٨٪ وصوت العرب ٢٦,٢٩٪ والبرنامج العام وصوت العرب من حيث نسبة المادة الكلامية يقترب منهما البرنامج الثانى الثقافى ٢٥,١٣٪ مما يشير إلى أهمية المادة الكلامية فى البرامج الثقافية التى تغطى المجالات العلمية والأدبية والفنية حتى يفيد الإنسان العربى والمصرى من الثقافة بكل ما فيها من تجارب وتيارات جديدة ، وربطة بالثقافات المحلية والعالمية وإحياء التراث القديم .

على أن لغة الإذاعة لا تتمثل فى الكلمة المنطوقة فحسب ، وإنما فى الموسيقى والمؤثرات الصوتية ، وذلك أن التركيبة الصوتية فى الراديو تؤثر على الوجدان بطريقة مماثلة لتأثير الموسيقى .. ويذهب « ما كوينى » إلى أن أى شكل من أشكال الفن التى تعيش فى الزمن لابد يعتنى بالشكل الموسيقى . إن الأذن لاتستطيع أن تحتمل الاستماع إلى مجرد كلمات تنقل المعلومات ويظل المحاضر شخصا مملا إن لم يهتم بتقويع ما يحمل

حديثه من عوامل الحيوية ، وسرعان ما يتحول الكلام البحت إلى شيء لا معنى له ، لأن كلمات بلا « ريتم » وبلا تنوع فى الإيقاع وبلا شكل محدد للعبارات وبلا أداء منسق على أساس من الحاسة الموسيقية للشخص الذى ينطقها سرعان ما يصبح لها وقع الرصاص الثقيل على عقل المستمع[٣٠] .

وفى ختام حديثه عن التجربة الإذاعية يقول دونالد ما كوينى « كثيرا ما قيل » إن لم ينقل البرنامج الإذاعى موضوعه كاملا وبوضوح عند سماعه مرة واحدة فهو برنـامج فاشل قد يكون فى هذا الرأى بعض الصحة إلا أنه لو ساد لدل ذلك منطقيا على أحـد أمرين :

إما أن الإذاعة المسموعة مجرد وسيلة بدائية لنقل ما هو أبيض أو ما هو أسود دون أن يكون لها القدرة على نقل مستويات من المعانى أكثر عمقا ، أو أن المستمـع يتمتع بإدراك يفوق الطاقة البشرية . وقد نشأ اعتقاد سائد بوجود التمسك بوجهة النظر هذه فضلا عن أن هناك اتجاها يقاوم الاعتقاد بوجود أية قيمة في أي شيء لا نستطيع لمسه باليد ، حتى الكتاب ـ الذى يسمح لنا بأن نعود إلى صفحاته السابقة لنلقى النظرة على فقرة صعبة فيه ـ قد يوصف على الفور بأنه « غامض » إذا لم تكن رسـالته واضحـة وضوح الشمس . إن أى عمل فنى لا رسالة له ليس جديرا بتسميته عملا فنيا[٣١] وهناك دلائل على بعض المستمعين يعتبرون تكرار اذاعة أى برنامج إهانة لذكائهم ، ولا تجرؤ على تصور المصير الذى يمكن أن يلقاه بعض المستمعين على يد معارفهم لأنهم يشعرون بميل إلى سماع « بستان الكرز » مرتين !![٣٢] .

ومن المؤكد أنه لا عودة إلى الوراء فى الإذاعة المسموعة فالعمل المذاع ابن اللحظة ويتلاشى بمجرد سماعه ، فاذا كانت للنص اثلاذاغي قيمة خاصة مع وجود مخرج جيد يرشد « عين » العقل إلى أعماق لا يتوقعها ـ فأن العمل المذاع يتطلب تركيزا وانتباها إيجابيا ، ولا يساوى هنا بين الجودة والتعقيد ولكن ماكوينى يؤكد على أن التعرف على أية تجربة ذات قيمة فنية تستحق الوجود كما يعتقد أنه كلما ازداد مضمون العمل الفنى عمقا ازدادت حاجتنا إلى دراسته دراسة أدق وذلك مثلما تعود مرة أخرى إلى لوحة مرسومة أو إلى معزوفة موسيقية لتكتشف فيها آفاقا جديدة وظلالا جديدة من المعانى .

ومما يرثى له أن الاذاعة تبلغ حدا كبيرا من « السهولة » ادى إلى نمو مقاييس زائفة للقيم وافترض المستمعون انه ما دام العمل المذاع لا يتسم بالسهولة فمن المحتم فى هذه الحالة ان يكون غامضا ومدعى علم ومتخبطا دون هدف وغالبا ما يحدث هذا ، إلا أن افضل الاعمال الإبداعية فى أية وسيلة تتطلب انتباها واعيا لا مجرد قلق سطحى خال من التفكير[٣٢] .

ونخلص من ذلك إلى أن أى عمل فنى إبداعى فى الراديو أو التليفزيون يستشير ولا يصف ، فهو لا يستطيع أن يقدم مجرد المظهر المادى للأمور ولا التجربة الاجتماعية للمسرح ، ان ما يقدمه هذا العمل اقرب بكثير إلى ما يحدث فى اكثر انواع القراءة للنفس ابداعا : تجربة شخصية معاشة باعماق النفس ومرئية ببصيرة داخلية . إلى أى مدى ينجح العمل الفنى الاذاعى فى تحقيق ذلك ؟ هذا امر لا حدود لمداه .. يقول (ادوارد ساكفيل ويست) : « الحقيقة أن الراديوا اكثر قابلية من المسرح والشاشة لانه يقدم درجات اكبر من الاعداد الدرامى نظراً للمرونة القصوى التى تتمتع بها وسيلة الاذاعة وقدراتها الواسعة النطاق على الايحاء المبدع .. حتى الحديث المباشر يتضمن عنصرا دراميا ينشأ عن تركيز الصنع على شخصية المتحدث غير المرئى كما ينشأ عن شكل الحديث إلى نهايته(٣٤) .

لغة البرامج الثقافية : وصوت
فى البرنامج العام وصت العرب :

اذا كانت الاذاعة تقدم نشراتها الاخبارية فى لغة عربية فصحى مفهومة من جانب المستمع ، فلماذا لا تقدم جميع برامجها بالفصحى ؟ لقد كانت الاذاعة المصرية منذ انشائها فى ١٩٣٤ وحتى عام ١٩٤٠ تقدم برامجها بالفصحى وفى الاربعينات تسللت العامية حتى سيطرت أخيرا على معظم البرامج فى هذه الأيام ، فى الوقت الذى كانت فيه نسبة الامية مرتفعة فى الثلاثينات وما بعدها(٣٥) .

ولم تكن البرامج فقط هى التى تقدم بالفصحى بل إن الاغانى ايضا كانت بالفصحى ويذكر الاستاذ على عيسى تجربة منذ سنوات قدم فيها البرنامج العام رواية كليوباترا التى كانت مقررة على طلبة الثانوية العامة . ويقول « تعجب اذا علمت ان اطفالى كانوا فى ذلك الوقت ما بين العاشرة والحادية عشرة وكانوا يفهمون كل أحداث التمثيلية» كما قدم البرنامج العام تجربة أخرى فى العام الماضى وهى برنامج « انك لعلى خلق عظيم » وكان البرنامج بالفصحى . اما البرامج الثقافية فانها تقدم بالفصحى(٣٦)

وليس المقصود بالفصحى هنا ـ فصحى التراث السلفية ـ ولكن المقصود بها اللغة المشتركة ـ لغة الاتصال بالجماهير ، التى تبنتها الصحافة أول الأمر ـ بعيدة عن تقعر فصحى التراث وغرابتها من ناحية وعن الوقوع فى أسر العاميات واللهجات المحلية من ناحية أخرى ـ ثم آزرتها وسائل الاتصال السمعى والمرئى بالجماهير ، الأكثر حداثة وهى الإذاعة والسينما والتليفزيون ، وهذه اللغة المشتركة تكشف عن ملاءمة لغتنا العربية لاحتياجات العصر الحديث ومتطلباته ، وتحقق نفاذها الأوسع والأكثر انتشارا إلى جماهير

المستمعين عبر أقطار الوطن العربى ، مجتازة حدود المتعلمين والأميين معا[٣٧] ، وأصبحت بذلك اللسان الذى يحقق المعادلة الصعبة بين القومية والمحلية فى اللغة عبر إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب .

وعلى صعيد التطبيق ، فقد أصبحت هذه اللغة تتسم بالتخلص من العبارات والكليشيهات المحفوظة والمتوارثة ، وألوان الزينة اللفظية والتأنقات البلاغية التقليدية ، متجهة إلى تحقيق بلاغة عصرنا من نوع جديد يتمثل فى المباشرة والتحديد والمرونة والعمق والقدرة على الحركة ومراعاة مستويات المستمعين واحتياجاتهم ، وأصبحت هذه اللغة تمثل الوسط المشروع الذى لابد أن يراعيه كل إذاعى يتوجه بالمادة الإذاعية (خبرا كان أو تعليقا أو برنامجا ثقافيا أو تمثيليا أو منوعا) إلى جمهور المستمعين ، لا يصدر عنه ولا يهبط دونه ، ولم يعد السؤال المطروح ؛ الفصحى أم العامية ، لكنه أصبح : لغة اتصال ناجحة أم لا ، لغة تحتفظ بالمقومات الرئيسية للفصحى وتتسع مع ذلك — للمسات والألوان والظلال الخاصة بالعاميات واللهجات المحلية ، وتخلق من كليهما وسطا لغويا متناغما أساسه الوحدة والتنوع معا[٣٨] .

واذا كانت هذه اللغة المشتركة ضرورة فى البرنامج العام فهى ألزم فى صوت العرب لأن هذه اللغة المشتركة تجمع بين ابناء الأمة العربية التى يتوجه إليها صوت العرب ، وبالتالى فهى وسيلة الاتصال المفهومة لدى الجماهير العربية مهما كانت درجة ثقافتها أو تعليمها .

ومن اجل ذلك تعتمد معظم البرامج فى صوت العرب ومن بينها البرامج الثقافية على الفصحى ، بل إن التمثيلية الإذاعية تقدم منذ عام ١٩٧٧ بالفصحى ٥٠ ٪ ويصرح مدير صوت العرب بأنه يأمل أن ترتفع النسبة خلال عام ١٩٧٨ إلى ١٠٠ ٪[٣٩] .

وقد كتب الأستاذ أنيس منصور يحبذ هذا الاتجاه يقول :

« تستحق اذاعة صوت العرب » عظيم التقدير والاحترام لأنها قررت أن تكون لغتها العربية الفصحى فى كل برامجها بعد أن تفشت العامية أو العربية المكسرة فى البرامج الأخرى والتليفزيون . وهى محاولة غير مقصودة لأن تكون لدينا لغتان العربية ولغة أخرى هى تشويه اللغة العربية والذى يحاوله صوت العرب ونجح فيه ، هو ما يجب أن تفعله كل الإذاعات العربية – أقصد الإذاعات المصرية الناطقة باللغة العربية . وكل البرامج العربية فى الإذاعات البريطانية والأمريكية والروسية واليهودية ناطقة باللغة العربية تعيش حولنا وليس عندنا . وهو عيب ليس له ما يبرره إلا التراخى والإهمال .. ولو اننا انتبهنا إلى كلامنا العادى نحن كمثقفين لوجدناه عربيا سليما ، لا ينقصه إلا

علامات التشكيل . وبشيء قليل جدا من الضبط ، تصبح لغتنا عربيـة فصحى واللغة الوسط بين الفصحى والعامية هى لغة الصحف فهى سهلة العبارة ، قليلة المفردات . ولذلك كانت الصحف مفهومه عند كل الفئات والطبقات . إذن ليس الواحد منا فى حاجة إلى مجهود كبير لكى تتحول اللغة العربية السهلة على السنتنا إلى لغة عربية فصيحة » .

« والناس تنتظر من الإذاعة والتليفزيون » النموذج الحسن . ونحن نحرص على أن يكون المذيع حسن الصوت واضح الكلمات . أى أن يكون مانيكانا لغويا وصوتيا فنقتدى به صغارا وكبارا . ولكن اذا وجدنا المذيع أو المتحدث أو الضيف أمام الميكروفون أو على الشاشة يستخف باللغة العربية فليس على الناس إلا أن يفعلوا نفس الشيء ... متوهمين أن هذه هى الصورة المثلى للكلام والحديث ومن هنا كانت غلطة المذيع فـادحة وغلطـة المذيعين والمتحدثين معه وباء يجب أن نتقيه » .

« اما من اين نبدأ تعليم اللغة العربية واحترامها وحرصنا عليها ، فلنبدأ من أى مكان .. من الإذاعة من المدرسة من الصحف والمجلات من الندوات المهم أن نبدأ بصورة مركزة ومستمرة أما النتائج فمؤكدة وسوف تجيء على مهل لأن تقويم اللسان العوج يحتاج إلى وقت وصبر وتشجيع . ولذلك كانت سعادتى عظيمة بأن للعرب صوتا قريبا فصيحا ينطلق من القاهرة[٤٠]» .

إن استعمال الفصحى المشتركة فى البرامج الثقافية بخاصة ، أمر أساسى لتحديد معالم لغة الإذاعة العربية بعامة ، سيما وأن اللهجة العامية فى أى قطر عربى ليست إلا عربية محرفة ، دخلتها الفاظ وتراكيب أجنبية بحسب التأثيرات التى تعرض لها كل قطر عربى على حدة ، وان التحريف فى العامية ليس مطردا وليس واحدا فهو يختلف من قطر إلى قطر ، ويختلف فى الأسرة الواحدة حسب الأجيال التى ينتمى إليها أفراد الأسرة ، طبقا لعامل التغير الذى يعترى اللهجات العامية بصورة ظاهرة سريعة[٤١] .

وتتفاوت مظاهر الاختلاف فى هذه البيئات ، فهى مثلا تقل فى الأسرة الواحدة ، وتبلغ أشدها بين قطر وقطر إلى درجة يتعذر معها أن يتفاهم ابناء قطر واحد مع ابناء الأقطار الأخرى سواء عن طريق التخاطب أم عن طريق الكتابة . وهذا يتضح فى بعض الأمثلة التى تستخدم فيها اللهجات العامية من بلاد عربية مختلفـة ، فالمثـال الأول للعاميـة الجزائرية يقول :

« الودواد والسنوافة : واحد النهار هما زوج متاع الناس ، خطوا للسوق باش بشروا عودة ، صابوا راجل ودواد يبيع فى عودة ، ساوموها منه ، قالوا أشجال تسوى العودة ، قال لهم اعطوا خم خم خم ، قال الواحد لصاحبوا يا نمشوا ، ما يجى يوصل للسين غير اذا كنا شرينا عودة أخرى ، ومشو فى حالهم[٤٢] » .

فاذا ترجمت هذه القطعة العامية إلى العربية الفصحى ، وجدناها تعنى حكاية تدور بين تاجر لا يحسن النطق وبين الزبائن الذين يساومونه فذات يوم ذهب الرجلان إلى السوق ليشتريا فرسا ، فصادفا هذا التاجر يبيع فرسا ، فسألاه عن ثمن الفرس ، فقال لهم خم خم خم . فقال أحدهم لصاحبه : هيا نمشى ، لأننا سنكون قد اشترينا فرسا أخرى قبل أن يصل إلى حرف السين ، فهل يمكن لعربى فى خارج الجزائر أن يفهم هذا الكلام العامى بغير الاستعانة بمترجم وكأن الحكاية مكتوبة بلغة أجنبية غير العربية(٤٣) .

وهذه الصعوبة نفسها تنشأ عندما نقرأ فى احدى القصص السودانية المعاصرة جزءا من حوار بالعامية السودانية ، يقول :

« جال : سيخ السوج وين جـ جال ليهو الوليد أحمد يا هو ، ومضو رجال ليهو : أى يا أسطى . جال : السوج أصلو خلاص براهو مرج من يدى من آيام ؛ الرازج كله الله . إنى ما دير افشاك ، يلاك يا عثمان نشيف منعم ، ما تجيف كدى فى خشم الباب وتكورك(٤٤) » .

هذا الكلام أيضا لا يستطيع عربى خارج السودان أن يفهمه إلا بعد الترجمة إلى العربية الفصحى وهى :

قال : أين شيخ السوق ، قال له الوليد أحمد : هذا هو ، قال متصور له : نعم يا معلم قال : إن السوق قد أفلت من يدى منذ أيام ، الرازق هو الله . أنا لا أريد زيارتك ، هيا بنا يا عثمان نرى منعم ، لا تقف هكذا فى فتحة الباب وتكثر من الكلام(٤٥)

وهكذا لو أردنا أمثلة مختلفة من شتى الأقطار العربية مستقاة من لهجاتهم العامية ، فاننا سوف نصادف صعوبة بالغة فى فهمها ، مما يعرقل إلى حد بعيد التفاهم الذى ينبغى ان يكون موجوداً بين ابناء الامة العربية الواحدة ، وهذا التفاهم هو الأساس فى لغة الإذاعة العربية بعامة وفى لغة صوت العرب بخاصة ، لأن صوت العرب اذاعة موجهة إلى منطقة واحدة متجانسة التاريخ والأهداف والعقيدة واللغة الفصحى وهى المنطقة العربية .

فإذاعة صوت العرب تعتبر ناطقة باسم العالم العربى فهى تتبنى قضاياه وتتابع نشاطاته وانجازاته أى أنها تتحدث إليه فقط بقدر ما تأخذ منه وتعطيه « ولذلك ترتفع صوت العرب بموضوعاتها إلى المستوى القومى بنسبة ٥٠ ٪ وأحيانا ٧٥ ٪ فهى النسبة الغالبة فى كل الأحوال وهى ملتزمة بتقديمها لأن مصر بلد عربى أولا ولأن هذه المواد تجد الشعبية المطلوبة فى البلاد العربية ثانيا(٤٦) . ولذلك فإن صوت العرب حين ترسل بالفصحى المشتركة ، ولايترسل بإحدى العاميات ، فان ذلك يرجع إلى أن العاميات عامل

انقطاع بين العرب فى الوقت الحاضر بحيث لا يفهم قطر لهجة قطر آخر كما تبين مما سبق ، كما انها عامل انقطاع بيننا وبين تراثنا العربى ، وهو تراث كان له دور كبير فى بناء الثقافة الانسانية ، وفى تاريخ العلوم الحديثة باعتراف الغربيين انفسهم فقد استطاع العرب الاوائل بعد عصر الفتوحات أن يتمثلوا حضارات الامم القديمة وان يضيفوا اليها من ابداعهم وعبقريتهم فى كل المجالات ، مما جعل ثقافتهم وعلومهم ركيزة للتقدم الانسانى فى العصور الوسطى(٤٧) .

كانت مؤلفاتهم العلمية فى الطب والرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والزراعة ... من المراجع الاساسية عند الغربيين ، وكانت تدرس فى جامعاتهم حتى وقت قريب ، فكتابات ابن سينا فى الطب كما يقول لوبون ـ لم يكف اساتذة جامعة مونبليه بفرنسا عن شرحها الا منذ خمسين عاما فقط(٤٨) .

وكانت مؤلفاتهم الادبية ايضا من شعر ونثر ، لها اثر واضح فى الآداب الغربية فى القرون الوسطى اعترف به مؤرخو تلك الآداب ، وفى ذلك يقول جب : « لعل خير ما اسدته الآداب الاسلامية لآداب أوروبا ، أنها اثرت بثقافتها وفكرها العربى فى شعر ونثر العصور الوسطى(٤٩) » .

وتأسيسا على ذلك ، فإن القول بأن الفصحى هى اللغة الاتصالية فى الاذاعة بوجه عام وفى البرامج الثقافية بخاصة ، فى البرنامج العام أو صوت العرب ، قول يقوم على اساس أن الفصحى قد اثبتت قدرتها على تناول شتى العلوم فى الماضى وهى فى سبيل الاتساع لها فى الحاضر كما انها اثبتت قدرتها على التعبير عن اسس العواطف والمشاعر الانسانية ولا يستطيع أحد أن ينكر ما فى أدبها من حكم وزهديات وغزل عذرى عفيف(٥٠) .

أما العامية فإنها لا تقوى على أن تكون لغة للعلم والادب ، لانها لا تقوم على قواعد وأصول مكتوبة ، وليس لها نحو خاص ، فالأمر فيها متروك لأذواق الناس وأهوائهم ، وان ما بذله بعض المستشرقين من دعاة العامية فى سبيل ايجاد قواعد للعامية قد أكد استحالة وضع هذه القواعد لا بالنسبة للهجات الاقطار العربية المختلفة فحسب وإنما بالنسبة للهجة القطر الواحد ، ولذلك رأينا بعضهم وهو يحاول وضع قواعد للهجة المصرية ، لم يجاوز اللهجة القاهرية وحدها ، وبذلك لم يصل الى شىء مما كان يرجوه . وليست استحالة وضع قواعد للعامية قاصرة على ما بين لهجاتها من اختلافات ، بل لما يطرأ عليها من تغير سريع ، مما جعل ما يكتب بها اليوم فى بلد من البلاد غير مفهوم لأهل هذا البلد بعد سنوات .

ملخص :

وهكذا يمكن القول أن الفصحى المشتركة هى الوسيلة الوحيدة التى تؤدى بها البرامج الثقافية دورها ، لا نقول ذلك على أساس اعتبارات دينية أو عاطفية أو تاريخية فحسب ، ولكن لما لها من أصول راسخة وتجارب واسعة فى مختلف أساليب التعبير اكتسبتها فى تاريخها الطويل حيث يمكن أن تستوعب حقائق العلوم فى العصر الحديث ، كما وسعتها فى ماضيها البعيد ، كما أن أدبها الفصيح يقوم بدور كبير فى بعث الروح القومية وإذكائها ، بينما نجد الأدب العامى يرتبط بالقوميات المحلية مما يؤدى الى انحلال عرى الثقافة العربية[٥١] .

وقد تحدثنا فى هذا الفصل عن البرامج الثقافية واللغة المشتركة على اعتبار : ـ

أ ـ ان اللغة هى القاسم المشترك الأعظم بين جميع الاذاعات بعامة وبين البرامج الثقافية بخاصة .

ب ـ ان اللغة المشتركة هى وسيلة الاتصال الاذاعى بين البلاد العربية فضلا عن أنها القضية المحورية بين دعاة القومية والمنتصرين للمحلية .

جـ ـ ان اللغة المشتركة فى الاذاعة تجاوزت حدود الوطن المصرى إلى جميع الناطقين بالعربية ، وهى لذلك عامل جوهرى يعمل على تقارب المجتمعات فى نطاق معين تحدده اللغة القومية العامة .

د ـ ان الاذاعة اعانت على إظهار المفهوم الاجتماعى الصحيح للغة .

هـ ـ ليس المقصود هنا ـ فصحى التراث السلفية ـ ولكن المقصود بها لغة الاتصال بالجماهير التى تكشف عن ملائمة لغتنا العربية لاحتياجات العصر الحديث ومتطلباته .

وقد تبين أن صوت العرب يعتمد على الفصحى المشتركة نتيجة لتوجهه إلى الجمهور العربى فى البرامج الثقافية أكثر من اعتماد البرنامج العام على الفصحى .

الهوامش

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة القاهرة : ١٩٧٢/٥/١١/٦ ص ٢٠٧ (المرجع السابق)
(٢) د . عبد الحميد يونس : اللغة الفنية مجلة عالم الفكر . الكويت ١٣ م٢ .
(٣) نفس المرجع . يونس
(٤) د . عبد الحميد «اللغة الفنية» مجلة عالم الفكر . الكويت ع١ م٢
(٥) د . عبد الحميد يونس اللغة الفنية مجلة عالم الفكر . الكويت ع ط م٢
(٦) فن الاذاعة ص ١٥ مرجع سبق ذكره.
(٧) فن الاذاعة ص ١٦ ـ مرجع سبق ذكره .
(٨) نفس المرجع ص ١٦ .
(٩) الدكتور عبد الحميد يونس : اللغة الفنية جـ مرجع سبق ذكره ص ٣٨
(١٠) C.A.Cingria, Les Trobadaurs et la Radio d'echo, paris 1947, p. 1923
(١١) Cherif Khazndar, Tradition orale et Radio dans, Tardieu , op cit. p. 93
(١٢) Revue de paris, decembre 1955, p.64
(١٣) Afriqu-Monde, Ed. Saint-Paul, 1903, p. 192
(١٤) الدكتور عبد الحميد يونس : اللغة الفنية مرجع سبق ص ٣٨ وما بعدها .
(١٥) المرجع نفسه ص ٣٨ .
(١٦) المرجع نفسه ص ٣٩ .
(١٧) المرجع نفسه ص ٣٩ .
(١٨) المرجع نفسه ص ٣٩ .
(١٩) المرجع نفسه ص ٣٩ .
(٢٠) المرجع نفسه ص ٤٠ .
(٢١) المرجع نفسه ص ٤٠ .

(٢٢) المرجع نفسه ص ٤٠ .
(٢٣) المرجع نفسه ص ٤١ .
(٢٤) المرجع نفسه ص ٤١ .
(٢٥) المرجع نفسه ص ٤٢ .
(٢٦) المرجع نفسه ص ٤٢ .
(٢٧) المرجع نفسه ص ٤٣ .
(٢٨) دونالد ماكوينى : فن الراديو ـ الفن الاذاعى ع[٣٨] م[١١] فى يناير ١٩٦٧
(٢٩) المرجع نفسه ، ص ١٥ .
(٣٠) نفس المرجع ص ٣٠ .
(٣١) نفس المرجع ص ٣٠ .
(٣٢) المرجع نفسه ص ٣١ .
(٣٣) المرجع نفسه ص ٣١ .
(٣٤) المرجع نفسه ص ٣١ .
(٣٥) مجلة الاذاعة والتليفزيون : فى ١٩٧٦/٥/٢٢ .
(٣٦) مجلة الاذاعة والتليفزيون : فى ١٩٧٦/٥/٢٢ .
(٣٧) المنظمة العربية للتربية والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع ـ مرجع سبق ذكر ص ٢٠٩ .
(٣٨) نفس المرجع ص ٢٠٩ .
(٣٩) مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ١٩٧٦/٥/٢٢ .
(٤٠) فى جريدة الأهرام فى أول نوفمبر ١٩٧٧ .
(٤١) المنظمة العربية للتربية والثقافة مؤتمر الوحدة والتنوع ـ مرجع سبق ذكره ص ١١٢ وما بعدها .
(٤٢) مجلة المشرق ٥ ، ١٩ ـ السنة ٣٣ ع[٣]ه[١٢٧] فى المرجع السابق ص ١١٢ .
(٤٣) نفس المرجع ص ١١٢ .
(٤٤) اسحاق ابراهيم اسحاق . قصة اعمال الليل والبلدة : الخرطوم ١٩٧٠ .
(٤٥) مجلة الاذاعة والتليفزيون فى ٣ ابريل ١٩٧٦ .
(٤٦) نفس المرجع .
(٤٧) المنظمة العربية للتربية والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع ـ المرجع السابق ص ١١٣ .
(٤٨) جوستاف لوبون : حضارة العرب (القاهرة ـ المكتبة العصرية ـ ١٩٤٥) ص ٥٨
(٤٩) هاملتون جب : تراث الاسلام ص ١٨٩ ـ ١٠ .
(٥٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة : المرجع السابق ص ١١٤ .
(٥١) المرجع نفسه ص ١١٦ .

الفصل السادس

البرامج الثقافية بين الأدب والفنون والعلوم

نتحدث فى هذا الفصل والفصول التالية عن تنوع المادة الثقافية والموضوعات التى تقدمها البرامج الثقافية فى شتى ألوان الثقافة والعلم والإنسانيات تأسيسا على التعريف الذى ذهب اليه البحث للبرامج الثقافية ، وانها مجموعة البرامج التى تتعرض بشكل مباشر للانشطة المتصلة بالآداب والنقد الأدبى والدراسات الأدبية والفنون التشكيلية والمسرح والعلوم والدراسات الإنسانية وما إلى ذلك وإن كان هذا التقسيم الاصطلاحى يستبعد الدراما والموسيقى الجادة والتعليم ، فإن هذه المواد من المكونات الأساسية فى التكوين الثقافى للفرد ، والواقع أن كل برامج الاذاعة يمكن أن يكون لها أثر فى التكوين الثقافى للفرد والمجموعة بطريق مباشر أو غير مباشر .

وقد يتصل الأثر بمجرد إضافة معلومات ، أو خلق اتجاه جديد ، أو إضعاف اتجاه قديم ، أو المعاونة على خلق وجهة نظر محددة جديدة ، أو متحولة من وجهة نظر أخرى ، وقد يكون فى خلق قيمة جديدة أو تدعيمها أو الإضعاف من قيمة قديمة أو التحول عنها .. وقد يتمثل الأثر فى تعديل سلوك قائم أو العدول عنه إلى سلوك جديد .. وهذا كله ما يعرف باتجاهات التأثير .. » .

ولذلك نتناول بالترتيب :

التكامل بين الاذاعة وأجهزة الثقافة والفنون كالمسرح والسينما ، والفنون التشكيلية كما نتناول تنمية الوعى القرائى من خلال البرامج الثقافية ، ثم نناقش دور الاذاعة فى مواجهة العوز الثقافى من خلال التكامل بينها وبين أجهزة الثقافة الأخرى .

ثم نتناول : الادب والبرامج الثقافية والدور الذى تقوم به البرامج الثقافية فى نشر الأدب وتذوقه ، كما يتحدث عن الأدب الاذاعى والقصة والأدب الدرامى ، والبرامج الخاصة .

ونتناول أخيرا : البرامج الثقافية وتبسيط العلوم : حيث نتحدث عن دور البرامج الثقافية فى التقريب بين أصحاب الثقافتين العلمية والأدبية عن طريق تبسيط العلوم وضرورة تبسيط العلوم فى الدول العصرية .

البرامج الثقافية بين الآدب والفنون والعلوم

نتحدث فى هذا الفصل عن التكامل بين الاذاعة وأجهزة الثقافة وذلك أن المؤسسات الثقافية فى ظل الحضارة العربية (المساجد ودور الحكمة والمدارس والمكتبات) كان لها أثر كبير فى بناء ثقافة الأمة العربية ، غير أن هذه المؤسسات تراجعت عن دورها بفعل الاستعمار وأثر الظروف التى مرت بأقطار الوطن العربى ولما بدأ التعليم فى العصر الحديث عنى فى أغلب الأمر بالإعداد الوظيفى والمهنى للطالب ، وأدت الضغوط الكمية والظروف الاقتصادية إلى قصور الخدمات التعليمية عن استيعاب مهمة التثقيف بصورة متكاملة ، فضلا عن ظهور وسائل اتصال ومؤسسات ثقافية جديدة لا تستطيع أجهزة التعليم وحدها ــ مهما بلغت إمكاناتها أن تستوعبها[١] .

وقد قرر اعلان حقوق الإنسان حق الثقافة مقترنا بحق التعليم ، ولعل ظروف الوطن العربى وضغوط أعباء الخدمات التعليمية والثقافية ، وقصور الموارد والإمكانات فى حالات كثيرة يدعو إلى التنسيق والتكامل بين الأجهزة المسئولة عن التعليم والثقافة وتجميع مواردها وتنسيق خططها ، تحقيقا لأكبر عائد ثقافى فى حدود الامكانيات المتاحة[٢] .

ومن هنا كانت قضية التكامل من القضايا الأساسية فى التخطيط للبرامج الثقافية بالاذاعة المسموعة وفى تنفيذ هذه البرامج لأن ظاهرة التخطيط العلمى فى العصر الحديث تتطلب بالضرورة التكامل والتنسيق وتجميع كل الامكانيات فى إطار خطة شاملة .

اولا : البرامج الثقافية والفنون :

يمثل مجال الفنون أرضا واسعة خصبة للتكامل بين الاذاعة وأجهزة الثقافة الأخرى بحكم ترابط الفنون العربية التقليدية ووحدتها ، وتشابه الظروف التى وفدت فيها الفنون الحديثة إلى المجتمع العربى ، وبحكم تقارب المشكلات والعقبات التى تواجه هذه الفنون وتعوقها عن تأدية دورها الكامل فى إغناء وجدان الجماهير العربية .

١ - الاذاعة والمسرح :

اذا كانت فنون الأدب والموسيقى والفنون التشكيلية تلعب دورا هاما فى تكوين الذوق العام ، فتؤثر بالتالى على تشكيل الرأى العام ، فإن هذه الفنون تتلاقى على خشبة المسرح .. إن المسرح يحتاج إلى الكلمة والحركة والصوت والتشكيل جميعا ، بل هو يستعين بفنون الإضاءة وعلم الصوتيات فى كثير من جوانبه[٣] .

والمسرح عامة — والمسرح العربى خاصة — يرتبط بعلاقات متنوعة الجوانب والأهداف ببقية المؤسسات الثقافية العاملة فى المجتمع ، مما يحتاج معه إلى دراسة مختلف جوانب هذه العلاقات وتدعيمها ، وسنكتفى هنا بدراسة علاقة المسرح بالاذاعة وبرامجها الثقافية موضوع البحث .

فالمسرح بالنسبة للاذاعة المسموعة عند قيامها بدور الوسيط الثقافى مصدر ثقافى وفن جماهيرى متمم لدورها فى الحياة الثقافية . وقد رأينا فيما تقدم أن « البرنامج العام » يخصص برنامجا للمسرح بعنوان « أضواء المسرح » فى حين يخصص صوت العرب برنامجا بعنوان « عالم المسرح » .

ويقتضينا هذا أن ندعو إلى تدعيم هذين البرنامجين لتقديم الانتاج الثقافى الرفيع سواء كان محليا أم عالميا مترجما على أن يكون للمسرحيات والأبحاث المسرحية نصيب واضح من فترة البرنامج حتى يمكن توصيل المعارف الفكرية والفنية إلى مستمعى المدن والقرى البعيدة عن العواصم ومراكز الاشعاع الفنى . سيما وأن التدفق المسرحى لا يتم عبر القنوات الموصلة للجماهير فما يزال « حزام العوز الثقافى » ان جاز هذا التعبير يقف حائلا أمام هذا التدفق فى الأقاليم ، ذلك أن النشاط المسرحى فى مصر ، قد تعرض للكثير من الاضطراب ، واختلفت مساهمة الدولة فى هذا النشاط باختلاف الفترات التاريخية ، وباختلاف وجهات النظر حول ما يترك للقطاع الخاص وما يضطلع به القطاع العام[٤] .

وذلك فى الوقت الذى يمكن للمسرح ان يستخدم كأداة للاتصال بالجماهير لتثقيفها وتهذيبها من غير اعتماد على القراءة والكتابة[٥] .

ومن خلال الاحصاءات يبين ان الحركة المسرحية فى مصر ضيقة اكثر من اللازم ، لأن رقعة الجماهير التى ينبغى ان يتصل بها واسعة ، وهنا يغدو دور الراديو فى توسيع هذه الرقعة اساسيا ، حيث يشيع بين غالبية فقيرة أمية تجهل مبادىء القراءة والكتابة الامر الذى يقتضى ان يكون الراديو مواصلة رئيسية تحل محل الاجهزة التثقيفية الاخرى التى تعجز تلك الغالبية عن استيعابها . والمسرح — كما يقول فاجنر هو « فن الفنون » لانه يعتمد فى تكوين وجوده على معطيات الفنون الاخرى كالادب والتمثيل ، والتصوير ، والموسيقى ، والعمارة ، وذلك بالاضافة الى جمعه لعنصرى الزمان والمكان اللذين يمكن ان يتميز بأحدهما فن دون آخر . كما ينفرد المسرح بتميز خاص لا يتاح لغيره من الفنون الاخرى ، وهو أن المتفرج لايستهلك العرض المسرحي وحده — كما يفعل مستهلك القطعة الادبية أو اللوحة مثلا وانما يشارك غيره الرؤية والاستماع فى نفس الوقت . وبجماهيرية المسرح — شبه الحتمية - والتى لا تتم صورة العرض المسرحي المتكامل ، يصبح المسرح الى جانب امتاعه الترفيهى — من أهم الاجهزة التعليمية والتثقيفية[٦] .

ويتضاعف الدور الاجتماعي للمسرح عندما يتصل بالاجهزة التثقفية الاخرى كى يسخرها لاغراضه سواء بالسلب أو الايجاب ، وعلى هذا تصبح الاهمية مركبة ، لان رقعة الجماهير التى يتصل بها تتسع . فقد يتحدد تأثير المسرح الحى المباشر بزمانه ومكانه ، ولكن يترامى مداه ويعمق ان هو اقام علاقات دبلوماسية صحيحة مع المؤسسات الثقافية ووسائل الاتصال الجماهيرية الاخرى .

وعلى ذلك فان برامج المسرح فى الاذاعة (صوت العرب والبرنامج العام) ينبغى أن تعمل على :

١ — الارتفاع بمستوى الانتاج الفنى على اختلاف فروعه حتى يصل الى مستوى رفيع ممتاز يجعل لثقافتنا وزنا عالمياً .

٢ — أن تصل ما بين هذا الانتاج الممتاز واكبر عدد من ابناء الشعب وان تضمن اطراد الزيادة فى هذا العدد مستقبلا حتى يصل الى الجماهير العريضة .

٣ — أن تقدم الى المواطنين صورة امينة متكاملة للانتاج العالمى فى هذه المجالات لتصل ما بين الثقافة القومية والثقافة العالمية وصلا مستمرا .

٤ — أن تؤدى دورها الثقافى فى الوطن العربى ، فتمد نشاطها الى اقطار هذا الوطن باعتبار أن الثقافة هى الدعامة الاولى للوحدة القومية .

٥ — أن تتيح للاعمال الممتازة لديها فرصة الطواف فى العالم لتعلن عن ثقافتنا القومية ولتكسب هذا الوطن احتراما فى نظر الشعوب الاخرى .

٦ — أن يشتمل الانتاج على مضمون انسانى يشارك فى المرحلة الحالية مشاركة حقيقة فى بناء هذا الشعب وفى تأصيل القيم الحضارية الصحيحة .

وتمثل هذه المهام الثقافية للمسرح ، تغيير النظرة اليه كنتيجة طبيعية لارتفاع وعى الجماهير من ناحية ، والارتفاع بمستوى فن التمثيل من ناحية اخرى ، وتقدم فنون المسرح والسينما بشكل عام ، وارتباطها بحياة الناس ومشكلاتهم الواقعية ، تحاول — فى نماذجها الناضجة — الاسهام فى بناء حياتنا الجديدة بنقد السلبيات والانحرافات ودعم القيم الايجابية الشريفة ، بعد ان كانت تكاد تكتفى بالتسلية والإثارة والإضحاك بوسائل أقرب للترخيص والتهريج والتبذل منها للفن الناضج(٧) .

فبالنسبة للمسرح ، أنشأت وزارة الثقافة فى بداية الامر عام ١٩٦٠ مؤسسة عامة لفنون المسرح والموسيقى ، ودعمت مسرح العرائس بالفنانين التشكيليين وبنصوص وضعها كبار الكتاب ، حتى فاز المسرح فى عام ١٩٦٠ بالجائزة الثانية فى مهرجان بوخارست العالمى .

كما انشأت الوزارة عام ١٩٦١ مسرح الجيب لتقدم عليه التجارب الطليعية ، ولكى يتيح للباحثين المتخصصين فرص الدراسة والمناقشة من اجل فتح آفاق جديدة امام العمل المسرحى . وقدمت للفرق الحرة معونات مالية ومسارح تؤجرها لها بايجار رمزى .

ومن المسلم به أن هناك علاقة درامية بين المسرح والاذاعة ولذلك فان برامج المسرح فى صوت العرب والبرنامج العام ينبغى ان تحرص على متابعة الحركة المسرحية العربية ، وتطويرها وتسليط الاضواء على أهم الانشطة المسرحية .

٢ — الاذاعة والسينما :

اصبحت السينما أداة فعالة فى نشر المعرفة وتطوير الفكر والذوق ، وهى بقدر ما تؤدى دورا كوسيلة ترفيهية تستطيع ان تنهض بدور ايجابى فى المجال الثقافى ، والى هذا ينبغى ان تتجه معظم طاقاتها ومواردها ولهذا فان السينما الناشئة فى الوطن العربى مطالبة بأن تكون فى خدمة الثقافة .

وفى إحصاء اليونسكو ١٩٧١ فضلا عن إنتاج الافلام الطويلة فى سنوات ١٩٦٠ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٨ ، ١٩٧٠ ، والاحصائية تثبت عن إنتاج هذه السنوات الحقائق التالية :—

مصر انتجت ٦٤ فيلما فى سنة ١٩٦٨ وفيلمين مشتركين وغفلت الاحصائية عن ذكر انتاج ١٩٦٩ و ١٩٧٠ . اما الانتاج العربى فان الاحصائية اثبتت ما يلى :

الجزائر أنتجت ٥ افلام سنة ١٩٦٥ وفيلما واحدا مشتركا و٣ افلام فى سنة ١٩٦٨ ولم تذكر الاحصائية شيئا عن بقية السنوات .

لبنان أنتجت ٥ افلام سنة ١٩٦٠ و ١٥ سنة ١٩٦٥ وستة افلام فى كل من سنتى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ .

تونس انتجت ٧ افلام سنة ١٩٦٨ و ٣ افلام سنة ١٩٦٩ .

وقد تناول هذا الاحصاء ٤٨ دولة منتجة للافلام الطويلة ، يعتبر الانتاج المصرى الخامس عشر بينها ، وهو بهذا يحتل مكانة من حيث الكم يمكن اعتباره طيبا نسبيا .

واذا اعتبرنا أن قدرة مصر على الانتاج تصل الى ٥٠ فيلما فى العام بمتوسط اسبوعين لكل عرض يعرض فيه الفيلم الواحد فمعنى هذا أن مصر تحتاج ليدور كل فيلم دورة كاملة على مدى عام كامل الى ٢٥ دار عرض مختلفة وموزعة توزيعا جغرافيا عادلا ، ليستكمل الفيلم الواحد دورة كاملة طوال العام .. إذن فستحتاج مصر إلى ١٢٥٠ دار عرض . هذا بالنسبة لدور العرض ولو افترضنا أن متوسط مقاعد كل دار هو قرابة ألف وخمسمائة مقعد فإنا نستطيع فى هذه الحالة أن نوفر للفيلم المصرى قرابة مليونين من المقاعد تستقبل رواد السينما . كما أن دار العرض نفسها التى ستشغل بعرض هذا الإنتاج طوال العام على امتداد خمسة وعشرين أسبوعاً تحتاج إلى ٢٥ فيلما لتشغيل ببقية أسابيع العام ، وسيكون لها أن تختار بين عرض أفلام سبق إنتاجها فى أعوام سابقة بنسبة معينة ، واستيراد أفلام من الخارج ، هذه هى الصورة التى تراها الدراسة ، لكن النظرة الواقعية مختلفة عن هذا التصور ، فبالعودة إلى الإحصاء سنرى أنه أثبت أعداد دور العرض فى الدول المختلفة مستبعدا الدور التى يقل عملها عن ستة شهور على الأقل فى العام ، وفى هذا الإحصاء استبعدت الدور الصيفية فى مصر . ويقول الإحصاء : « إن فى مصر سنة ١٩٦٩ - (١٦٥) دارا لعرض الأفلام مقاس ٣٥ مم ، ودارين لعرض الأفلام مقاس ١٦ مم ، فيها ١٥٠,٢٠٠ مقعد ».

ومعنى هذا أن هناك ٤,٦ مقاعد الكل الف مواطن ، وأن قرابة ستين مليونا يدخلون السينما فى مصر كل عام ، وفقا لإحصاء ١٩٦٩ وأن ذلك يعنى أن كل مواطن يدخل السينما أقل قليلاً من مرتين فى العام .

وتقتضى هذه النظرة بالضرورة أن تسهم الاذاعة بانتشارها الواسع فى وصل المستمع الذى لا يجد مكانا فى دور العرض بالإنتاج السينمائى ، وقد رأينا أن البرنامج العام يخصص برنامجا أسبوعيا لقصة أحد الأفلام ونعنى برنامج « من الشاشة إلى الميكروفون » كما يخصص صوت العرب برنامجا أسبوعيا هو «سينمائيات » ، وهذه البرامج تستهدف فى إطار البرامج الثقافية نشر الثقافة السينمائية بين مختلف طبقات الشعب ، وخاصة فى الريف حيث لا يجد المواطن فى القرية وسيلة للتثقيف غير الراديو الذى ساهم فى خلق برامج متعددة عن السينما وإبراز مختلف الأفلام بطرق متعددة ونشرها بشتى الطرق البرامجية بين المواطنين ، كما أن الراديو فى نفس الوقت استطاع أن ينشر الثقافة السينمائية بين مختلف الدول العربية عن واقع البرامج السينمائية التى

ينقلها صوت العرب كما انه إلى جانب نشر الأفلام عن طريق الاذاعة هناك برامج أخرى تستضيف النجوم السينمائيين مثل برنامج « فنون » وبرنامج « لقاء الفن » فى البرنامج العام ، وبرنامج « قصاقيص » و « سهر الأحد » فى صوت العرب ، وتلقى هذه البرامج الأضواء على النجوم السينمائيين ، وعن طريق اللقاءات المستمرة معهم استطاع المستمع باختلاف ثقافاته أن يعرف الكثير عن هذا الممثل أو المنتج أو المخرج واستطاع أن يكون على علم بما يجرى عن تطور فى السينما المصرية والعربية .

وفى بحث أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة حول آراء الجمهور المصرى فى الأفلام السينمائية (العوامل التى تجذبه إليها أو تصرفه عنها) . تبين أن ٧٦٣ مشاهدا بنسبة ٤٨,١ ٪ يسمعون برامج السينما بالاذاعة وترتفع النسبة بين غير المتزوجين وصغار السن ، كما اتضح أن ٩٥٠ مشاهدا بنسبة ٥٩,٩ ٪ تسمع الأفلام التى تذيعها الاذاعة وترتفع النسبة بين غير المتزوجين وصغار السن والمتعلمين . وأجاب ٧١٠ مشاهدا بنسبة ٧٤,٨ ٪ بأنهم لو سمعوا فيلما فى الاذاعة واعجبهم يشجعهم هذا على مشاهدته بالسينما ، دون علاقة فارقة فى حالة المتغيرات المختلفة وقد احتلت الاذاعة المرئية المرتبة الأولى بين وسائل الاعلام التى يستمع إليها المشاهدون للسينما حيث بلغت نسبتهم ٩٣,٧ ٪ ، وكانت نسبة الذين يستمعون للبرامج السينمائية فى الراديو من غير مشاهدى السينما ٨١,٩ ٪ .

وقد أثبت البحث أن وسائل الاتصال الجماهيرى تؤثر فى بعضها البعض وتنشطها به فالمشاهد للسينما اكثر تعاملا مع وسائل الاعلام من غير المشاهدين وأكثر هذه الوسائل تأثيرا فى السينما هى : الاذاعة والتليفزيون مع ملاحظة أن التليفزيون يمثل منافسا واضحا للسينما ويؤثر فى سلوك التردد عليها . وتجدر الاشارة إلى أن السينما تمثل المرتبة الثالثة بين وسائل الإتصال المصرية بعد الاذاعة والتليفزيون وقبل المسرح ، وهذا يتطلب من السينما وضع ذلك فى الاعتبار ، حتى يتسنى لها القيام بدورها الاجتماعى والثقافى .

فالسينما كغيرها من المكتشفات الآلية الحديثة ، يمكن أن تنفع الانسان ، كما يمكن أن تضره ، وذلك على حد تعبير الدكتور مندور ـ لأن الآلة « لا عقل لها بطبيعتها ولا قلب ولا ضمير حتى قال المفكرون « ان العلم من الممكن دائما أن تسترقه اسلابه » فبالرغم من أن العلم يصدر عن أسمى ملكة يمكلها الانسان وهى العقل ، الا أننا كثيرا ما نرى مكتشفات تستخدم ضد الانسان بدلا من أن تستخدم فى خدمته ، وتسخير قوى الطبيعة ونزواتها لمصالحه .

الاذاعة والموسيقى :

نظرا لوجود وعى موسيقى عند المستمع الأول للراديو فى بداية حياته — وإذا كان يختلف من شخص إلى آخر — فإن البرامج الأولى كانت زاخرة بالألوان الموسيقية إرضاء للمستمع ، بل إن بعض المستمعين أطلق على جهاز الاستقبال اسم « صندوق الموسيقى » وان دل هذا على شىء فإنما يدل على اهتمام المستمع بالموسيقى وإحساسه بها . ان دافيد سرنوف نفسه الذى يعتبر من الإذاعيين الأوائل حين فكر فى إنتاج أجهزة الاستقبال بكمية كبيرة أطلق عليها هذا الاسم بما له من إيحاء حتى تلقى رواجا بين الجمهور(٨) .

ولقد أصبحت الموسيقى بفضل الراديو على صلة بالملايين من المستمعين ولم تعد قاصرة على الطبقة القادرة على ارتياد الحفلات الموسيقية أو على سكان المدن التى تتوفر فيها وسائل الاستماع إلى الموسيقى .

وبالرغم من النجاح الكبير الذى تلاقيه البرامج الموسيقية فقد وجد بالتجربة أنه من المتعذر إرضاء جميع المستمعين ، ولذلك تسعى الإذاعة إلى التعرف على رغبات المستمع وتحقيقها عن طريق تقديم الموسيقى فى :

١ — برامج تجمع بين الترفيه والثقافية .
٢ — برامج ترفيهية .
٣ — برامج ثقافية .

وستقتصر المؤلفة هنا بالإشارة إلى الموسيقى التى تقدمها البرامج الثقافية حيث يجب تحقيق مستوى فنى عال يتطلب ثقافة موسيقية رفيعة مع مراعاة أن هذه البرامج لا تستهدف التعليم ، فالفرق كبير بين التعليم والتثقيف(٩) . وأن ما يصلح للتقديم فى قاعات المعاهد الموسيقية لا يصلح بأى حال من الأحوال لتقديمه فى برنامج موسيقى اذاعى وأن المادة الكلامية فى البرامج الموسيقية (الشرح والتعليق) هى فى الواقع مادة مساعدة مهمتها توضيح الأعمال الموسيقية المقدمة .

يجد مقدم البرامج الموسيقية الثقافية فى الموسيقى العالمية وفى بعض الأعمال الموسيقية المحلية والشعبية ثروة فنية كبرى عليه أن يختار من بينها مواد برنامجية الموسيقى وتشكل كثرة هذه المؤلفات أول صعوبة تواجه مقدم البرنامج فعليه أن يختار المؤلف الموسيقى الذى يريد تقديمه من بين مئات المؤلفات الموسيقية المماثلة بل إنه يجد نفسه فى نفس المشكل عندما يختار التسجيل الموسيقى للعمل الذى اختاره فشركات الاسطوانات تغرق السوق أسبوعيا بآلاف التسجيلات الموسيقية وكل عمل موسيقى له أكثر من تسجيل عليه أن يختار الأفضل من بينها وهذه صعوبة لاشك فيها .

ويمكن عرض وتقديم المؤلف الموسيقى فى أكثر من برنامج ، ذلك أن الغرض الأساسى من البرنامج الموسيقى هو تقديم العمل الموسيقى نفسه وأن الشرح والتعليق وعنوان البرنامج كل هذه الأشياء هى وسائل تؤدى للغرض الأساسى وهو تقديم العمل الموسيقى وأن الذى يتغير فى كل مرة هو الشرح والتعليق فقط .

فاذا وقع اختيارنا على السمفونية الخامسة للموسيقار لودفيج فان بتهوفن لتقديمها فبرنامج موسيقى يمكن أن يقدمها فى البرامج التالية :

اولا : الموسيقى السمفونية :

ويكون التعليق والشرح على السمفونى وطريقة صياغتها وتطورها وما أحدثه بتهوفن فى هذا اللون من الموسيقى من تطور .

ثانيا : بتهوفن :

ويكون التعليق والشرح عن حياة بتهوفن .

ثالثا : اوركسترات عالمية :

ويكون التعليق والشرح عن الأوركسترا الذى يقدم السمفونى .

رابعا : اشهر قادة الاوركسترا :

ويكون التعليق والشرح عن حياة المايسترو الذى يتولى قيادة ـــ الاوركسترا .

خامسا : التقويم الموسيقى :

يكون الشرح والتعليق فى هذا البرنامج عن تاريخ تقديم السمفونية أو تاريخ ميلاد أو وفاة كل من المؤلف أو المايسترو الذى يتولى قيادة الاوركسترا أو تاريخ تكوين الاوركسترا يتولى عزف السمفونية .

هذه بعض البرامج التى يمكن أن تكون السمفونية الخامسة للموسيقار لودفيج فان بتهوفن المادة الأساسية فيها ويمكن بطبيعة الحال عرض هذه السمفونية فى عدة برامج أخرى وكلما كثر عدد البرامج التى يقدم فيها المؤلف الموسيقى كان ذلك أفضل فانه يتيح للمستمعين فرصا أكثر لاعادة الاستماع إلى المؤلف الموسيقى ويمكنه من تذوقه أكثر .

ويعتقد البعض أن الدراسة التحليلية للاعمال الموسيقية تقلل من مقدار تذوق المستمع لها اذ يشعر انها مجرد عرض لمهارة المؤلف الفنية وأنها مجرد صناعة لا اكثر ولا اقل وتفقد الموسيقى كثيرا من قيمتها الروحية وفى الحقيقة ان الآراء لا زالت مختلفة حول هذا الموضوع ولكن لابد للمستمع المثقف من الالمام بطريقة بناء القوالب الموسيقية وتفهم

بناء كل مؤلف والاختلاف بين المؤلفات الموسيقية من جهة الصياغة وان خلق جيل من المستمعين الناضجين يعادل خلق جيل من الموسيقيين المحترفين .

وتصلح المواد الموسيقية التى تختار من بين الاوبرات العالمية ومن بين موسيقى الباليه للتقديم فى البرامج التى تجمع بين الترفيه والثقافة اكثر من صلاحيتها للتقديم فى البرامج الثقافية الخالصة . وان كان يمكن تقديم مختارات من الاوبرات العالمية أو البرامج الثقافية وذلك بعد عمل المقارنة الفنية بين المشاهد المشتركة فى الاوبرات وطريقة معالجة المؤلفين لها أما مجرد تقديم اغانى الاوبرا ومناسبتها وتاريخ تقديمها فأنسب للبرامج الترفيهية والثقافية .

والموسيقى التصويرية تصلح للتقديم فى البرامج الثقافية . وفى البرامج التى تجمع بين الثقافة والترفيه ففى النوع الاول يركز التعليق والشرح على اسلوب المؤلف وطريقة كتابته للاوركسترا وغير ذلك من النواحى الفنية اما فى البرامج التى تجمع بين الثقافة والترفيه فيكون التعليق اكثر عن الموضوع الذى تصوره فقط مراعاة عرضه فى اسلوب مبسط .

كما أن تقديم تاريخ التطور الموسيقى فى العصور المختلفة وعرض اسلوب مختلف المدارس الموسيقية يعتبر من أهم مواد البرامج الموسيقية الثقافية فمثل هذه البرامج تتيح للمستمع فرصا كثيرة للاستماع الى مختلف الالوان الموسيقية مع الشرح المناسب الذى يعين المستمع على تفهم اسلوب المؤلفين المشهورين وماأحدثوه بأعمالهم من تطور فى فن الموسيقى .

وقد لوحظ فى البرامج الموسيقية الثقافية أن صوت العرب يختص بها أكثر من البرنامج العام . ولكن لوحظ ايضا أن صوت العرب يعنى بالثقافة الموسيقية العربية . وتقترح الباحثة تخصيص برامج للموسيقى العربية ، تعنى فيها بتقديم التراث الموسيقى العربى مع شرح وتحليل يعتمد على الدراسات العلمية ، وتذكر الباحثة هنا كتاب « مصادر الموسيقى العربية » الذى ألفه هنرى جورج فارمر وترجمه الدكتور حسين نصار[١٠] ، والذى قسم الموسيقى العربية الى أربعة مذاهب واضحة وهى :

١ ـ المدرسة العربية القديمة .

٢ ـ شراح المدرسة الاغريقية .

٣ ـ المدرسة المنهجية .

٤ ـ المدرسة الحديثة .

ويقول الدكتور نصار إن هذا اللون من الكتب حول الموسيقى العربية له أهميته الكبيرة ، إذ إنه الخطوة الاولى التى لابد منها قبل القيام بأية دراسة فى أى فن او علم .

٣ ــ الإذاعة والفنون التشكيلية :

ان تنمية حاسة الرؤية الجمالية تتطلب عناية من البرامج الثقافية الإذاعية لمعاونة المستمع على إدراك قيم الجمال الطبيعى والجمال التشكيلى (عمارة ـ نحت ـ تصوير وغيرها) وليس بمستطاع أجهزة التعليم وحدها أن تنهض بهذا الدور ، ومن هنا تتأكد الحاجة إلى تكامل الإذاعة مع أجهزة الثقافة لتطوير مفهوم التذوق الفنى من خلال برامجها الفنية مثل برنامجى « فنون » و « لقاء الفن » بالبرنامج العام والبرامج المماثلة فى صوت العرب ، من خلال تقديم صور سمعية للمتاحف والمعارض من اجل تنمية الاحساس بقيم الجمال وإتاحة الفرص لمعايشة روائع الفن والطبيعة .

ويقتضى ذلك تطوير برامج الفنون فى البرنامج العام وصوت العرب معا وذلك بالاهتمام بتقديم تراث الحضارة الفنية ، وخاصة التراث التشكيلى فى مصر (البرنامج العام) وفى البلاد العربية (صوت العرب) . كما ينبغى أن تربط هذه البرامج بين الثقافة والفنون ، وتأكيد فكرة التثقيف عن طريق الفن وتطوير البرامج لتحقيق هذا الهدف ، وذلك عن طريق :

أ) إحياء التراث التشكيلى بإعادة تصويره سمعيا برؤية عربية معاصرة .

ب) التعريف بالتراث الفنى التشكيلى فى مصر والوطن العربى فى العصور التاريخية المختلفة .

جـ) إجراء الاحاديث والمناقشات من خلال البرامج الثقافية حول مختلف جوانب الابداع الفنى فى التراث التشكيلى المصرى والعربى وابراز الجوانب الايجابية فيه .

د) تشجيع البرامج الاذاعية التى تتناول حياة وأعمال الفنانين التشكيليين المصريين والعرب ، مع ضرورة الاهتمام بالنقد الفنى حتى يضطلع بدوره الهام والعمل على توحيد لغة الفن التشكيلى ومصطلحاته على الصعيد القومى بالتعاون بين المنظمات والمجامع اللغوية ، واذاعة ما يتفق عليه من خلال البرامج الثقافية .

واهتمام الاذاعة بالفنون التشكيلية ، اهتمام بفنون تعبر عن كل الناس بصرف النظر عن فروق السن او الطبقة او التعليم ، ففى تجربة رائدة قام بها حبيب جورجى ثبت أن التعبير التشكيلى للمادة ينبع من نفس الانسان البدائى كما ينبع من نفس الانسان المتطور ، وفى جامعة ريدنج ببريطانيا ناقش نقاد الفن هذه التجربة ، وكتب عنها الناقد الانجليزى هربرت ريد مبينا الجوانب المختلفة للموضوع . فالفن التشكيلى اذن من اكثر الفنون شيوعا بين الناس ، وتذوقه حظ شائع بين الجماهير ، ولذلك فإن دور الاذاعة فى وصل الجماهير بالفنون التشكيلية يغدو دورا اساسيا للبرامج الثقافية بخاصة ، لما للفنون التشكيلية من اثر فى تشكيل الوجدان العام . سيما وأن المصرى القديم قد عرف التعبير

الفنى عن تشكيل المادة منذ عصر ما قبل التاريخ ، ومضى قدما فى طريق التطور ، حتى حقق معجزات حضارية رائعة لا تزال موضوع تقدير اساتذة الفنون فى العالم . ولكن التاريخ المعاصر شهد للاسف انحسارا واضحا فى هذا اللون من التعبير الفنى ، حتى لقد كاد يجف ، ووسائل الاعلام والاذاعة فى مقدمتها مسئولة جميعا عن مواجهة هذا الانحسار ، واشاعة التذوق الجمالى بين الجماهير .

ونخلص مما تقدم إلى أن البرامج الثقافية ينبغى ان تضع للفنون فى خريطتها مكانها الملائم ، والذى يتناسب مع شخصية كل إذاعة من الاذاعات سواء فى البرنامج العام أو صوت العرب ، ذلك ان الاذاعة فى مقدورها أن تحقق التفاعل بين الفن والمجتمع ، وقد تبين من مقال للكاتب التشيكوسلوفاكى فلاديمير كاربوسيكى أن تأثير الفن الحى يمكن احيانا نادرة أن يعبر عنه من خلال النمط التقليدى لانتقال المعلومات فهناك أشكال متعددة للفن على شاكلة الموسيقى تبدو أنها تسير على شاكلة واحدة فى هذا الانتقال فالمفتاح الموسيقى هو الرمز ، والممارس هو الناقل ، والوسيط الذى يتم فيه الانتقال هو القناة ، أما الاستماع فهو الاستقبال للرسالة ، فى حين أن الفهم هو فك رموز المعلومات وما إلى ذلك .. ولكن ماذا عن الاشكال الاخرى للفن اين يدخل انتقال المعلومات فى موضوع العبارة ، الفن غير التعبيرى والرقص وما إلى ذلك ؟

إن التبسيط الشديد فى تطبيق طرق « انتقال المعلومات » على الفن إنما يرجع بصفة أساسية إلى عدم التوفيق فى فهم الخاصية الوظيفية المتعددة للفن ، ان الأغلبية العظمى لهؤلاء الذين يستخدمون هذه الطرق يغفلون كلية أن التواصل هو وظيفة واحدة فقط من بين الوظائف المتعددة للفن فهم يقومون باستخلاصات دون ان يضعوا فى الاعتبار الشىء الذى يقومون باستخلاص فيه ولهذا فانهم يتعرضون لتغطية وظائف أخرى (ينظرون إليها على أنها عديمة الاهمية قد تكون احيانا الجوهر الحقيقى لعمل أو أسلوب معين) .

وفى مقال لكارل اشنبرنير استاذ الفلسفة فى جامعة كاليفورنيا يتحدث عن مستقبل القيم الجمالية ، يقول عن مهمة الفن ، إنها ينبغى ان تقدم على الاقل ترويحا للنفس من الملل . وفى أحسن حالاتها تستطيع أن تقدم وسيلة لملء العالم المدرك ، عالم الزمان والمكان والخيال ، بطريقة تجمع الثراء والعمق .

ثانيا : البرامج الثقافية وتنمية الوعى القرائى :

يذهب جورج ديهاميل إلى ان الراديو يزاحم الكتاب ، والناس المرهقون بالجهد العصبى الذى تتطلبه حركة الحضارة الآلية يركنون الى قانون اقل الجهود ، فيكتفون بأن يسمعوا دون ان يتعبوا انفسهم فى القراءة ، وتأتى السينما فتعزز نفس الكسل ، وديهاميل يرى فى ذلك محنة خطرة على مستقبل الانسان لأمرين :

أولهما : لأن كل ثقافة حقيقية هى « اختيار » و« مجهود » فنحن لا نختار ما نسمعه فى الراديو ولا ما نراه فى السينما ، كما اننا لانستطيع أن نتثقف ثقافة حقيقية خصبة عميقة ما لم نبذل مجهودا عند القراءة الاولى ، فلابد من معاودة قراءتها والنظر فيها بامعان ، ونحن عند كل قراءة جديدة نجد معانى دفينة ، ونستوحى آراء جديدة تخصب نفوسنا وتفتح امامنا آفاقا لم نعهدها وكل هذا « غير ممكن باستماعنا الى الراديو الذى يتدفق كالسيل ، حاملا الينا أخلاطا من كل شيء ، او بمشاهدة السينما » .

ثانيا : أن هذه الوسائل الآلية العامة ستنتهى بأن تقتل الفردية فكل الناس يسمعون نفس الاحاديث بالراديو ، ويشاهدون نفس الروايات بالسينما . ديهاميل يرى ان هذه الحالة تنتهى بهم الى أن يصبحوا جميعا نسخا متشابهة لا أصالة لأى منها ، فتصير عقليتها عقلية واحدة .

وهنا نلمس صراعا سياسيا عنيفا فى أقوال ديهاميل ، كما يلاحظ المرحوم الدكتور محمد مندور ، فالاشتراكيون اليوم هم احرص الناس على تعميم الراديو والسينما

ومثل ذلك فى المدارس ، وذلك لكى تكون كوسائل لنشر آرائهم وتلوين نفوس الشبان باللون الذى يريدونه « وهذا ما يأباه ديهاميل وانصاره لا لأنهم يخشون من استثارة الجماهير استثارة قد تدعوهم إلى التمرد ، ولا لأنهم يضنون بانتشار المعرفة بين جميع طبقات الشعب ، بل لأنهم يودون أن يسموا بالثقافة عن الانحطاط إلى مستوى الدعاية لأى مذهب كان ، فهم يريدونها حرة ، غاية مكتفية بذاتها ، وفى تكوينها لادراك الإنسان من النبل ما يجب أن تكتفى به ، وعندما يتكون إدراك الأفراد سيستطيعون أن يتحكموا كما يريدون فى مصائرهم ومصائر وطنهم فالثقافة عندهم والأدب أشياء مقدسة لايجوز أن نجرها فى أوحال حياتنا الفانية العابرة .

واذا كان جورج ديهاميل ، ومن تبعه من المفكرين الأوربيين ، يمثلون اتجاها من الاتجاهات الأوربية التى أثارتها الأجهزة الآلية ، ونمو الاتصالات الجماهيرية منذ عام ١٩٢٠ تقريبا ، حيث انتشرت الصحف الشعبية والأفلام السينمائية والراديو ثم التليفزيون كما بدأ يشار إلى هذه الوسائل بأنها وسائل اتصال جماهيرية Mass Media أو اتصال بالجماهير Mass Communication فان الدكتور طه حسين ، يمثل اتجاها مصريا إزاء هذه الوسائل ومن خلال مشكلات الواقع الثقافى المصرى ، التى تختلف فى كثير من جوانبها عن مشكلات الواقع الثقافى الأوربى ، فنجده فى « مستقبل الثقافة فى مصر » المنشور سنة ١٩٣٨ ، يتحدث عن « هذه الأدوات الحديثة التى استكشفها العلم وابتكرتها الحضارة واتخذتها وسيلة إلى الإذاعة والتغلغل فى طبقات الناس إلى أبعد حد ممكن ، وهى الصحافة والسينما والراديو[١١] »

ويذهب إلى أنه من المكبرين لها المؤمنين بنفعها الذين ينتظرون منها الخير كل الخير لأنى لا أنظر إليها على أنها أدوات للاذاعة وإنما أنظر إليها على أنها ادوات لتثقيف الشعب وتهذيبه وتصفية ذوقه وتنقية طبعه ، وتحقيق الصلة بين طبقاته وتحقيق الصلة بينه وبين غيره من الشعوب .

« ولست أنظر إليها على أنها مكملة للتعليم الشعبى وإنما انظر إليها على أنها قد تكون أشمل نفعا وأبعد أثرا من هذا التعليم ، ولكن بشرط إن تحقق هذه الأغراض وألا تصرف عنها إلى أغراض أخرى ليست من الخير فى شىء وأنا أعلم أن الأدباء والفلاسفة يشفقون من هذه الأدوات الثلاث على العقل والثقافة أشد الإشفاق لقد ألفوا الكتب فى ذلك وكتبوا المقالات وسيؤلفون الكتب ويكتبون المقالات . ولكنى أعلم أن ظروف الحياة فى مصر مخالفة لظروف الحياة فى أوربا ، فالشعوب الأوربية قادرة كلها على القراءة لأنها أخذت بالتعليم منذ عهد بعيد ومن المحقق أن الصحافة والسينما والراديو خليقة أن تصرف الناس عن القراءة الهادئة المطمئنة وأن تنافس الكتاب منافسة خطرة على العقل والثقافة . ولكن كثرة المصريين لا تقرأ فلا أقل من أن تتلى عليها الصحف التى تعلمها وتهذبها بلغتها السهلة وعباراتها العربية وأساليبها اليسيرة ، ولا أقل من أن يبلغ السينما والراديو عقولها وقلوبها وأذواقها بما يعرضان عليها ويحملان اليها من المشاهد والاخبار ، ومن الوان العلم والادب والفن الميسرة المقربة الى طاقتهم » .

والى أن « تتعلم هذه الكثرة المصرية وأن تصبح هذه الادوات خطرا على القراءة الهادئة المطمئنة » يذهب طه حسين الى اننا « نستطيع أن نعتمد على هذه الادوات نفسها على انها وسائل اساسية فى تثقيف الشعب وتهذيبه وارشاده الى الخير فى سيرته والى الصواب فى رأيه » .

ومن ذلك يتبين ان طه حسين ، يتجه فى الاتجاه الذى يتلمس حاجة مجتمعه من جهة ، وحاجة جيله الذى يريد فى شجاعة أن يقبل الحياة كما يهديها له العالم الحديث ، من جهة أخرى ، وهو فى ذلك يتفق مع المسيو لويس سيدانيه Louis de Sedaner الذى أعلن فى مقال نشره بمجلة « النقد الجديد » Nauvelles revue crio ان « عيد السينما والراديو آت من أن هاتين الوسيلتين لم يجدا بعد اساتذتهما » وهو يتساءل فى جوهر المقال عما اذا كانت الكتابة والطبع هما الأداة الوحيدة لنشر المعرفة ، ثم يجيب بالنفى ، إذ يرى فى قول ديهاميل بهذا الرأى ضربا من الغرور فليس من المنطق أن نعيب السينما والراديو لمجرد أن كل ما يحملانه لنا « اليوم تقريبا ردىء منحط » .

ومن أجل ذلك يذهب طه حسين فى « مستقبل الثقافة » إلى ضرورة أن تنظم هيئات من المثقفين تشرف من بعيد على حياة هذه الأدوات الثلاث ، وواضح أن هذه الهيئات لن تكون

غريبة عن هذه الأدوات : فنقابة الصحافة هى التى ستشرف على حياة الصحافة وهى التى ستوجهها وهى التى ستردها إلى القصد ان جارت عنه وإلى الخير ان حادت عن طريقه ، وقل مثل ذلك فى لغة الراديو أما السينما فلها قصة أخرى لأنها تأتينا من الخارج والطارىء علينا منها أكثر جدا من الذى نستحدثه فى بلادنا ، واذا كانت أوربا نفسها على حريتها تشكو من خطره على الذوق والخلق فأحرى بنا أن نحتاط منه للذوق والخلق ، وأن نراقبه مراقبة دقيقة وألا نبيح عرضه إلا إذا وجدنا الخير منه أيضا وأمنا شره على أقل تقدير والمهم أن يكون أمر ذلك الغى هيئة مثقفة ترتفع عن التحكم والجور وتتنزه عن الرجعية والجمود .

ومن ذلك يتضح أن مشكلة الثقافة ترتبط بنمو الاتصال بالجماهير ، ولكن هذه المشكلة اليوم تتخذ إطارا آخر أكثر إفادة من الوسائل نفسها واكتشافات العلم الحديث فى نشر وإذاعة الثقافة ، بحيث تبرز هذه المشكلة فى هذا السؤال :

كيف ننتفع بمزايا كل وسيلة من هذه الوسائل الجماهيرية ؟

ولقد توصلت بعض البحوث التجريبية إلى أن لكل وسيلة من وسائل الإعلام خصائصها ومزاياها الفريدة ، ومن ذلك يتضح أن تخوف المثقفين والدارسين من تأثير الوسائل الجديدة على انتشار الكتاب ، على نحو ما تجد عنده ديهاميل لم يعد له ما يبرره ، فلقد دلت الدراسات التى أجريت فى ١٩٧٢ العام الدولى للكتاب على عكس ما كانت تشير إليه التوقعات ، وثبت بالحصر العلمي الدقيق أن الكتاب لايزال يشق طريقه نحو الانتشار ، برغم تطور هذه الوسائل الجديدة ، وقدرتها على امتصاص الوقت والانتباه جميعا .

لكن هذا الحصر لا ينفى مع هذا أن تأثير الوسائل الجديدة على انتشار الكتاب قد انحصر فى الدول النامية ، ذات الإمكانات الاقتصادية المحدودة ، أما فى الدول المتقدمة التى وصلت إلى مرحلة اقتصادية هيأت لها قدرات التفوق فإن انتشار هذه الوسائل الجديدة قد سار جنبا إلى جنب مع انتشار الكتاب . ومعنى هذا أن الكتاب قد ازداد عمقا فى ضمير الشعوب المتفوقة برغم التقدم الهائل الذى تشهده وسائل النشر الجديدة فيها ، فى حين نجد أن هذه الوسائل قد أثرت على انتشار الكتاب فى الدول النامية .

وتطرح هذه القضية على البرامج الثقافية فى الاذاعة دورا إساسيا فى المساهمة فى نهضة الكتاب العربى بالنشر عنه ، والترويج له ، واتخاذه مادة حوار تثير شهية الجماهير للقراءة ، وقد نستطيع أن نستثمر هذه البرامج الاذاعية فى دعم الكتاب ، بدلا من تركها تهدده لتقضى عليه ، فالوسائل المطبوعة تسمح للقارىء بأن يتحكم فى وقت قراءتها كما تمكنه من إعادة الاطلاع على مضمونها وتسمح بالتالى إلى حد بعيد فى هذا الاطلاع .

ومن أنصار هذا الرأى ، جورج ديهاميل ، الذى يذهب إلى أن كل « مكتبة قبل كل شيء هى مجموعة وسائل ومناهج هى ذلك المكان الجليل الذى يحتفظ فيه الرجال بتاريخ تجاربهم وتحسساتهم واكتشافاتهم ومشروعاتهم وأنا أقصد بذلك إلى تاريخ الشعوب حينا ومغامرات الأفراد حينا آخر ، وإلى تاريخ أعمالنا طورا ، وتاريخ إفكارنا طورا آخر ، ففى الكتاب أحيانا وصف لوسائل صنع آلة بخارية ، وأحيانا وصف لوسائل حياتنا اليومية — حياتنا المادية — ثم حياة الروح وحياة القلب » .

ويذهب ديهاميل « إلى أن قدرة الإنسان المتوسطة على الانتباه والاستطلاع والفراغ قد استغرقتها « اليوم عدة آلات قوية الأثر ، نافذة الاستهواء فالراديو والسينما تشغل من يوم إلى يوم مكانا أكبر ، لا فى وسائل تسلية رجل القرن العشرين فحسب ، بل وفى عناصر تكوينه الظاهرة ، اذ تختلط الأخبار بالمعارف والتسلية بالعلم ، اختلاطا مخيفا فى نفس الرجل المتوسط . وقادة الفكر فى عصرنا لم يعلنوا بعد فى قوة أن هذه الظاهرة تبعث فى نفوسهم القلق ، ولعل البعض منهم يرى أن الوسائل تتغير ، وأن الانسانيه ستحتفظ بتراثها لا فى المكاتب بل على اسطوانات من « الباغة » أو فى أشرطة من الغراء » .

وينطلق « ديهاميل » من اعتبار أن « الثقافة الروحية مجهود ونتيجة لذلك المجهود على السواء . فكل نظام للحضارة يضعف من المجهود يضعف أيضا من الثقافة » وهو إذ يقول ذلك لا يرى أن « الحضارة الحديثة — بالرغم من مظاهرها وما توحى به من تقدم — قد نقصت من مشقة المجهود فى كل ميادين النشاط ، وإنما هى غيرت من طبيعة ذلك المجهود . فعامل المصنع عندما ينتهى من عمله اليومى لا يشعر بأنه أقل تعبا مما كان من قبل فالجهد العضلى الذى يبذل قد يكون — إن لم يصدق ذلك فى كل الصناعات — أقل اطرادا وأخف قسوة ، ولكن جهده العصبى يزداد كل يوم بازدياد الآلات تعقيدا كما يزداد بنمو قوتها نموا مخيفا . فسائق السيارة — الذى يقود سيارته عشر ساعات متواليات يعمل صيفا وشتاء وهو جالس ، دون أن يقوم بأى مجهود عضلى ، ولكنه دائما فى حالة توتر عصبى لا تخففه العادة إلا تخفيفا غير محسوس بحيث يعتقد أنه عند انتهاء عمله اليومى يحس من الاعباء قدر ما يحس الحاطب أو عامل الطرق ، بل إنه بلا ريب ليجد نفسه عاجزا عن أن يهدأ أو يستريح أو ينام ليعوض من إجهاده ، ولهذا كنت بعيدا عن أن أرى أن حضارتنا الراهنة قد اعفتنا من الأعمال الشاقة ، وإنما هى تجنبنا بعضا من المجهودات لتثقلنا بما هو أشق منها وأضنى . ثم ان رجل القرن العشرين مرهق بأعمال الدواوين ، ومرغم على احتمال نيرها والنهوض باعبائها ، فحياة إكثر الناس تواضعا اليوم ادارة فعلية ، بما يتبع هذه اللفظة من أكداس الورق والإعلانات وشبابيك التذاكر والإجراءات والانتظارات والمرافعات والخصومات والمضايقات والمفاجآت بكافة أنواعها » .

فأساس الثقافة — عند ديهاميل إذن — هو فهم الظواهر والكتب والكائنات والنفوس — حتى النافذ منها والموهوب — عرضة دائما للتردد والذهول والاغماء العارض واقدرها على الانتباه فى حاجة دائما إلى الرجوع إلى الموضوع والعناصر وإلى الحجج التى يتناولها العرض أو المناقشة وهذا الرجوع — الذى يقصد منه إلى دقة الفهم — هو على وجه التحديد « ما نسميه بالتفكير ، فالرجل الذى يقرأ يقف فى كل حين ليفكر أى ليحاول أن يعود فيتناول الفقرة من جديد يقرؤها مرة ثانية وثالثة ورابعة بل وعاشرة وهذه الطريقة لا تتفق وفنون الحركة ، فإننا عندما نسمع « سيمفونية » أو نشاهد تمثيلية تراجيدية لانستطيع أن نعود إليها ، على حين الكتاب يمكننا من التفكير تفكيرا ضروريا وان يكن لاحقا ، فإذا كان الكتاب جيدا نزعنا إلى قراءته من جديد والنظر عن قرب فى بعض التفاصيل أو الإمعان فى نوتة المؤلف الموسيقى ونحن فى الحفلة الموسيقية أو فى المسرح نلتمس اللذة ، بينما نتخذ من الكتاب وسيلة للثقافة الحقيقية

والثقافة الحقيقية — عند أصحاب هذا الإتجاه — تعتمد ، كما يقول ديهاميل — على القراءة ، والقراءة معناها الاختيار اذ أن ، من يقرأ يسقرى أى يختار elire lire ووظيفة الاختيار من أولى وظائفها الطبيعية ، والكائن الحى حى لأنه يختار فهو ينتقى من بين ما فى العالم من آشياء — ما يصلح لأن يكون له غذاء أى مادة للحمه ، ونحن عندما نقرأ كتابا أو مجلة أو جريدة نختار مادة لروحنا ، وكذلك عندما نذهب إلى مسرح أو حفلة موسيقية نكون إلى حد ما قد اخترنا معتمدين على ما وصلنا من اخبار ، فالأمر أمر خيار واختيار elction et dilechion ونحن نتخير ما نرى فيه خيرنا فنحبه .

« وملكة الاختيار مهدرة محتقرة عند تلك المذياعات الحديثة القوية ، أعنى السينما والراديو عندما تذيع اغنيتها الروحية المحوة العالم ، حتى لنضطر فى سبيل صورة واحدة جميلة نلتقطها التقاطا إلى أن نتحمل آلافا غيرها أفضل الا أصفها بشىء ولكى تستمع إلى حفلة موسيقية جيدة بالراديو لابد لك من أن تلقى وتواجه وتتحمل آلافا من الضوضاء البغيضة أو المضحكة . والبسطاء من الناس الذين هم غواة الراديو الحقيقيون والذين هم فى حاجة إلى الثقافة والذين ابتداء يصدفون عن الكتاب ليلتفون بالضوضاء ، أى أولئك الذين نبسط هنا قضيتهم وندافع عن مصالحهم هؤلاء لا يحفلون باختيار ما يسمعون ، اذ يفتحون « الحنفية » (الصنبور) ويأخذون فى الشرب على بركة الله فيعبون كل شىء » « اخلاطا » من موسيقى « فاجنر » إلى « جاز » إلى محاضرة فى السياسة إلى اعلانات تجارية إلى دقات الساعة إلى رقص فى صالة إلى موجات طفيلية إلى مواء الموجات الشاردة » .

ويقول ديهاميل ــ أو على الأصح يعيد ــ أن « نظام الثقافة الذى يستحيل فيه التفكير والاختيار إنما هو فى الحقيقة تقويض لما كان يسمى حتى اليوم ثقافة » .

وتأسيسا على ذلك ، يخص ديهاميل الكتاب بمكان الصدارة ، فالكتاب « يسعى عادة إلى الخلود ، وهو يعلم أن لهذا اللفظ « الخلود » عدة معان ، ويستعمله هنا فى معناه الانسانى الذى يضيق منه بؤس غنائنا . فالفكرة المكتوبة التى لا تموت بعد ثلاثة قرون نسميها خالدة وأبدية ، وفى هذا اسراف فى استعمال الألفاظ فنحن نعلم حق العلم انه سيأتى يوم ، بعيد بلا ريب لا يبعث فيه اسم شكسبير اى صدى على الأرض ، ومن يدرينا لعله كان هناك شكسبير آخر فى القمر الذى نراه اليوم متجمدا أو كما يقول أبو العلاء فى مثل هذا المعنى :

« سيسأل قوم ما الحج ومكة كما قال قوم ما جديس ومكلم » فان ديهاميل يكرر أن « الكتاب يسعى إلى الخلود وهو يتطلب مكانا فى حياتنا الزمنية ، وفى حياتنا الروحية ، كما يرمى إلى أن يسكن بيوتنا وان يكون فى متناول بصرنا وأيدينا ، وهو زينة فى ذاته كزينة الرياش ، وعندما نغلفه بالجلد أو بالأقمشة الثمينة أو بالذهب نراه يشبه الحلى ونحن ننظر إليه نظرة حب وعرفان بالجميل ونعلم أنه حاضر ما نمد إليه يدا الا سارع إلينا يحدثنا بما يستطيع أن يقول واذا عرفنا نسأله رأينا وجدناه مستعدا للاجابة تمام الاستعداد وثمرة الثقافة الحقيقية هى « أن نعرف كيف نستخدم الكتب » كما لاحظ « أندريه جيد » ونحن نتفق مع ديهاميل فى اعتبار الكتاب أداة أساسية للثقافة ولكننا نتفق أيضا مع الاتجاه الحديث الذى يفضل الافادة من مزايا كل وسيلة جماهيرية فى تحقيق الاتصال الثقافى بالجماهير .

فنشر الثقافة وحسن استخدام أجهزتها يعتبر من العوامل الفعالة فى إصلاح ما نشكو منه أحيانا من فساد فى الخلق أو ضعف فى الشخصية أو عجز عن تحمل المسئولية وحل للمشاكل التى قد تواجه كلا منا فى الحياة « ذلك لأن الثقافة كما يقول الدكتور مندور ــ لم تعد « ترفا عقليا ، بل وسيلة حياة نستطيع أن ندرك قيمتها لو تصورنا انتشار وباء فى الورق يأتى على ما جمعت الإنسانية فى خزائنها من كتب « فالكتب ليست خزائن » للمعرفة فحسب ، بل هى أيضا وسائل للتفكير وشحذ الذكاء وتدريبه حتى قيل إن جودة أى كتاب تتوقف على مدى قدرته على أن يصبح بالنسبة لقارئه وسيلة للتفكير . واذا كانت المعرفة هى وسيلة السيطرة على الطبيعة وعلى الحياة وتسخيرها لخير الإنسان ــ فان تدريب الذكاء هو خير وسيلة لتذليل الحياه بين يدى الإنسان ، وذلك لأن الذكاء فى رأى معظم المفكرين هو القدرة على حل المشاكل التى تعرض لأول مرة ، وفى رأى

البعض الآخر هو القدرة على ملابسه الواقع والتكيف معه ومن الواضح أن الذكاء لا يستطيع أن يقوم بهاتين الوظيفتين الخطيرتين ما لم يدرب ويغذى بالثقافة .

ولايزال الكتاب فى العالم كله وسيلة اساسية للتثقيف الحق ، وذلك لأن الكتاب هو : « مستودع الثقافة الجدية العميقة » كما أنه الوسيلة المواتية للتثقيف بمعناه الصحيح ، لأنه بفضل عمقه وقوة إيحائه وسيلة يستعين بها القارىء على التفكير الأصيل . والثقافة الحقة ليست فى النهاية إلا تحقيق القدرة على فهم الناس والأشياء فهما صحيحا والحكم عليها حكما سليما . وهذا الفهم وذلك الحكم لا يمكن الوصول إليهما الا إذا جمع الفرد بين وسيلتين هامتين هما : الدراسة من ناحية والتفكير من ناحية أخرى ، فالدراسة بغير تفكير لا يمكن أن تنتهى إلى فهم صحيح . والاكتفاء بالتفكير الذاتى دون دراسة لايمكن أن يؤمن معه الضلال عن الفهم الصحيح ، والكتاب الجاد هو الذى يجمع بين الدراسة وتقديم المعرفة من جهة وإثارة التفكير أو الإيماء به من جهة أخرى .

وبالرغم من أن الكتاب يتعرض لمنافسة شديدة من الأجهزة الآلية كالإذاعة والسينما ، ثم الصحف ، فإن تطور العالم الحديث ينبىء بأن الكتاب لن يسترد مكانته فحسب ، بل سيعود إلى الصدارة بين أجهزة الثقافة المختلفة ، وذلك لعدة أسباب منها :

١ – أن شعوب العالم كلها قد تنبهت إلى خطر الأمية ، واتخذت من محاربتها أساسا لكل نهوض مادى وصحى واجتماعى .

٢ – أن الخط الفاصل بين العمل العقلى والعمل الجسمى قد أخذ فى الزوال فالعلم الآن يغزو كافة الميادين حتى ليتوقع العالم أن تمحى فى المستقبل القريب كل ضرورة للمجهود العضلى الذى ستحل محله الآلات التى لا تحتاج فى إدارتها إلى مجهود ذهنى وعصبى . وهذا المجهود يحتاج إلى معرفة سابقة وتدريب وثقافة علمية كافية وكل هذا يقدمه الكتاب ، حتى رأينا منظمة اليونسكو ترصد جائزة كالينجا التى تمنح سنويا لاحسن كاتب يؤدى خدمة ممتازة فى نشر الثقافة العلمية بين الجماهير وقد أعطيت جائزة سنة ١٩٥٧ للعالم الفيلسوف برتراند رسل الذى كتب بهذه المناسبة مقالا قال فيه :

« إن العلوم الحديثة والاكتشافات والاختراعات وضعت بين أيدى الحكام والمحكومين قوة هائلة يمكن استخدامها للخير كما يمكن استخدامها للشر ، فاذا كان الرجال القابضون على زمام هذه القوة لا يعرفون ما تنطوى عليه من عناصر الخير أو الشر ولو معرفة محدودة فانهم لن يتمكنوا من استخدامها بحكمة ودراية .

وفى البلاد الديمقراطية لابد من تلقين الثقافة العلمية لرجال الحكم ولعامة الناس فى وقت واحد . وكان العلماء من قبل ينظرون باستخفاف واستنكار إلى الكتاب الذين يبذلون

نشاطهم فى الكتب والصحف لنشر العلوم وجعلها فى مستوى القارىء العادى بحيث تعم فائدتها الطبقات الشعبية ، ولكن هذه النظرية تغيرت الآن ، وأصبح من الواجب العناية بنشر الثقافة العلمية حتى تمحو الأمية العلمية بين الجماهير . وكم من الناس يعرفون الآن ما يجب أن يعرفوه عن الطاقة الذرية وما يترتب على استخدامها وكيفية هذا الاستخدام إن الثقافة العلمية التى ندعو إليها هى إدخال العلوم كفرع فى نشر الثقافة ، والاهتمام بالأدب والشعر والموسيقى وهى تنوير للجماهير لكى تدرك كل ما يجب أن تدركه من حقائق وتعرف ما يجب أن تعرفه من خفايا العلوم ، حتى تكون لها قوتها وأثرها فى توجيه العلماء والساسة إلى استخدامها فى سعادة البشرية دون استخدامها فى التدمير والفناء .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فان البرامج التى تعنى بالوعى القرائى فى الإذاعة إنما تستهدف وصل المستمعين بالكتاب ، لأن المعلومات التى تصل إليه عن طريق الصوت أو الصورة تحتاج دائما إلى نوع من التثبيت بالقراءة ، ولذلك وجدنا فى البرنامج العام برنامجين أساسيين هما : « اقرا » و « زيارة لمكتبة فلان » وفى صوت العرب « قرات لك » ولعل أهم هذه البرامج الثلاثة هو « زيارة لمكتبة فلان » لأنه يحترم عقل المستمعين ويختار الطريق الصعب فى الوصول إليهم واذا كانت صعوبة الطريق تعنى أنه لا يستقيم ولا يكشف عن مسالكه إلا لمن يملك بصيرة نافذة وقدرا من الوعى يتيح له المضى فائها فى المقابل تكسب الإنسان مزيدا من هذه القدرة وتدربه على اكتساب المعرفة والتسلح بها ماوجد إلى ذلك سبيلا . وحين تمردت نادية صالح على نص المعد الاذاعى وانطلقت هى بقدراتها الخاصة وخبراتها الحرفية استطاعت بالفعل أن تثبت أقدام البرنامج الذى يفيد من إمكانات الاذاعة الفنية فى نشر الوعى القرائى .

ولقد انتجت اليونسكو فيلما تليفزيونيا ملونا (١٦ مم) مدة عرضه عشرون دقيقة ، حول العام الدولى للكتاب تحت عنوان « الكتاب المفتوح » يناقش قضية انتشار الوسائل الجديدة ، وهل يستطيع الكتاب أن يواصل وجوده ؟ ويؤكد أن الكتاب سوف يؤدى دوره المعتاد ولكن فى حيوية دافقة ، وحيثما ظهر التليفزيون خشى رجال التربية أن يقضى على عادة القراءة غير أن تقارير المكتبات أثبتت أن الكتب زاد انتشارها بعد ظهور التليفزيون ، وتزايد إنتاج الكتب بأعداد أوفر وكثر إقبال الجماهير على شرائها وقراءتها أكثر من أى وقت مضى ، ولكن هذه الظاهرة لم تحدث على نفس المستوى فى كل مكان ، وذلك مرجعه أساسا إلى التفاوت الاقتصادى فى عالم اليوم ، والذى لا يقدم فرصا متكافئة بالنسبة للكتب فثمة أقاليم بأكملها فى العالم تشكو فقرا مذهلا فى الكتب .

وتأسيسا على هذا الفهم فان البرامج الثقافية فى صوت العرب والبرنامج العام ينبغى أن تعنى بثقافة المستمع من خلال الكتاب والمجلة . وهذا يقتضى مراجعة كاملة لخطط البرامج الثقافية للعناية بثقافة المستمع العربى وفق تخطيط يجمع أهدافا أهمها : —

أ) ارتباط المستمع العربى بتراثه الزاخر من خلال مختارات لأروع ما فى هذا التراث يقدم بصورة إذاعية تصله به وصلا وثيقا . تقدم

ب) إتاحة الفرصة للمستمع لمعايشة عصره من خلال نماذج من إبداعات الفكر الإنسانى والاهتمام بتنشيط الترجمة تحقيقا لهذا الهدف .

ج) الاهتمام بالثقافة الأدبية والثقافة العلمية فضلا عن المعلومات العامة .

د) تنمية عادة القراءة عن طريق المسابقات والجوائز مع مختلف الوسائل حتى يبقى للكتاب دوره فى تكوين ثقافة المواطن العربى .

هـ) التعريف بالمؤلفات التى لا تلقى إقبالا من دور النشر التجارية والتى تضطلع وزارات الثقافة بنشرها وخاصة كتب العلوم والفنون والتراث .

و) التعريف بالكتب العربية فى أقطار الوطن العربى كافة .

ز) الإفادة من الإمكانات الفنية للاذاعة فى وصل المستمع بالكتاب من خلال البرامج الثقافية .

ثالثا : الاذاعة والعوز الثقافى :

ويتضح مما تقدم أن الأجهزة التى تشرف عليها الدولة ، بالإضافة إلى الإذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات كأجهزة ثقافية ، لا تفى فى تدفقها الحالى بمواجهة العوز الثقافى فى مصر ، اذا اتخذنا من مقياس اليونسكو وسيلة مقارنة نقيس به كفاية إمكانات الاتصال الجماهيرى أو عدمها فى الدول النامية « كهدف عامل » تقول المنظمة إنه ينبغى على كل دولة أن تسعى إلى أن يزود كل ١٠٠ شخص من سكانها بعشر نسخ من الصحف اليومية وخمسة أجهزة راديو ومقعدين للسينما وجهاز تليفزيون . وتقول اليونسكو فى تقرير للأمم المتحدة :

« ١٠٠ دولة واقليم فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية » تبلغ هذا المستوى وهو الحد الأدنى المنخفض غاية الانخفاض فى الوسائل الجماهيرية الأربع كلها ، سكان هذه الدول يبلغ عددهم ١٩١٠ مليون نفس أو ٦٦ فى المائة من مجموع سكان العالم . وهناك ١٩ دولة أخرى ، أى ما يعادل ٢ فى المائة من سكان العالم لا تبلغ حد اليونسكو الأدنى بالنسبة لثلاث من هذه الوسائل .

الخلاصة أن ما يقرب من ٧٠ فى المائة من شعوب العالم تفتقر إلى الحد الأدنى من الوسيلة اللازمة للإعلام عما يجرى داخل البلاد ، ولا نقول خارجها .

والواقع أن الموقف الفعلى أسوأ — كما يقول شرام — والقياس المذكور لا يدخل فى حسابه توزيع الإمكانات داخل الدول ذاتها ففى كثير من الدول المتخلفة يسكن ما يزيد عن ٦٠ ٪ من السكان فى الاقاليم الريفية بينما تتركز إمكانات الإعلام والثقافة فى قلة نسبية من المناطق الحضرية والنتيجة أن التحليل العام المذكور لا يعكس بدقة القحط فى الإمكانات الموجودة فى الاقاليم الريفية فى معظم البلدان المتخلفة، بل وفى معظم البلدان شبه العامية المحسوبة فوق حد اليونسكو الادنى .

على أن فروق الاتصال الجماهيرى بين البلدان النامية والبلدان العالية التنمية ليست كلها فروقا فى الكم فمن اولى الاشياء التى يلاحظها المرء على الاتصال الجماهيرى فى البلدان المتخلفة هو تجمعه فى المدن . وهذه الظاهرة بالطبع موجودة لحد ما فى كل مكان . ففى البلدان العالية التقدم شأنها شان البلدان المتخلفة ، تميل الصحف ومحطات الاذاعة ودور السينما الى اتخاذ مقارها حيث يتجمع الناس . غير ان اغلبية الناس فى البلدان العالية التقدم يعيشون فى مراكز حضرية . أما فى البلد المتخلف بصفة عامة فان ٨٠ ٪ من السكان يعيشون فى مناطق ريفية فاذا ما تجمعت الوسائل فى المراكز الحضرية فى الدول النامية فانها تكون فى الحقيقة مركزة على أقلية من الناس كما نجد الحال بالنسبة للصحف ، وفى مصر أربع صحف يومية فقط من ٣٧ تطبع خارج القاهرة والاسكندرية ولكنها ذات توزيع غاية فى الضآلة .

كما أن الإذاعة ، والأفلام بدرجة أقل تتجمع فى المدن . مفهوم بالطبع أن يجد المرء الاستديوهات ومحطات الإرسال فى المدن ولكن المرء يرجو أن يجد فى الأقاليم الريفية نسبة أكبر من أجهزة الاستقبال لان الراديو يستطيع أن يغطى مسافات كبيرة ، ونسبة اكبر فى مشاهدة الافلام (لان الافلام تستطيع كالراديو ان تتخطى عائق التعليم) .

ولعل فى ذلك ما يبين مكان الراديو بين وسائل الاتصال الجماهيرى فى مواجهة المشكلة الثقافية فى مصر ، وقد رأينا صورة من التعامل المتزايد مع هذه الوسائل رغم عدم كفايتها ، فى حين نجد أن دور الراديو يزداد فى المجتمع المصرى باعتبار انه وسيلة لا تتطلب كفايات خاصة لدى المتعامل معها كالقراءة والكتابة على اعتبار أن نسبة الامية ما تزال مرتفعة الى حد كبير ، ومن الملاحظ ان اجهزة الراديو اصبحت تنتشر الآن انتشارا واسعا كنتيجة لرخص أسعارها وسهولة الحصول عليها من مصادر متعددة . وكما ينطبق ذلك على مجتمع المدينة فانه ينطبق على المجتمع القروى ايضا فقد لاحظ ابراهيم ابو لغد

ان هناك ١٣٥ جهاز راديو فى القرى الست التى درسها عام ١٩٦١ والتى كان تعدادها حينئذ أربعة عشر الفا من السكان اى أن هناك جهاز راديو لكل ١٠٣ أشخاص ذكور واناث واطفال . الا ان عدد الاجهزة لايقيس حجم الاستماع الاذاعى وبخاصة فى المناطق الريفية حيث يمثل نشاطا جماعيا اى ان ارسال الراديو لايقتصر على صاحبه واسرته فقط وانما هو ينتشر لكى يعم جيرانه واصدقاءه وأقاربه .

وقد لوحظ قبل بحث « أبى لغد » بعشر سنوات تقريبا وفى دراسة قام بهامكتب البحوث التطبيقية بجامعة كولومبيا ، واعد منها تقريرا نشر فى مجلة علم الاجتماع الريفى باسم «أدموند برونر» وبعنوان السلوك الاتصالى الريفى والاتجاهات فى الشرق الاوسط لوحظ أن الاستماع الى الاذاعة يمثل نشاطا اجتماعيا فى المناطق القروية فعدد المستمعين الى الاذاعة مرتفع الى حد كبير فى هذه المناطق وبخاصة فى مصر الا أن الحال لايسير على هذا المنوال فى مجتمعات قروية اخرى ففى دراسة اجريت فى قرية سيلانية فى نفس الفترة - تقريبا - التى أجريت فيها دراسة كولومبيا فى الشرق الاوسط ، وجد الباحث هناك اربعة أجهزة راديو فقط وان المشاركة فى الاتصالات الجماهرية تمثل مشاركة ثانوية يؤديها بعض صغار السن غير المرتبطين بالمجتمع التقليدى بينما ينغمس الكبار فى مشاركة أولية دينية وقرابية ، وفى نفس الفترة تقريبا قام مايرستايكوس بدراسة للاتصالات فى قرية يونانية أدهشه ان يجد راديو وحيدا كائنا بحانة للقرية ويتحكم فى ارساله عامل هذه الحانة .

راديو وحيدا

وفى الدراسة التى قام بها الدكتور محمود عودة فى عام ١٩٦٧ يجد ان اغلبية افراد العينة يستمعون الى الراديو بانتظام او احيانا فان قلة قليلة هى التى لاتمارس مثل هذا النشاط فلقد ذكر ٦٢,٧٥ ٪ من أفراد العينة انهم منتظمون فى الاستماع الى الراديو فان هذا الاستماع اصبح بمثابة نشاط اجتماعى يومى ملموس بينما ذكر ٣١,٣٧ ٪ من هذه العينة انهم يستمعون أحيانا الى الراديو . وكان الذين لايستمعون الى البرامج الاذاعية يمثلون ٥,٨٨ ٪ فقط من العينة .

وقامت مراقبة البحوث بهيئة الاذاعة المصرية عام ١٩٦٩ بدراسة ميدانية على عينة من العمال الصناعيين فى ست محافظات تتناول خصائصهم ، عادات استماعهم ، ميولهم ، اتجاهاتهم ، آراءهم ومقترحاتهم ، وقد أظهر هذا البحث أن ٣ ر ٩٩ ٪ من افراد العينة يستمعون إلى الإذاعة مقابل نسبة مفرطة فى الضآلة لم تتجاوز ٦ ر ١ ٪ لا تستمع ، ولعل هذه الحقيقة توضح مدى شيوع هذه الوسيلة الهامة من وسائل الاتصال فى المجتمع المصرى ، والمرجح أن التوسع التدريجى فى مد شبكة الكهرباء على مناطق لم تصلها من قبل ، وانتشار أجهزة البطاريات والترانزستور ورخصها وسهولة

تداولها ، وتعدد خدمات الإذاعة وتنوعها وامتداد الإرسال على مدى النهار وأكثر الليل ، ثم رخص هذه الوسيلة من وسائل الترفيه والتثقيف والإعلام ، نقول من المرجح أن هذه العوامل مجتمعة قد أدت إلى انتشار الاستماع الاذاعى فى المجتمع المصرى .

الا أننا لا نستطيع أن نقدم تفسيرا مقبولا لهذا الغزو الإذاعى للريف المصرى خاصة ، والمجتمع المصرى بعامة ، الا إذا وضعنا عددا من المتغيرات والأبعاد الاجتماعية والنفسية ــ بالإضافة إلى التطورات التى طرأت على المجتمع المصرى بعامة موضع الاعتبار والنظر الفاحص.أن « ابى لغد » يذهب إلى أن التعامل مع الإرسال الإذاعى يمثل سلوكا سلبيا ، ولكننا لا نتفق معه فى مضمون هذا السلوك السلبى وأبعاده فتفسيره ــ كما يقول محمود عودة ــ قد يوحى بأن هناك نوعا من التكاسل يطبع القروى بطابع عدم الجرى وراء الأخبار والمضمون الاتصالى بوجه عام ولكن مدى هذا السلوك الاتصالى هو أن الراديو والإرسال الاذاعى يعد من المناشط الاتصالية التى لا تتطلب خصائص لمستقبلها كمعرفة القراءة والكتابة مثلا ، كما أنه يجمع بين ميزات الاتصال الجماهيرى وميزات الاتصال الطبقى فى آن واحد فهو حقا يبث إرساله إلى ملايين عريضة ولكنه فى نفس الوقت ــ يضمن هذا البث برامج وأركان طبقية فهو يخصص قسما للعمال وآخر للفلاحين وثالثاً للمثقفين وهكذا ، بل ان هناك قنوات إرسالية بأكملها خاصة بطبقات وفئات اجتماعية معينة .

ونخلص مما تقدم ، إلى ان أجهزة الثقافة ووسائل الاتصال بالجماهير ، فى ضوء فعالية كل منها ، ينبغى أن ينظر إليها من حيث الإفادة فى تكامل التثقيف والتهذيب والتوجيه والترويح عن الجماهير .

ولقد تبين مكان الإذاعة بين هذه الوسائل الجماهيرية ، وهو مكان لا يحجب هذه الوسائل ولا يشجب دورها ، ولكنه مكان متمم مروج لمضمونها فى آن واحد كما سيجىء وهو الامر الذى يجعل من اتخاذ برامجها الثقافية أمرا لازما فى مواجهة المشكلة الثقافية فى مصر ، لما تتميز به الاذاعة من انتشار وتأثير فى عقول الجماهير ، فهى تصل إلى كل ركن من أركان مجتمعنا العربى ، ويستفيد منها جميع المواطنين ، بل إنها تربط مجتمعنا بغيره من المجتمعات . فقد نجد اليوم قرية أو مدينة صغيرة من غير مكتبة أو مسرح أو سينما أو تليفزيون وقد « تصل الجريدة إلى بعض القرى النائية ، ولكنا نشك فى وجود قرية من غير جهاز للراديو ، ونشك اكثر فى وجود شخص متعلم او غير متعلم لا يستمع إلى الاذاعة سواء كان يملك جهازا أو لايملك . وانتشار الاذاعة بهذه الصورة يجعل فى الإمكان تسمية المرحلة الراهنة فى تطور البشرية بالمرحلة الاذاعية فى انتشار الثقافة بين الناس .

ومن ثم ينبغى أن تكون الاذاعة المسموعة محل اعتبار خاص فى مجال التطور الثقافى ، وليس مجرد أداة حديثة من أدوات التسلية والترفيه . بل انها لتكاد تكون العامل الحضارى الأكثر فعالية فى ربط شعوب الدول العربية عن طريق الإسهام فى إزالة فوارقها الثقافية والاجتماعية ، والعمل على إيجاد مزاج حضارى متوحد له صيغة عامة .

ومن هنا يبين الدور الأساسى للبرامج الثقافية فى تحقيق التكامل بين الاذاعة وأجهزة الثقافة ، ففى المسرح مثلا ، نجد أن للإذاعة المسموعة تمثيلياتها الخاصة الملائمة لإمكانات طبيعتها التى تقتصر فى تاثيرها على السمع دون الرؤية وفن كتابة هذه التمثيليات متأثر بتكنيك النص المسرحى والسيناريو السينمائى وان كان يختلف عنهما فى كونه يتصل بالأذن أولا . بالإضافة إلى تلك المشابهة الحرفية فى الصنعة التمثيلية ، فان تمثيليات الراديو تستقى مادة موضوعاتها من نفس مصادر الأدب المسرحى وأهدافه ، وعلى هذا ، يمكن للراديو أن يستوعب النشاطات المسرحية الحية عن طريق تسجيلها واذاعتها . ولتعويض البعد المنظورى الذى تفتقده المسرحية المذاعة يمكن أن يصحب التسجيل تعليقات المذيع وشروحه لأهم تحركات الممثلين وانفعالاتهم وأزيائهم ، ومن ثم يصبح تسجيل المسرحية فنا قوليا جديدا له أصوله وقواعده .

ويمكن للراديو من خلال برامجه الثقافية أن يقدم النتاج الثقافى الرفيع سواء كان محليا أو عالميا مترجما ، على أن يكون للمسرحيات وأبحاثها نصيب محمود فى فترة الإرسال ، ذلك أن الهدف الحقيقى من البرامج الثقافية هو توصيل المعارف الفكرية والفنية إلى مستمعى المدن والقرى البعيدة المحرومة مما تنعم به العواصم من مؤسسات تثقيفية وترفيهية .

ويمكن للبرامج الثقافية أن تفعل نفس الشىء مع السينما ، ذلك أن السينما فن مصنع ، ومن المعروف أن لها علاقة قرابة بالمسرح والاذاعتين السمعية والمرئية ، وتتحدد تلك العلاقة أساسا فى أنها جميعا فنون تمثيلية ، وان اختلفت الوسيلة والصياغة العامة ، ودرجة التقيد بحدود الزمان والمكان .

فالبرامج الثقافية فى الراديو اذن ينبغى أن تقدم بعض النصوص الدرامية وتاريخ المسرح والسينما كوجه من أوجه الحضارة الانسانية ، كما ينبغى أن تقوم بمسرحة بعض المواد الثقافية القابلة للمسرحة .

ملخص :

تحدثنا فى هذا الفصل عن تنوع المادة الثقافية والموضوعات التى تقدمها البرامج الثقافية فى شتى ألوان الثقافة والعلم والإنسانيات . وقد تبين :

١ – أن البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب تعنى بتحقيق التكامل مع أجهزة الثقافة والفنون ، بحيث تحقق صلة بين المستمع وهذه الأجهزة كالمسرح والسينما .

٢ – أن البرامج الثقافية فى الاذاعتين تعنى بتنمية الوعى القرائى ومحاولة الحفاظ على الكلمة المطبوعة كوسيلة للتثقيف من خلال الترويج لها ببرامج تعنى بالكتب والمجلات .

٣ – أن البرامج الثقافية فى الاذاعتين تعنى بتنمية التذوق الفنى من خلال تقديم برامج خاصة بالفنون التشكيلية والموسيقى .

٤ – أن الاذاعة يقع عليها عبء كبير فى مواجهة العوز الثقافى الناجم عن عدم توافر الأجهزة الثقافية الأخرى بما يكفى لسد الحاجات الثقافية للمواطنين وقد تأكد هذا العوز وفقا لمقياس اليونسكو على النحو المتقدم ، ويقتضى ذلك أن تقوم الاذاعتان بمواجهة هذا العوز الثقافى عن طريق زيادة ساعات الإرسال المخصصة للبرامج الثقافية ، وبخاصة التى تعنى بتحقيق التكامل مع أجهزة الثقافة والفنون .

الهوامش

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المؤتمر الاول للوزراء المسئولين عن الثقافة فى البلاد العربية ـ عمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية ٢٠ ـ ٢٣ ديسمبر ١٩٧٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥

(٣) عبد المنعم الصاوى : المرجع السابق ١٦٥

(٤) وزارة الثقافة : السياسة الثقافية ـ مرجع سبق ذكره ص ٩١ .

(٥) الدكتور محمد مندور : الثقافة واجهزتها ص ١٧ .

(٦) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مؤتمر المسرح فى الوطن العربى دمشق ١٥ ـ ٢٢ مايو ١٩٧٣

(٧) وزارة الثقافة : سجل الثقافة١٩٧٢ ـ القاهرة ص ٢١٨ .

(٨) د . محمود فهمى : الصوت والصورة ـ (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية د . ت) ، ص ٢٥ .

(٩) احمد المصرى : بناء البرامج الموسيقية فى الفن الاذاعى يناير ١٩٦٠ .

(١٠) د . حسين نصار(مترجم) كتاب : مصادر الموسيقى العربية تأليف هنرى جورج فارمو ـ مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٦ـ المقدمة .

الفصل السابع

الأدب والبرامج الثقافية

نتحدث فى هذا الفصل عن الأدب فى البرامج الثقافية ، بعد أن تحدثنا عن الفنون تأسيسا على أن البرامج الثقافية تعنى بدوائر ثلاث هى : —

الفنون والأدب وتبسيط العلوم ، والدور الأدبى للبرامج الثقافية يرتبط بدور الإذاعة فى خلق الوعى الجمالى والاجتماعى عند المستمعين ، وتربيتهم من ناحية الذوق ، ومن هنا يبدأ التقاء الاذاعة بالأدب .

فالاذاعة وسيلة من وسائل تقديم الأدب والفن بصوره المختلفة إلى الناس ولأن الاذاعة وسيله جماهيرية سمعية فاعتمادها كبير على الكلمة وفنونها ، ولأن الأدب فن الكلمة ، يأتى الالتقاء الواضح بين دنيا الاذاعة ودنيا الادب ، ليس لأن الكلمة وسيلة تعبيرية فحسب ، بل لأن هناك مجالات أخرى لهذا اللقاء[1] .

فالأدب تعبير عن الوجدان وسيلته الكلمة المكتوبة ، والاذاعة تعبير عن الوجدان وسيلتها الكلمة المذاعة ، فالأدب يخاطب وجدان الناس ويعبر عنه والاذاعة تتجه بالاصل إلى هذا الوجدان ، وهى لا تعطيه وحسب وإنما هى تساهم فى خلقه وتطوره أيضا[2] .

وفى أول الامر كان يكتفى بأن يكون دور الاذاعة بالنسبة للادب هو نقله كما هو للمتلقين ، فتقرأ قصائد الشعر او القصة او المقال النقدى كما كتبه الكاتب دون تحوير او تدخل . إلا ان الاذاعة سرعان ما بدأت تفرض سلطانها على الاعمال المقدمة إيمانا منها باختلاف الصوت المسموع عن القراءة فى طبيعة تلقى كل منهما .. فالقراءة للادب مباشرة من الكتاب المطبوع لا تحتاج الا الى العين وهى بهذا ترغم العقل كله على التركيز فيما تتلقاه العين ، وتتيح للخيال ان يقوم بدوره فى تجسيد معانى ما يصل الى العقل عن طريق العين اما التلقى عن طريق الاذن وحدها ، وهذه هى الحاسة الوحيدة التى تحتاجها الاذاعة لتصل الى المستمع فيختلف بالضرورة والطبيعة عن التركيز والتفرغ الذى يتيحه التلقى عن طريق القراءة المباشرة(٣) .

وكان لابد ان تخلق الاذاعة لنفسها ادبها الخاص الذي يراعى احتياجاتها الصوتية من حيث الشكل ، والذى يستهدف جماهيرها العريضة من ناحية المضمون ، والذى يحدد لنفسه رسالة ثابتة وهى ان يكون تعبيرا عن وجدان الجماعة متأثرا بها ومؤثرا فيها .. ونشأ بهذا مجموعة من الكتاب يكتبون للاذاعة مباشرة وفى تصورهم الشكل الذى سيصدر به العمل ، والمؤثرات الصوتية والموسيقية والغنائية التى ستساهم فى تحديد شكله النهائى — ثم يخضع عمله هذا لاحساس المخرج وتفسيره لإمكانات الممثل الاذاعى وحسه وقدراته الصوتية وبراعته فى التعبير والاداء(٤) .

وكما خلقت التمثيلية الاذاعية خلق البرنامج الممثل،وخلق البرنامج الخاص وخلق البرنامج المنوع ، وخلق البرنامج الاخبارى .. واستطاعت الاذاعة ان تشكل كل ما تقدمه وفقا لمتطلباتها الصوتية فى دنيا الفن والادب والعلم .. وأصبح كاتب المادة الاذاعية كاتبا متخصصا له مواصفاته وخبراته ، وله قدراته وإمكاناته وله حسه بالصوت وبامكانية الكلمة المسموعة — وفى مختلف اللغات اكتملت الدورة،حين تم طبع الادب الاذاعى المكتوب للاذاعة أصلا فى كتب متداولة ، وحين أصبح له نقاده المتخصصون الذين يضعون المقاييس الفنية ، ويزنونه طبقا لقواعد الفن الاذاعى الراسخ للتقاليد والمواصفات (٥)

الأدب الاذاعى :

وهنا يرقى بنا الدكتور يونس درجة أخرى فى البحث ، لنقف عند الأدب الذى يتوسل باللغة ... ولا حاجة بنا إلى تكرار القول بأننا يجب أن نفرق بين اللغة المنطوقة المجهورة ، أى لغة الحديث والخطاب ، وبين تلك الرموز التعسفية على خطورتها وجلال مهمتها ، التى اصطلحت البشرية عليها ، وهى الرموز التى عرف تركيبها بالتدوين أو الكتابة ، وما تحمله من تمثيل الصوت(٦)

وما دمنا نعرض لموضوع البرامج الثقافية فى الاذاعة ، فمن الواجب أن نعترف بما أدته الاذاعة للأدب من ناحيتين أساسيتين : الأولى ، أنها أعادت للأنواع الأدبية المجهورة كالخطابة والإنشاد ، وما إليهما ، مكانها من التفنن الأدبى وكأن التدوين قد قضى على هذه الأنواع أو كاد ، والثانية — هى أنها أكدت الخصيصة الأولى للأدب باعتباره فنا تعبيريا كسائر الفنون الجميلة ، لا يختلف عنها إلا بالوسيلة التى يتوسل بها وهى اللغة ، وبذلك خلصته من شوائب كثيرة خالطته فى العصور الوسطى ، فى الشرق العربى والغرب المسيحي على السواء ، حين كان الأدب يرادف المعرفة المتسعة والأخذ من كل شىء بطرف ، أو يدل على صناعة يمتهنها نفر من الناس أكبوا على تعليمها طلبا للصلات والجوائز واشباعا لرغبات السلطان(٧) .

وعند الحديث عن « الأدب الاذاعى » نجد أن للكلمتين ظلالا كثيرة تتخلق فى فكرنا وأذهاننا ، فالأدب مستمد من الكلمة اللاتينية (Littera) التى تعنى بدورها رسالة أو كتابا « Lettre » وتعرف كذلك أن « الرسائل » فى نظامنا المكتوب تعنى مجموعة من الحروف الطباعية أو الكتابية بمعنى علامات تساعدنا على التسجيل بالكتابة للاصوات المنطوقة(٨) .

ونرى أن الصوت لا يمكن أن ينفصل عن هذه الرموز التعسفية ، لأن هذه الرموز لها وظيفة المفهوم وتثبيت الصوت أو تجريده . ونرى أيضا أن فكرة العمل الأدبى تشترك جنبا إلى جنب مع الصورة المرئية للصفحة المكتوبة والمغطاة برموز مكتوبة باليد أو مطبوعة(٩) .

وان مؤلف العمل الأدبى يصبح كاتبا ecriviain عندما يؤلف أعمالا يقصد بها القراءة أو التمثيل « فهو عندما يؤلف انما » يكتب والمستهلك لعمله هو القارىء « Lec-teur » بمعنى أنه انسان يقرأ بعينيه وفى هدوء دون حاجة إلى النطق أو الاستماع إلى نطق الكلمات التى يقرؤها(١٠) .

وهكذا ، فان الأدب وحتى اختراع الاسطوانة والراديو ظل « فنا » يتطلب الهدوء والصمت ، فالمؤلف أو الكاتب يسجل كلماته فى هدوء . وبإيجاز ، فان عالم الأدب قد أصبح عالما هادئا على الرغم من التقدم الطباعى ، وسنحاول أن نتعرف عما اذا كانت الوسائل الآلية قد غيرت مفهومنا للأدب .

نفترض أن الراديو والاسطوانة غير موجودين ، ويمكننا أن نتخيل هذا العالم بالنسبة للأدب ، حيث يكتب البعض فى هدوء ، ويقرأ البعض فى هدوء ولكن هذا العالم لم يلبث أن تعكر صفو هدوئه بسبب ضجيج صالة التحرير فى الصحيفة ، وأصوات ماكينات الطباعة وما تحدثه من ضوضاء .

تحدثه

ولكن إلى أن نفترض أن هذه الصورة تتفق مع الواقع ، علينا أن نتساءل هل للكتابة أهمية أقل فى الترويج للثقافة الادبية . ان « تاردو »[١١] لا يعتقد ذلك ، وان ظهور المطبعة جعل دور الكلمة المكتوبة فى الاتصال الثقافى والأدبى كبيرا . يقول تاردو[١٢] :

« ان فكرة الفن الأدبى ترتبط من قديم بفن الكلمة المكتوبة ، وكيف يكون الأمر خلاف ذلك ما دام الفن الأدبى هو فن تغيير ونقل وتكوين صور أدبية واداة تكوينها ؟

« ان الفن الأدبى يقوم على الشكل التكوينى كما يقوم على المونتاج ، شأنه فى ذلك شأن الفن السينمائى » .

وهكذا فانه يرجح أن الرموز المكتوبة فى العصور حتى البدائية منها ، وكذلك اللغة الانسانية تبودلت وطابقت وتطابقت . كل لغة منها كان لها وظيفتها الميتافيزيقية فهى تربط الانسان بالعالم المحيط به ، ويمكن القول إنه فى كل العصور كانت الكلمة المنطوقة وشقيقتها المكتوبة فى الأدب متلازمتين فى عرض الأشكال الفنية للأدب ــ وفى إحدى المرات ذكر أحد الفلاسفة موضوعا لافلاطون حيث كان يقول لسقراط : « الكتب هى الوسيلة التى يعتمدها الانسان الذى ينسى بسرعة . فالإنسان يرجع للكتاب ولا يعتمد على ذاكرته ويضيف « بارين » ان سقراط قد تخيل نوعا من المدنية التى فيها يتخيل مدينة جميلة تقوم على الخيال . ولقد كان سقراط يريد من وراء ذلك أن يعرف معنى اللغة ، فالإنسان لذى ينطق بلغة يبقى وراء هذه اللغة ليجيب عليها وليطبقها وليراقبها[١٣] » .

هكذا ، ومنذ سقراط نجد أن الكتاب فى معركة تنافسية مع الكلمة المنطوقة كوسيلة للثقافة ، وربما كان لسقراط حنينه الخاص إلى الماضى ، حيث اللغة فى أصلها لغة منطوقة ، تستقبلها الأذن ، وتستوعبها الذاكرة ، كأساس للثقافة والاتصال البشرى .

من هذا المنظور المنطوق للاتصال الأدبى ، نرى استمرارية البقاء للكلمة المنطوقة عبر التاريخ ، ونذكر فى هذا الصدد المقال الذى أشرنا إليه لسنجريا عن التروبادور والراديو ، فالتروبادور مجرد بهلوان فى الحفلات يستحوذ على الانتباه وتفرده ، ماذا كان يقول الشعر المنشد فى القرون الوسطى فى فرنسا : الحب ، حقيقة ، فى قالب شعرى ما هو ، ثم يتلو الأنباء والنشرة الجوية .

وان الكلمة المنطوقة فى الأدب لم تختف ، بل سارت جنبا إلى جنب مع الكلمة المكتوبة ، وحسب الظروف ، فإن الفن الأدبى يقدم إما فى شكل مكتوب أو فى شكل اذاعى .

ان نمو الكلمة المكتوبة قد ارتبط فى القرون الأخيرة بتقدم الطباعة ، ومن الخطأ ان يقال إن الحياة المجهورة للأدب قد اختفت نتيجة لاكتشاف المطبعة الذى يسبق عصر اكتشاف الراديو ، والكتاب فى كل الأوقات سواء كان مخطوطا أو مطبوعا ، يعنى دائما التحليل والتدوين والتوثيق للحياة الأدبية ، واذا حاولنا أن نضع جدولا تاريخيا ، فإننا يجب أن نضع المسرح فى المكانة الأولى ، إلى جانب الفنون الأخرى ، إن الاعمال المسرحية التى يمكن أن نعجب بها لها قبل كل شىء محتوى أدبى ، حيث إن الرسالة الأدبية هذه تتطلب قراءة هادئة تسمح بالتخيل(١٤) .

وتجىء أشكال الاتصال الأدبى والثقافة المجهورة التى ظهرت خلال القرون لتؤكد أنها كانت مقنعة وفعالة ، حينما ظهرت فى الندوات الأدبية أو من خلال مدرسة فكرية . وفى هذا المجال يجب أن نتعرف على طبيعة النقل المنطوق للثقافة ، ويذهب جان تاردو(١٥) إلى أن الراديو والكتاب ، على الرغم من عداوتهما الظاهرة يجب عليهما أن يتآزرا فى مواجهة الخطر الجديد المتمثل فى التليفزيون ، كما يذهب إلى أن الراديو يجد نفسه موضوعا فى منتصف الطريق بين القراءة الصامتة والتجسيد الكامل المرئى والمجهور للوجود الإنسانى (المسرح — السينما) ، أما الراديو فيضع المستمع من الناحية النفسية فى منتصف الطريق بين التخيل الباطنى والتعبير الكامل المجهور . هذا الوضع الممتاز يسمح للأدب الاذاعى أن يطور قدراته فى اتجاهين أساسيين :

الشعر — الخيال الشعرى السريالى — وفى الحالة الأولى فإن فى مقدور الراديو أن يقدم للشعر إمكانية التنشيط واستخدام الإمكانات الصوتية بينما كان الشعر مختفيا قبل أن يذاع من خلال الراديو(١٦) .

وفى المجال الأدبى ، فإن الراديو ينتخب عينة أدبية بعد استفتاء الرأى العام لاختيار العمل الجديد الذى يقدم من خلاله ، مع مراعاة التوقيت المناسب ومن ذلك يتضح أن الراديو يقدم للادب خدمة جليلة ، فهو يحفز المستمع الذى يعجب بعمل ادبى مذاع إلى قراءة « العمل نفسه ، بعد اذاعته . وعلى الرغم من ذلك فان الكتاب سيظل سيد الوسائل بالنسبة لنشر الأدب(١٧) » .

إن المستمع لكى يتفهم العمل الأدبى جيدا ، يجب أن يقرأه ، وأن يستمع إليه كذلك ، مما يساعده، على تمثل العمل على أفضل نحو ممكن ، وثمة حقيقة أخرى ، لا يمكن أن ننكرها على الاذاعة ، وهى أنها جعلت تذوق الأدب حظاً شائعا لجميع الناس بلا استثناء ، على اختلاف طبقاتهم ومهنهم ، ولم تجعله مقصورا على فئة قليلة من القارئين الذين أتيح لهم أن يعرفوا القراءة والكتابة لأن الأدب الاذاعى سمعى يتوسل

بالكلام ، وليس بصريا يتوسل بالكتابة . ولذلك نستطيع أن نذهب مع الدكتور يونس[١٨] بلا تحفظ إلى أن الاذاعة خرجت بالأدب من دائرته الاستقراطية القديمة وجعلته أدبا ديمقراطيا ، يتصل بقوام الشعب كله ، وحطمت الابراج العاجية فى التذوق ، كما حطمتها عوامل أخرى فى الابداع ، وليس المعنى المقصود أن الاذاعة جعلت الفن القولى أدبا شعبيا بالمفهوم الخاص للادب الشعبى ، ولكن المراد انها وصلت بين هذا الفن وبين الشعب ، واصلته فى نفسه ، وجعلته يتفاعل معه ، يحقق شخصيته كما يحقق شخصية الفرد المبدع له[١٩] .

القصة والادب الدرامى :

فى البرنامج العام وصوت العرب :

يقدم البرنامج العام بالاضافة إلى التمثيليات الاذاعة ، برنامجين يترسلان بالدراما الاذاعية وهما :

١ – برنامج « من القصص العالمى » الذى يقدم ٤٥ ر ١٢ مساء الاربعاء من كل أسبوع .

٢ – برنامج « مواقف درامية » الذى يقدم الساعة ٣ من بعد ظهر السبت من كل أسبوع .

أما صوت العرب « فيقدم بالاضافة إلى التمثيليات الاذاعية ، برنامج « عالم القصة » أسبوعيا فى مدة ربع الساعة ٤٥ ر ٨ مساء الثلاثاء وتعاد اذاعته ٣٠ ر ١١ صباح الخميس .

ومن هذه البرامج يتضح أنها جميعها تعنى بالادب القصصى المكتوب للقراءة وأنها تعيد تقديمه من خلال الاذاعة ، وهو يقدم من خلال الاعداد الاذاعى والاخراج الاذاعى ، لأن الاذاعة تقوم بدور خيال المستمع ، وتحل محله فى تجسيد العمل لعقله ووجدانه ، وتفرض عليه تفسيرها هى للنص الأدبى وتجسيدها هى له .

ويقول أمين بسيونى مدير صوت العرب « إن الأدب الاذاعى أصبح ضرورة ملحة للميكروفون خاصة اذا وضعنا فى اعتبارنا ان الاذاعة تعتبر أوسع أنواع الاعلام انتشارا خصوصا فى البلاد النامية حيث ترتفع نسبة الامية ، فاذا كانت الصحيفة العادية يقرؤها عدة آلاف من الناس فإن الاذاعة صحيفة الملايين ، ونضيف أن افتقار الاذاعة إلى كبار كتابنا مثل توفيق الحكيم والسباعى وغيرهم هو الذى جعل الاذاعة تسعى لتكوين جيل كبير من المعدين المتخصصين فى اعداد العمل الأدبى الاذاعى لهؤلاء الكتاب دون أن تحاول أو تسعى — للاسف فى استنبات أو خلق كاتب واحد متخصص فى الأدب

المسموع ، كما أن الأدباء الشبان انفسهم نجدهم يندفعون إلى طبع مؤلفاتهم ، اما فى مجموعة قصصية أو مسرحية أو ديوان من الشعر[٢٠] لأن هذه الطريقة هى الوحيدة التى تضعهم فى مصاف الادباء والكتاب بخلاف ما يحدث اذا كتبوا تمثيلية اذاعية وان كتبوا منها المئات فلن تضعهم فى يوم من الأيام فى مصاف الأدباء المرموقين[٢١] وان كانت هذه النظرة فى حاجة إلى تصحيح ، بعد أن لاحظ الكثيرون من نقاد الأدب المعاصرين تأثير الفن الاذاعى على الكثير من ألوان الادب القصصى والمسرحى الجديد واستطاعوا أن يجدوا بصمات هذا الأدب فى أعمال أصحاب الموجه الجديدة فى دنيا المسرح ودنيا القصة مما يؤكد أثر الاذاعة فى التأثير على أشكال التعبير الادبى[٢٢] .

الادب الدرامى :

وكان من الطبيعى أن تحتفل الاذاعة بالادب الدرامى ، لأنه صورة من صور التعبير الديمقراطى ، فالدراما لم تزدهر فى مجتمع من المجتمعات ، حتى وان كان التمثيل فيها خاصا بالملوك ، الا بظهور فكرة ديمقراطية ، ومع ذلك فقد وجدت الاذاعة أن الدراما لا تقوم بالحوار وحده ، وإنما بعناصر أخرى مرئية تبرز المشاهد والأشخاص والحركات ، وكان لزاما على الاذاعة التى تتوسل باللغة والصوت ، وتستغل الاذن أن تترجم سائر العناصر المرئية فى الدراما إلى عناصر مسموعة[٢٣] . وان كانت الدراما تنقسم إلى « مشاهد » على المسرح ، فانها تنقسم إلى « مسامع » فى الاذاعة ، ولما كانت الاذن لا تستطيع التركيب المعقد الذى تستطيعه العين ، فقد كان من الضرورى أن تركز التمثيلية الاذاعية ، وأن تتحدد شخصيتها البارزة ، وأن يبرز سياقها وتطورها ، وأن تتواصل أحداثها ، وألا تتوقف فترات كما تتوقف الدراما المسرحية التى تنقسم إلى فصول . ومع ذلك فقد أضافت الاذاعة — على حد تعبير الدكتور يونس[٢٤] — تأثيرا آخر فى الأدب الدرامى ، وهو تحديدها للاطار الخارجى ، بتحديد الفترة الزمنية التى تستغرقها التمثيلية الاذاعية ، مثلها فى ذلك مثل المسرح فى تحديد الزمن الذى يستغرقه التمثيل ، ومثلها فى ذلك مثل الصحافة فى تحديد المقالات والقصص تحديدا حتمته مساحة الجريدة أو المجلة ، واختلف بذلك الانتاج الذى ينشر عن طريق الصحافة عن الذى ينشر عن طريق الكتاب ولنترك جانبا الوحدات الارسططاليسية الثلاث : وحدة الزمان والمكان .. إلخ التى تقتضى زمنا معينا لا تتعداه ، ولندع جانبا الدراما اليونانية التى كان يستغرق عرضها ساعات أو يوما أو اثنين ، ولكننا نتكلم عن الدراما المسرحية التى تستغرق ساعتين ونصف الساعة ، أو ثلاث ساعات على أكثر تقدير ، والتى تتكون من فصلين أو ثلاثة فصول ، يشتمل كل منها على مناظر ... أما الاذاعة فتعتمد على الأذن ، وهى ليست كالبصر الذى يعتمد على تعقيد المرئيات ، فهى تسمع شيئا منسابا كالتيار

المنساب ، بينما البصر يستطيع أن يلمح فى لحظة واحدة منظرا معقدا ، متعدد العناصر المتلاحقة أو المتوقفة ، ودرجة الملل فى البصر اقل منها فى الاذن ، إذ إن السين ارقى ، والاذن أقوى وبخاصة من الناحية الاجتماعية ، ولكنها بطبيعة الحال محدودة[٢٥] .

ولذا كانت التمثيلية الاذاعية فى تحديدها الزمنى أقل من التمثيلية المسرحية أو السينمائية ، فما يطلق عليه بالمشهد الكبير « الذى يتجمع فيه عدد كبير من الأشخاص قليل فى الاذاعة ، ويحدث فى ومضات صوتية سريعة ولا تتوقف زمنا طويلا كما هو الحال فى السينما والمسرح ، وهكذا حددت الاذاعة الزمن وبسطت الحادثة من حيثا الأشخاص ، ومن حيث العقدة ، ومن حيث السياق مع الترجمة الصوتية الكاملة للعناصر المرئية[٢٦] .

ويقصد بالمسرح الاذاعى Le theatre Radiophonique .

الى أشكال ثلاثة هى[٢٧] : —

١ – إعادة نقل الأعمال الدرامية التى تم عرضها للجمهور فى المسرح أو التى اذيعت من الاستوديو . وفى هاتين الحالتين يقتضى من المذيع أن يقدم تعليقا كافيا يصف فيه الديكور والعمل الذى يؤديه الممثلون ، ويدقق فى تعبيراتهم حتى يتمكن من نقلها بوضوح .

٢ – يقوم الراديو باذاعة أعمال أدبية ، « قصص - أخبار — روايات الخ » ، ويمكن أن تكون اذاعة هذه الاعمال على شكلين أولهما ، القراءة بصوت أو أكثر للعمل فى مجموعه . وهذا النوع من الإرسال يمس جمهورا عريضا بسبب طبيعة العمل وبسبب خصائص صوت القارىء ، الذى قد يكون مؤلف العمل نفسه ، فيقدمه فى صورة جيدة ، أما الشكل الثانى ، فيدخل فى مجال العمل الدرامى المؤلف خصيصا للراديو ، ذلك أن تبنى العمل الأدبى الذى ألفه متخصص فى الكتابة للاذاعة يحرص على احترام هذا العمل عند تقديمه للاذاعة ، فيراعى مقومات الاتصال الاذاعى مستخدما الصوت المعبر

٣ – الأعمال الأدبية المؤلفة خصيصا للراديو ، وهى هنا تراعى دائما مقومات المسرح الاذاعى ، هذه الأعمال يمكن أن تنقسم بدورها إلى شكلين :

أ — الاعمال المؤلفة للاذاعة ، ويمكن تقديمها أيضا على المسرح أو الشاشة .

ب — أما الاعمال المؤلفة خصيصا للراديو والتى تفقد مقوماتها الأدبية إذا حاولنا تقديمها فى وسيلة أخرى للتعبير ، فانه لا يجوز تقديمها الا من خلال جهاز الراديو .

ومن ناحية أخرى فان الظروف المادية للاستماع الاذاعي ليست هي نفسها عندما نشاهد مسرحية على المسرح أو رواية في السينما ، فهناك صوت الضجيج في الشارع والمحادثات والتعليقات ورنين التليفون ، كما أن هناك الظروف الخاصة بالمستمع الذى يملك حرية كبيرة في الحركة ، أي في مقدوره أن يقوم أو يتحرك دون أن يمنعه أحد . وهنا نفقد عنصر الانتباه ولذلك فان الذين يقدمون برامج الاذاعة سواء كانت تمثيليات أو غيرها يراعون ظروف الاستماع الملائمة فيختارون الوقت الهادىء والمناسب للمستمع بعد الغذاء مثلا ، أو في المساء أو بعد العودة من العمل ، وعلى الرغم من ذلك فانهم لا يستطيعون الاحتفاظ بانتباه المستمع ، الذى يستطيع بحركة من اصبعه أن يوقف حركة الاستماع[٢٨] .

ونخلص من ذلك إلى أن ظروف الاتصال الاذاعي ظروف خاصة ، لأن الاستماع ليس استماعا جماعيا ، اللهم الا استثناءات بسيطة مع الأسرة مثلا . ومن ذلك يتضح أن جمهور الاذاعة مختلف لأنه جمهور متعدد ، وليس في الإمكان حصره ولا يتصل بعضه بالبعض الآخر[٢٩]

ومن جهة أخرى فان التسجيل الاذاعي لمسرحية ما يراعى عنصر الوقت ، كما تقدم ، وهي مسألة في غاية التعقيد ، فبرامج الاذاعة التى تذاع يوميا تعد بقسوة مطلقة ، لأن جميعها محدد وقته ، وليس في المقدور الهروب من ذلك ، فأى إرسال لابد أن يحترم مدته الموقوته ، حتى لو كانت قصيرة وفى اذاعة الدولة كالاذاعة المصرية لا يذاع الاعلان ، الا في اذاعتى : الشرق الأوسط ، والشعب ، أما صوت العرب والبرنامج العام فلا تقدمان اعلانات على الاطلاق ، وذلك على النقيض من الاذاعات الاهلية التى تقدم الاعلانات حيث يساوى الوقت الاذاعي ثمنا غاليا يدفعه المعلن . ولقد استطاعت الدراما الاذاعية أن تتطور في البلاد التى تخضع الراديو لإشراف الدولة وتنأى عن سيطرة الإعلان[٣٠]

ولقد بدأت أهمية انتاج الدراما الاذاعية تتضاعف في العالم ، فالراديو مشروع أو جهاز كبير للمستمع الذى يوجد في كل مكان ، وفى دراسة « لجان لسكير » Jean Lesa-cure عن الراديو والأدب تتضمن أرقاما من فرنسا في عام ١٩٥٥ تشير إلى أن الاذاعة تخصص ٧٣٦ ر ٣٢ ساعة للبرامج الفنية والثقافية التى تهتم بها اهتماما بالغا . وان انتاج التمثيليات يلعب دورا كبيرا في حياة الكتاب فالادب يتغذى من الاذاعة ، أى أن الاذاعة قد خدمت الادب لأنها اذاعته بعد أن كان مختفيا بين أضابير الكتب وفى ايطاليا وانجلترا والولايات المتحدة ، فان السينما والتليفزيون والراديو تقدم جميعا فرصة كبيرة للكتاب باذاعة اعمالهم[٣١] .

وفى بعض الأحيان تقدم الاذاعة أعمالا مترجمة من المسرحيات ، وذلك لايجذب انتباه العامة لأنها أعمال مستوردة تمثل عملا غير مفهوم بالنسبة للمستمع المحلى[٣٢] ، ومن جهة أخرى فان الدراما المذاعة تذاع وليس فى مقدورنا الاستماع إليها مرة أخرى ، مما يجعل فرصة النقد هنا أقل ، على النقيض مما تتيحه القراءة . والتمثيلية الاذاعية تقدم للمستمع الذى لا يراها ومن أجل ذلك تسمى التمثيلية الاذاعية[٣٣] . Theatre Paur les aveugles لانها تمثيلية غير مرئية تعتمد على المادة المسموعة كما تقدم .

ان العمل هو فعل وليس مجرد صوت أو كلام . ولتفسير ذلك نذكر الدور الذى كان يقوم به بطل العصور السابقة ، الذى كان يقوم بوصف وتصوير احداث ما لتمثيلية وقعت بالفعل من الحياة ، كذلك المذيع الان يقدم احداثا مسرحية منقولة ، وعليه أن يتمثل المسرحية جيدا حتى يصورها للمستمع تصويرا دقيقا . أما بالنسبة للأعمال المؤلفة خصيصا للراديو ، فان المؤلف يحرص على استخدام طريقة تعبير واضحة يسهل بلوغها للمستمعين ، لأنهم لن يشاهدوا العمل المسرحى وكذلك يجب أن يكون صوت المذيع واضحا ، ويروى المسرحية بجميع تفاصيلها فى تصوير دقيق ، وأن يراعى درجة السرعة Tempos ويعتمد على الموسيقى اثناء رواية المسرحية[٣٤] .

والعنصر الرئيسى فى المسرح الاذاعى هو العمل الادبى المؤلف للاذاعة وهو قد يكون فى شكل حوار Dialogue ولكن يجب أن نذكر أن الاذاعة تقوم على استخدام المونولوج افضل منه على المسرح أو الشاشة ، لأن المستمع للراديو فرد وليس جماعة ، ومن جهة أخرى فان السينما تعتمد على الصورة وفى ذلك ما يشد المشاهد إلى المقعد ، أما الراديو فان المستمع حر الحركة ، ويمكنه الانشغال عن مسرحية مذاعة ، وهنا تكمن ضرورة محاولة استهواء جمهور الراديو الذى يمكن أن يقفل الجهاز ويبتعد عن مضايقاته اذا رأى فيها ذلك . ولذلك يجب على المذيع الذى يوكل إليه تقديم رواية أو مسرحية عالمية أن يوضح صوته ويحدد نبراته ، فليس كل مذيع صاحب صوت صالح للاذاعة ، كما أن اللغة التى تصور الأحداث بقوة افضل بكثير من اللغة الجافة[٣٥]

ويقوم المسرح الاذاعى على اللغة اساسا وفى هذه الحقيقة ما يجعلنا نقول إن العمل المسرحى الاذاعى الجيد هو الذى يجعل الأذن « ترى » ، فالصوت يلعب دورا هاما ، والصوت المثالى Ideale هو الذى يعطى للعمل الجيد فعالية وتأثيرا ولذلك يحرص الراديو على استخدام أصوات ممثلين يمكنهم ترجمة الفعل إلى صوت واضح ، يكون ذا فاعلية عند المستمع[٣٦]

التمثيلية والبرامج الخاصة :

التمثيلية الاذاعية والبرنامج الخاص من أعلى مراتب الفن الاذاعى من ناحية الشكل والمضمون واستجابة الجماهير لها ذلك أنه تبدو فيها عملية الخلق الاذاعى كاملة فاذا كنا نستطيع أن نجد الحديث فى الكتاب والموسيقى فى الاسطوانات والاغنية وفى المسرح فان التمثيلية الاذاعية التى تنتقل عبر الزمان والمكان لا يمكن أن نجدها فى كتاب أو اسطوانة أو مسرح .

ولم تصل التمثيلية الاذاعية إلى شكلها الفنى الحالى الا بعد تجارب عديدة لقد ظن البعض فيما مضى أنه يكفى أن نضع الميكروفون فى مسرح وندعه ينقل إلى المستمعين أصوات الممثلين ولكنه بعد فترة أدركوا أن طبيعة الراديو تختلف عن طبيعة المسرح وأن الأول يعتمد كل الاعتماد على حاسة السمع فى حين أن المسرح يعتمد على النظر إلى جوار السمع فحاولوا أن يعوضوا المستمع عما ينقصه ، من عناصر الرؤية مما يجعل المذيع يصف للمستمع المنظر الذى تدور فيه الأحداث . أى المكان والزمان الذى تقع فيه هذه الأحداث وحركات الممثلين وتعبيراتهم وملابسهم والمؤثرات المسرحية المنظوره الأخرى كالاضاءة والماكياج ولكن هذا كله لم يحقق الظاهرة ، الإذاعية التى تمليها طبيعة الراديو وكان لابدَ من عمل تجارب آخر انتهى بوجود التمثيلية الإذاعية كشكل فنى متميز يجعل الأذن تمسك بصفات المنظر والحدث الذى يمكن أن تراه العين وبشكل يتفوق على حدود المسرح وتقاليده التى لا تمكنه من حرية الحركة والزمان والمكان وانتهى بذلك المسرح المعتمد على فصول مقسمة تحد من انطلاق الحديث وتتابعه وهذا أوجد للراديو مسرحا غير محدود ينقل إلى المستمع ودون أن يترك مكانه ودون ان يتكلف شيئا من حجز مكان أو ارتداء ملابس أى أن التمثيلية الاذاعية كما حققت حرية الفن وحررت الفن التمثيلى من القيود المفروضة عليه فانها حققت للمستمع حرية التلقى وحررته من القيود المفروضة عليه .

ولكن اذا كانت طبيعة الراديو قد حققت الحرية فان الحرية ليست مطلقة وهناك قيود تحددها وحتى نلمس هذه القيود فلنستعرض وسائل التعبير التى يجدها كل كاتب ومخرج من كتاب ومخرجى الفنون الدرامية تحت تصرفه .

كاتب السينما وسائله الحوار المؤثرات الصوتية ــ الموسيقى ــ التعبير بالوجه والحركات ومحاولة الممثل تجسيم الشخصية عن طريق الشكل الخارجى ، الملابس والمناظر والمؤثرات الضوئية وأدوات المسرح ، عدد كبير من الممثلين ، المناظر الطبيعية

وتغيير المناظر ، الحيل الفوتوغرافية الألوان ، اللقطات ، ولكن كاتب الاذاعة لا يستطيع أن يستخدم سوى الثلاث الأول وهى الحوار والمؤثرات الصوتية والموسيقية .

ومن خلال هذه العناصر الثلاثة يعمل الكاتب والمخرج الاذاعى فى التمثيلية دون عجز عن التعبير الكامل ، وسنرى أنه يستطيع بها أن يقدم كل العناصر التى تدفع المستمع إلى تصوير المناظر والأحداث بل وأن يتفوق بها على كل الأشكال الدرامية باعتبار أن للكاتب حرية الانتقال فى الزمان والمكان وتقديم ما لايستطيع أن يقدمه المسرح او السينما إلا بتكاليف ضخمة والمستمع للتمثيلية الاذاعية لن يكون مجرد مشاهد أو مراقب لما يجرى على شاشة السينما أو خشبة المسرح بل شريكا فى عملية الخلق باعتبار أنه يستخدم خياله لتصور ما يحدث وبالتالى فتقبله للتجربة الفنية أكثر كمالا لأنه مشترك فى الموقف وهناك قيد آخر على الكاتب وهو الزمن الذى يقدم فيه البرنامج فتمثيلية نصف الساعة مثلا بعكس المسرحية التى تستغرق ٣ ساعات أو الفيلم الذى يستغرق ساعة ونصف .

وعن طريق هذين الشكلين الاذاعيين : التمثيلية ، البرنامج الخاص تمكن المؤلفون من التعبير عن أمانى ومشاكل الشعب الثائر المتمثل فى العامل والفلاح والجندى والمثقف ولقد حرص المؤلفون على مهاجمة بقايا الأفكار الرجعية بجميع صورها وتعريف المواطن بماهية الروح الاشتراكية والكشف عن الاخطاء الواجب تفاديها .

ويتبين من ذلك أن البحث الفنى الدائب هو رائد العمل وان التجارب المتصله تفرض نتائجها التطبيقية فى مجال التمثيليات وهذا ما يكشف التحول من أسلوب التمثيلية ، ذات العنوان الثابت إلى التمثيلية الحرة ومن أمثلة التمثيليات ذات الإطار الثابت :

الوان من الحب

عرض لمختلف العواطف التى تحرك الانسان فى الحياة .

الناس والصيف :

الدعاية للمصايف المصرية وسلوك الجماهير غير المصيفة اثناء الفصل الحار .

فنان زمان :

توعية الجماهير بالفنانين الذين كرسوا حياتهم لخدمة الشعب .

اضحك مع :

تقديم نجوم الفن فى عالم الفكاهة من خلال تجاربهم المسلية .

حكمت المحكمة :

عرض للقضايا الهامة التى شغلت المحكمة .

غدا أو بعد غد :

تبسيط النظريات العلمية وبيان مستقبلها المنظور .

ذات يوم :

تقديم المناسبات التاريخية والقومية فى أسلوب درامى .

الخوف ممنوع :

تقوية عنصرى رباطة الجأش وضبط النفس فى المواطن العادى .

الحكم للمستمع :

مشكلة انسانية تهم أكبر عدد من المستمعين ويترك الحكم فيها لهم

نساء فى حياتهم :

بيان دور المرأة المناضلة وراء كل عظيم .

مسرحية ناجحة :

عرض وتقديم روائع المسرحيات ذات الفصل الواحد .

على فين :

مواجهة مشكلة « الهروب من المشاكل والدعوة إلى مواجهتها بشجاعة » .

من الشاشة للميكروفون :

تقديم الأفلام العاطفية ذات الأهمية الإنسانية .

مش معقول :

بيان تناقضات الأفراد ثم السلوك والتصرف .

مع الأدباء :

تقديم الأعمال الناجحة للأدباء بواسطة الأديب نفسه .

من كل بلد حكاية :

تعريف المواطن العادى بألوان الثقافات الفنية للشعوب .

لو مفيش :

برنامج يعرف قيمة الأشياء النافعة التى تستعملها ويبين المشاكل التى تنجم عن عدم وجودها .

وإلى جانب العدد الضخم من التمثيليات التى تقدم كل يوم فهناك جانب من البرامج الخاصة التى تعالج موضوعات معينة .

فاذا كانت التمثيلية الاذاعية تعالج مشاكل الحياة عن طريق ما نسميه بالخيال فأن البرنامج الخاص يعالج عن طريق الحقيقة فالبرنامج الخاص يعالج مشاكل النشاط الإنسانى الجماعى وانتصار الإنسان على الطبيعة ويقوم على الطريقة التحليلية لا الطريقة المستندة على الإثارة ويعطينا الصورة السليمة للحياة الطبيعية .

واذا كانت التمثيلية تقدم الشخصيات ممثلة إلى الميكروفون فالبرنامج الخاص عكسنها فان الميكروفون يذهب الى الشخصيات فى بيئتها ويجعلها تتكلم حسب الموقف ويتم التسجيل ثم نختار ما نريده من هذه التسجيلات وهذه العمليه تعطينا معلومات أكثر من المعلومات المقيدة بنص مكتوب

وتقدم الاذاعة كثيرا من البرامج الخاصة مثل شخصيات تبحث عن مؤلف وهى تقدم الشخصيات الانسانية التى تعمل فى دأب وجد وصمت بعيدا عن الاضواء وبيان مدى مساهمتها فى العمل البناء الخلاق للمجتمع الجديد وبرنامج ٤٦١٢٠ الذى يعتمد على اشتراك الجمهور فى حل المأزق الذى وقع فيه أحد ابطال التمثيلية عن طريق المكالمات التليفونية الخاصة من المستمع الى الاذاعة مما يساعد على ربط المستمع بالاذاعة كمصدر للمشاركة فى تكوين الرأى والتوجيه وفى جميع المناسبات الوطنية والتاريخية والقومية تعرض المناسبة وتوعية الجماهير بمضمونها الحقيقى .

وبرنامج من الحياة الذى يضم ويقدم مشكلة أحد المستمعين عن طريق خطاب يرسله للاذاعة التى تقدمه عن طريق الميكروفون بشكل درامى مناسب .

ملخص :

١ ــ وهكذا احتفلت الاذاعة بالفنون الادبية وطوعت الإمكانات الاذاعية لها ، فالى جانب التمثيلية والبرامج الخاصة إحتفلت ايضا بالقصة المرسلة طويلة كانت أو قصيرة ، وهى تعرضها قراءة خالصة أو مصحوبة بعناصر موسيقية تهيىء الجو وتحكى التطور وفضلت القصيرة على الطويلة لنفس الاسباب التى تجدثت عنها المؤلفة ، وعملها فى هذه الناحية كما يقول الدكتور يونس(٣٧) يماثل عمل الصحافة وان كان النص فى الاخيرة ، ثابتا يستطيع المرء ان يتأمله وان يستعيده متى شاء وان يتمثله كما يجب .

التفنن

٢ ــ وكانت للاذاعة محاولات كثيرة فى ابراز الشعر الذى استوعب التفنن الادبى عصورا متطاولة والذى كان له الصدارة فى حياة الادب حتى اخمل النثر الفنى ثم اخذ ينحدر عن القمة شيئا فشيئا وتعرض لازمة شديدة اختلف النقاد فى تشخيصها وتعليلها وعلى الرغم من هذا كله فقد احتفلت الاذاعة بالشعر واستغلت جميع المواهب ، لإحيائه وابرازه ، والتفنن فى إنشاده وعرضه على الأسماع وكان احتفال الاذاعة بالشعر مقطعا وغير مقطع يساير نزعتها الديمقراطية فخلصته مما كان يروق للاجيال الماضية من البهرج والزخرف ، والترصيع وسائر المحسنات اللفظية واعادت للعنصر الموسيقى فيه مكانة من المشاركة فى التعبير لأن الاذاعة ذات الحس الصوتى لايمكن أن تغفل الموسيقى الشعرية وما فيها من دلالات مباشرة وغير مباشرة واستغلت الاذاعة الموسيقى الخاصة فى عرضها لمقطوعات الشعر وقصائده كما فعلت مع القصة القصيرة مهيئة للجو وتأكيدا لمختلف النوازع والخواطر التى يعبر الشعر عنها . بيد أن أهم تأثير للاذاعة فى الشعر كما يقول الدكتور يونس انما هو الخروج به عن عزلته القديمة والانحدار به من جبال أو لب أو وادى عبقر وتوثيق الصلة بينه وبين الحياة فاعانت الاذاعة على توسيع دائرة الشعر فى الموضوعات مع التنوع فى الاغراض وعنّيت بنبضات الوجدان القومى فى الاحداث العامة عناية حررت الشعور من رق المناسبة المحدودة عند الشاعر القديم ومن ثم برز الشعر القومى ووجد النشيد الجماعى الذى يضيع فيه الحاجز بين الشعر وبين الجماعة(٣٨) ولقد لاحظنا اختفاء برامج الشعر من خريطة البرنامج العام فى حين يحتفى صوت العرب بها .

٣ ــ وما يقال عن الشعر يقال عن سائر انواع الادب الاذاعى ومهما يكن من اتصال الشعر الحديث بالحياة والناس فان الزجل العامى قد اتخذ طريقه الى الصف الاول وصقلت حواشيه وتنوعت اغراضه .أما الاغنية القصيرة والموال فأمرهما مشهور ولايحتاج الى بيان(٣٩) .

٤ ــ ولكن المؤلفة قد لاحظت أن البرامج الثقافية لم تعن بالتراث الادبى العناية المنشودة ، فهى حين تقدم مقتطفات لغوية فى برنامج « لغتنا الجميلة » بالبرنامج العام مثلا ، تكتفى بذلك ، فى حين ينبغى على صوت العرب بخاصة وعلى البرنامج العام كذلك العناية بتقديم برامج خاصة بالتراث الادبى ، سيما وأن « ضحايا الحضارة الحديثة ، الذين لم يفهموها على وجهها الصحيح والشعوبية الجديدة والشباب الذين سعوا الى ادراك التراث العربى خانتهم الادوات وقعدت بهم السبل ، فغالوا فى ازدراء الادب العربى غلو الاولين فى إيثاره واكباره(٤٠) » .

وتجد المؤلفة فى دعوة طه حسين الى إحياء الادب القديم أو المحافظة عليه،أساس العناية بالتراث الادبى فى الاذاعة ذلك أن الاسباب تتجمع لتدعم دعوة طه حسين :

فالحضارة الحقة لا تنكر القديم وانما تحث عليه لانها تقوم على اساس منه متين . ولولا القديم ما كان الحديث . فليس التجديد فى إماتة القديم . بل فى إحيائه واخذ ما يصلح منه للبقاء . ومن أدباء أوربا الآن عدد غير قليل يحسن من أدب القدماء مالم يكن يحسن القدماء أنفسهم . وكذا كان امر أدباء العرب لم ينسوا الشعر القديم بعد أن تحضروا قليلا ، بل بعد أن اغرقوا فى الحضارة ، وانشئوا شعرا متحضرا يشبه احيانا الشعر القديم ولايشبهه احيانا اخرى .

وتراثنا الادبى مقوم لشخصيتنا ، محقق لقوميتنا ، عاصم لنا من الفناء فى الاجنبى معين لنا على أن نعرف انفسنا . ولذلك يجب أن يبقى ضرورة من ضرورات حياتنا العقلية ولذلك يجب أن تحتفل البرامج الثقافية بتقديمه والقاء الضوء عليه ، ليكون غذاء لعقول الشباب العربى وقلوبهم لأن فيه كنوزا قيمة تصلح لذلك ، وقواما لثقافتنا لانه اساس الثقافة العربية .

وفى ادبنا العربى قدرة على الإلهام . فأحاديث العرب الجاهلين لم تكتب مرة واحدة ، ولم تحفظ فى صورة بعينها وانما قصها الرواة فى ألوان من القصص ، وكتبها المؤلفون فى صنوف من التأليف وألهمت السيرة النبوية الكتاب والشعراء فى أكثر العصور والبلاد الاسلامية فصوروها صورا مختلفة تتفاوت فى حظها من الجمال الفنى . وكذا الامر مع الغزوات والفتوح والفتن التى اصابت العرب فى عصورهم المختلفة . وذلك شأن الادب الحى الخصب القادر على البقاء ومناهضة الايام . فهو من خلال البرامج الثقافية يلذ المستمع لانه يقدم اليه ما يرضى عقله وشعوره ، ولانه يلهم ما لم تشتمل عليه النصوص فان الاذاعة تستطيع أن تعيده على الناس فى شكل جديد يلائم حياتهم وعواطفهم وخواطرهم[٤١]

٥ ــ واذا كانت الاذاعة لا تنفصل عن البيئة بحال من الأحوال ، فان الإذاعة المصرية ، حين تعبر عن الشخصية المصرية ، فإنها ستجد التقاليد والمأثورات أكثر اصالة فى مصر منه فى أى بلد آخر من بلدان العالم ، وليس القدم وليست العزلة وحدهما هما اللذان صانا على المصريين تقاليدهم ومأثوراتهم ، ولكنها كما يقول الدكتور النجار . وحدة الشعور التى تجمعهم وتربط بينهم كما تربط ماضيهم بحاضرهم .

ولعل صفة البقاء والاستمرار التى عرفها المؤرخون عن تطور التاريخ فى مصر والتى نسبها المؤرخ « أرنولد توينبى » الى اقترانها بعملية « التغيير والتجديد » هى فى الحقيقة أكثر اقترانا بوحدة الشعور منها بعملية « التغيير » فوحدة الشعور ادعى الى البقاء والاستمرار : والتغيير والتجديد طابعا الوجود كله منذ كان الوجود[٤٢] . ولذلك فان المؤلفة تتصور أن تعبر البرامج الثقافية فى البرنامج العام عن الشخصية المصرية ، وان تتكامل مع صوت العرب فى تحقيق الاستقراء التاريخى لهذه الشخصية والذى لخصه جوستاف لوبون فى قوله « مصر الفرعونية حية فى مصر العربية باقية فى مصرنا الحاضرة[٤٣] وهكذا يمكن أن يكون للادب فى البرامج الثقافية بالاذاعتين ارتباط وثيق بالاصالة والمعاصرة

بالاذاعتين

الهوامش

(١) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر - القاهرة ، دار المعارف - ١٩٣٧ - ص ٥١٤ - ٥١٥ .
(١) فاروق خورشيد : بين الاذاعة والادب «الجمهورية» - القاهرة فى ٢٢ يونيو ١٩٧٤ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) فاروق خورشيد : بين الاذاعة والادب - جريدة الجمهورية - القاهرة فى ٢٢ يونيو ١٩٧٤ .
(٤) فاروق خورشيد : نفس المرجع .
(٥) فاروق خورشيد : نفس المرجع
(٦) الدكتور عبد الحميد يونس : فن الاذاعة- مرجع سبق ص ١٩ وما بعدها
(٧) الدكتور عبد الحميد يونس : فن الاذاعة - مرجع سبق ص ١٩ وما بعدها .
(٨) Jean Tardieu, OP. Cit. p. 34.
(٩) Ibid , p. 34
(١٠) Ibid, pp. 35, 36
(١١) ibid, p. 35
(١٢) Ibid, p. 36
(١٣) Ibid, p. 37
(١٤) Ibid, p. 37
(١٤) Ibid, p. 37
(١٥) نفس المرجع ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
(١٦) نفس المرجع ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
(١٧) نفس المرجع ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
(١٨) الدكتور عبد الحميد يونس : فن الاذاعة - المرجع السابق ص ١٩ ، ٢٠
(١٩) نفس المرجع ص ١٩ ، ٢٠

(٢٠) جريدة الأهرام ــ القاهرة فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٦ .
(٢١) جريدة الأهرام ــ القاهرة فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٦ .
(٢٢) فاروق خورشيد : نفس المرجع .
(٢٣) الدكتور عبد الحميد يونس : فن الاذاعة ــ المرجع السابق ص ٢١ .
(٢٤) المرجع ص ٢١ .
(٢٥) د . عبد الحميد يونس : فن الاذاعة ــ مرجع سبق ص ٢١ .
(٢٦) المرجع ص ٢١ .
(٢٧) Nino Frank, Le theatre Rdiophonique dans, Jean Tardieu, op. cit. pp.
(٢٨) Ibid, pp. 149-151
(٢٩) Ibid, p. 150
(٣٠) Ibid, 151
(٣١) Ibid. 152
(٣٢) Ibid, p. 155
(٣٣) Ibid, p. 156
(٣٤) Ibid, p. 158
(٣٥) Ibid, p. 158
(٣٦) Ibid, p. 161
(٣٧) الدكتور عبد الحميد يونس : نفس المرجع ص ٢٢ ، ٢٣ .
(٣٨) الدكتور عبد الحميد يونس : نفس المرجع ص ٢٢ ، ٢٣
(٣٩) نفس المرجع ص ٢٢ ، ٢٣
(٤٠) د . حسين نصار : دراسات حول طه حسين ــ محاضرات ألقاها فى كلية الآداب بالموصل ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ ص ٦٨ .
(٤١) د . يين فوزى النجار : لطفى السيد والشخصية المصرية مكتبة القاهرة الحديثة ــ القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٠ .
(٤٢) نفس المرجع ص ٣٠ .
(٤٣) نفس المرجع ص ٣٠ .

الفصـل الثامن

البرامج الثقافية وتبسيط العلوم

نتحدث فى هذا الفصل عن جانب آخر من جوانب البرامج الثقافية ، بعد أن تعرفنا على الفنون والادب واللغة ، تأسيسا على أن تعريف البرامج الثقافية كما تقدم يتضمن التقريب بين اصحاب الثقافتين العلمية والادبية ، فقد لاحظ السير تشارلس سنوفى كتابه « الثقافتان والثورة العلمية » ان افراد الثقافة الادبية يتجهون بسبب تعليمهم وطبيعة ميولهم واستعداداتهم الفطرية ، الى كل ما يمت للادب ، بما تنطوى عليه الكلمة من عناصر الاطلاق والتعميم كالثروة الشعرية ، والنثرية ، والدراما ، والرواية والقصة وتذوق الجمال والسلاسة فى الفاظها والعذوبة والسمو فى معانيها ، سواء أكان ذلك فى اللغة القومية ، ام فى اللغات الاجنبية ، أم فى هذه وتلك معا[١] .

ويتجه افراد الثقافة العلمية الى المواد الرياضية والطبيعية والكيمائية والفلكية ، والبيولوجية ، والسيكولوجية ويميلون عادة الى البحث عن الصلة بين هذه المواد وتطبيقها على الحياة اليومية تطبيقا علميا ، بجانب دراستها من الناحية النظرية البحتة . وهذا بخلاف الثقافة الادبية التى تميل الدراسة فيها الى أن تكون نظرية خالصة .

الثقافه

وتأسيسا على هذا الفهم فان البرامج الثقافية تتوجه الى هاتين الطائفتين معا ، لتقرب بين الامزجة والاذواق والتفكير والسلوك العام فبرامج تبسيط العلوم لا تتوجه الى اصحاب الثقافة العلمية وحدهم وانما تتغيا أن يعرف افراد الثقافة الادبية شيئا عن العلوم التى امتاز بها القرن العشرون . وتغير بها وجه العالم الذى نعيش فيه ، كما أن برامج الادب والفنون تستهدف وصل اصحاب الثقافة العلمية بالادب والفن ومن ذلك يتضح أن البرامج الثقافية تواجه الفجوة الواسعة بين افراد الثقافتين ، الذين يقول عنهم سير تشارلس سنو كلما ألقيت نظرة على كل من افراد هاتين الطائفتين الذين بلغت ثقافتهم منزلة ارستقراطية ممتازة تبين لى أنهما يتفقان فى عنصر السلالة والدم ، وفيما حبتهم الطبيعة من نعمة الذكاء ، وانهما لايختلفان كثيرا فى الاصل الاجتماعى الذى ينحدران منه ، كما أنهما يتساويان تقريبا فى الحالة المالية . ولكنهما برغم ما بينهما من عوامل التجانس والتشابه هذه ، كفا عن الاتصال ببعضهما البعض وان الشقة بينهما من النواحى الذهنية والخلقية والسيكولجية قد بلغت من الاتصال درجة انهارت بسببها كافة العوامل المشتركة بينهما ، حتى انك إذا انتقلت من الفريق الواحد الى الفريق الآخر فى المدينة الواحدة أو الحى الواحد ، خيل اليك انك انتقلت الى ما وراء البحار »[٢] .

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن القول ان الاساس المشترك لعمل الهرامج الثقافية فى الاذاعة يتكيف بحسب الاهداف التى يحددها المجتمع . ماهى هذه الاهداف عندما نناقش تبسيط العلوم فى البرامج الثقافية ؟

إن العلوم والتكنولوجيا والقيم الثقافية تتطور بمعدل لم تعرفه بل ولم تتصوره قط الاجيال السابقة ، هذه حقيقة واضحة لكن الآثار جد خطيرة ، ولاتفهم بدرجة كافية من الدقة . لا أحد يستطيع حاليا ان يتابع تطور كل فروع المعرفة حتى وان كانت ذات دلالة اجتماعية أو عملية كبرى . وقد بلغت لغة الرسائل « المتخصصة » درجة من التعقيد بحيث أصبح فهمها قاصرا على عدد محدود من المختصين ، هذا جانب من جوانب الموضوع . ومن جهة اخرى نجد أنه لايمكن لأحد أن يفهم العالم فهما جيدا دون الالمام ببعض الاسس العلمية ويترتب على ذلك تزايد مستمر فى طلب المعرفة والدعوه المتزايدة الوضوح الى استخدام جميع وسائل الاعلام لترويج المعرفة ووضعها فى متناول الجماهير . واصبح اليوم تطور الانسان الفرد ونمو شخصيته نموا متعدد الاتجاهات بعوامل عدة نذكر منها طابع ومستوى وجودة اداء وسائل الاتصال الجماهيرية[٣] هذا بالاضافة الى ان الهدف الرئيسى لاذاعة مصر العربية هو تطور الانسان الفرد تطورا شاملا وعالميا .

ويمكن تقسيم مجال نشاط برامج تبسيط العلوم فى البرنامج العام وصوت العرب الى :

١ ــ تبسيط الحقائق العلمية الاساسية والثروة الثقافية وآخر منجزات العلوم والتكنولوجيا .

٢ ــ التعريف بمعلومات جديدة وهامة للمستمعين الذين يحرصون على متابعة انجازات العلوم .

تبسيط العلوم فى البرنامج العام :

قدم البرنامج العام ضمن برامجه الثقافية اربعة برامج لتبسيط العلوم وهى : ــ

١ ــ نادى العلوم .
٢ ــ العلم والحياة .
٣ ــ ادب الخيال العلمى .
٤ ــ طبيب العائلة .

وهذه البرامج تمثل مستويات الثقافة التى تقدمها البرامج الثقافية العلمية فى البرنامج العام ، وسنحاول الآن استعراض الاشكال التى تقدمها العلوم من خلال هذه البرامج .

١ ــ برنامج نادى العلوم :

وهو برنامج اسبوعى يقدم لمدة ربع الساعة ٣٠ر٤ مساء السبت ويشمل الاشكال الاذاعية التالية : الحديث المباشر والحوار وزيارات الميكروفون والتحقيقات الاذاعية والرد على أسئلة المستمعين والتعليق على الاخبار العلمية ويستهدف هذا البرنامج المستمع المتخصص الذى درس دراسة علمية ويعمل فى مجال تخصصه فى الحياة العملية التطبيقية كما يستهدف المتخصص العالم الذى اثرى حياة المعمل والتجربة واشتغل بالبحث العلمى ، ذلك أن مثل هذا المستمع ينطبق عليه رأى هايزنبرج وهو أن نتائج التجربة لايمكن أن تخضع لحتمية مطلقة بل قد تتأثر بالظروف التى تجرى فيها ، اذن فهذا المستمع لايركن الى حصيلته من المعلومات ولا الى تجربته الشخصية فقط ولكنه فى حاجة الى الاستزادة بالمعلومات الكاملة حول موضوع معين والى مقارنة نتائجه بنتائج غيره مع الذين يعملون فى نفس الميدان ، انه يسعى دائما لمعرفة كل ما يحدث حوله سواء ما يحيط به أو ما يجرى فى هذا العالم[٤] . يحدث

ويمثل هذا البرنامج دور الاذاعة كوسيلة للنشر العلمي ـــ متكاملة فى ذلك مع المجلات المتخصصة التى تيسر لاعضاء نوادى العلوم التعـرف على ابحـاث بعضهم البعض ، وتمتاز الاذاعة عن المجلات المتخصصة فى النشر العلمي بـ(٥)

أ ـ ميزة الشيوع ، فالكملة المسموعة ملك للجميع .

ب ـ ميزة الآلية فالمستمع يعرف ماذا يجرى فى انحاء الدولة فور حدوثه .

ولكى يؤدى هذا البرنامج دوره فى النشر العلمي نقترح :

أ ـ أن يحرص على تبويب النصوص الخاصة به تبويبا ييسر فرصة الرجوع الى أى معلومة وردت فى هذه النصوص ، وعليه أن يكون مستعدا للرد على أى استفسار يرد له بشأن خبر أو رأى أذيع من خلال البرنامج وعليه أن ييسر للمستفسر فرصة الاتصال بمصدر الخبر ـــ اذا كان محليا أو المعلق عليه اذا كان المصدر اجنبيا .

ب ـ ان يحرص على الاعلان عن عقد المؤتمرات المتخصصة والتى تعقد محليا ـــ وأن يتم ذلك قبل موعد عقدها بفترة قد تكون أكثر من شهر أى فى فترة الاعداد للمؤتمر . تلك المؤتمرات التى لاتسمح طاقة الجرائد والمجلات العامة بالاعلان عنها ، وذلك حتى يتيسر للعلماء الاشتراك ببحوثهم .

جـ ـ أن يحرص البرنامج على اجراء الاحاديث التى يتحدث فيها المسئولون عما يجرى فى دائرة مسئوليتهم من بحوث علمية .

٢ ـــ برنامج العلم والحياة :

برنامج يذاع ثلاث مرات فى الاسبوع (٩ مساء الاحد ـــ الثلاثاء ـــ الخميس ، لمدة ١٠ دقائق) ، ويستهدف اساسا تبسيط الانجازات العلمية من خلال تبيين صلتها بالحياة ، حتى يتمكن المستمع العام من فهم عالم اليوم فهما افضل ويقوم مضمون هذا البرنامج على اساس اعطاء الجمهور صورة للقضايا الاساسية والحالية للعلم الحديث . كما أن هذا البرنامج يستهدف اثارة اهتمام الجمهـور فيما يتصـل بالعلاقة الـوثيقة الموجودة بين العلم والحياة . كما أنه مضمون تناول المشكلات الخاصة بالعلاقات المتبادلة بين العلوم والتكنولوجيا والثقافة والفنون طوال تاريخ الحضارة الانسانية .

وحين يربط هذا البرنامج بين العلم والحياة . فانه يؤدى دورا متزايد الاهمية فى نشر العلوم بواسطة تبسيطها ، ويكتسب هذا الدور قيمـة خاصـة فى ضوء الثـورة العلمية والتكنولوجية الجديدة التى يرى المختصون انها ستغير تماما ظروف وطريقة وأسلوب معيشة الشعوب .

وكما أوضحت البحوث التى اجريت فى كل من اليابان والولايات المتحدة الامريكية والمانيا الاتحادية وبولندا[٦] . فان هذه البرامج ذات فائدة لمجموعات كبيرة من المستعمين يمكن تقسيمها على الاقل الى فئتين :

المستمعون الذين يقصدون استقبال البرنامج ، والمستمعون العفويون؛ولهذه التفرقة اهمية خاصة بسبب الاعتبارات النظرية والعملية ، كما انها تسمح لنا باجراء بحث فى الوظائف المتنوعة لبرامج تبسيط العلوم .

ومن الآسر اجراء تقسيم للبرامج الى برامج تبسيط للعلوم وبرامج تعليمية من وجهة نظر المستمع . ولا تعتبر الفروق واضحة من الناحية النظرية اذ ان نفس البرامج لها وظائف تعليمية مختلفة باختلاف فئات المستمعين كما أن البرامج المتنوعة كثيرا ما تقوم بنفس الدور ازاء نفس فئات المستمعين[٧] وهذا الوضع يخلق بعض الصعوبات فى البحث الذى يستهدف وضع تعريف عام للوظيفة الاجتماعية التى تؤديها الاذاعة العامة .

وفى البحث الذى يرمى الى تقييم برامج تبسيط العلوم والبرامج التربوية والذى يدرس استماع مختلف الفئات الاجتماعية لهذه البرامج ، فان اهم نقطة هى التصنيف الذى اجراه Max scheller لانواع المعرفة فهناك المعرفة الاخبارية والمعرفة العلمية ، وقد ابرز ماكس شيلير أن النوع الاول من المعرفة تعطيه.جميع وسائل الاتصال الجماهيرية ويثرى مايحصله الافراد من تجارب نتيجة الاحتكاك المباشر بالحياة . أما النوع الثانى أى المعرفة العلمية فيساعد الافراد فى تقييم خبرتهم بالحياة . وفيها تتجمع وتتراكم المعلومات المختلفة عن مجال واحد أو مجالات مترابطة . وهكذا نرى النوع الاول يتكون من المعلومات المختلفة عن موضوعات ومظاهر العالم الاجتماعى والطبيعى المحيط بنا أما النوع الثانى فيحوى المشكلات والنظريات والطرق .. المستخدمة فى بحث هذه الموضوعات والمظاهر المختلفة [٨] .

وبطبيعة الحال لاتقدم برامج تبسيط العلوم فى الاذاعه الا المعرفة العلمية .
والسؤال الذى يطرح نفسه ازاء برنامج « العلم والحياة » هو :
هل هناك حاجة ملحة الى وجود هذا البرنامج ؟

ان الوعى العلمى فى عصرنا الحاضر ضرورة حتيمة تفرضها طبيعة العصر على كل مواطن ، ولئن كان الفرد فى المجتمعات العصرية المتقدمة الى هذا الوعى العلمى حتى يساير العصر الذى يعيش فيه فان حاجة الفرد فى المجتمعات النامية فى هذا الوعى لا تتطلبه مقتضيات العصر وحدها ولكن تمليه الظروف والاحوال التى تواجهها بلاده ولذلك فان برنامج « العلم والحياة » يقدم للمستمع فكرة عن الافكار العلمية التى تتضح

فيهـا الارتباط بـين العلم والحياة من خـلال تصويـر الظروف التى احـاطت اختراع ما أو أكتشاف ما من الاكتشافات[٩].

كما يقدم هذا البرنامج الخطوط العريضة لاحد البحوث العلمية مع بعض التفاصيل التى لاتتعلق بالعلم البحت وانما تقيد المستمع الذى يرغب فى الثقافة العلمية ، والثقافة العلمية التى تقدم من خلال برنامج « العلم والحياة » فى البرنامج العام والتى تقدم لقاعدة عريضة من المستمعين غير تلك التى تقدم خلال البرنامج الثانى وتقتصر على جهود المثقفين واذا كان الراديو يعتمد على حاسة واحدة ، فان دوره فى تبسيط العلوم دور محدد ، لان الوسائل السمعية تتضاءل قيمتها بجانب الوسائل السمعية البصريـة وذلك بـالنسبة للمستمع محدود الثقافة . ولذلك فان مقدم المادة العلمية لابد أن يحرص دائما على بساطة الصور التى يعرضها وأن يستوفيها بالتوضيح والتكرار كما يمكنه أن يستعين بالموسيقى والمؤثرات الصوتية[١٠]

٣ ـــ برنامج « أدب الخيال العلمى » :

برنامج اسبوعى يذاع ٣٠ر٣ مساء الاربعاء لمدة نصف الساعة وهو برنامج يستعين بالموسيقى والمؤثرات الصوتية فى تقديم المواد العلمية للمستمع فى صياغة درامية ، تجعل هذا البرنامج يتوجه لقاعدة عريضة من المستمعين .

ومن عنوان هذا البرنامج يتضح أنه يعتمد على ذلك النوع من الادب الذى يطلق عليه اسم « الادب العلمى » ، أى الادب الذى يجعل التقدم العلمى بسلاحيه المدمر والسلمى محورا لاحداثه ، فهو يخشاه حينا ويجعله حلمه احيانا والادب ـــ العلمى هو نوع من المصالحة بين الادب والعلم ، فاحدهما يقوم على الخيال تماما ، بينما الآخرلا يقوم الا على اساس التجربة والاستقراء والانتهاء من ذلك كلـه الى قوانـين محددة ، بـل الى صيغ رياضية كلما امكن ذلك[١١] . لهذا كان الادب العلمى فى برنامج « أدب الخيال العلمى توفيقا بين جمهور الثقافة العلمية وجمهور الثقافة الادبية ، كما تقدم عند تعريف البرامج الثقافية ، ويقدم هذا البرنامج أدبا معاصرا يرضى ميل المستمع لانه يستمـع الى ادب متصل بقضايا عصره ، ويفتح امامه بابا للتنبؤ بمحاذير المستقبل من جانب ، وامكانياته الهائلة من جانب آخر . وحول الفرنسى . هـــ . ج . ويلز الانجليزى ليسا بعيدين عن الاذهان ، فطالما تنبأ بالكثير مما تم اختراعه فى القرن العشرين من طائرة الى غواصة الى هبوط على سطح القمر كما أن الدوق هكسلى بعالمه الطريف ، وجورج ادورويل بمزرعة النمل عام ١٩٨٤ ، ليسا ايضا بعيدين عن الاذهان ، فهما يحذران الانسـانية من أن استخدام العلم قد يؤدى الى تحكم السلطة فى أقدار ملايين الناس[١٢]

وقد قيل عن ويلز انه تنبأ بصنع الدبابة قبل الحرب العالمية الماضية باكثر من عشر سنين ، وقيل انه صاحب الفضل ـــ اثناء تلك الحرب ـــ في اختراع وسيلة النقل التى عرفت باسم التلفراج . وقيل أنه عاون حكومته بمقدرته الفنية كما عاونها بقدرته الكتابية ، ولكنه فى تنبؤاته العلمية أو تحقيقاته الصناعية لايتجاوز مرتبة الصانع الماهر والمخترع الناجح ، وليست به حاجة الى أكثر من رسم « تصميم الالة المخترعة لتصبح النبوءة عنها فى حكم الواقع الملموس ولاتبقى منها بقية للمشاهدة العيانية غير التنفيذ(١٣)

ويتخذ هذا البرنامج شكلا دراميا فى تبسيط العلوم ، ونظرا لان المادة العلمية تعتبر من حيث الموضوع جديدة على المستمع ، فان البرنامج يقسم المادة العلمية الى مسامع وتوضح المسامع الاولى الهدف من المشكلة ثم يشرح كل مسمع من المسامع التالية الجزء الخاص به من المشكلة من وجهة نظر المستمع الذى يليه ، واخيرا يستخلص المستمع فى المسمع الختامى النتائج العامة والنهائية .

ويرتبط الحل الدرامى لبرنامج تبسيط العلوم ارتباطا تاما بمعرفة عميقة للمادة العلمية وبالحرية فى تناولها . وتجدر الاشارة الى أن الذين يعدون برامج تبسيط العلوم ينبغى أن يلموا بالمادة العلمية . لكن معرفتهم هذه لاتكفى لخلق نظام جديد حقا فى تبسيط أى فرع من الفروع العلمية ، وهنا لا نستطيع أن نستغنى عن خدمات ابرز الخبراء الملمين تمام الالمام بالمادة . ولذلك فمن الضرورى أن يعمل فى كل برنامج من برامج تبسيط العلوم احد العلماء فى تعاون مع المحرر والمخرج والفنان منذ البداية حتى النهاية . وبخلاف العمل الاذاعى التقليدى الذى ينتهى فيه دور المؤلف منذ لحظة تسليم النص للاستديو ، نجد أن دور العالم أو المتخصص يستمر طوال الوقت حتى يتم ارسال البرنامج . وعادة يتم وضع تخطيط عام للبرامج مسبقا . وفى الوقت نفسه يتم تحديد المطالب الميتودولوجية بصورة ادق ، وتوضح الاسئلة ونقاطها المقابلة ، ويتحدد هدف كل مستمع تحديدا دقيقا ، وتتسم باستمرار مراقبة التنسيق بين السامع ، ويحدد المخرج الفنى بالتعاون مع المؤلف المتخصص مسامع التوتر لكل مسمع . وهذه العملية بالغة الاهمية . فالمخرج مسئول عن ايجاد افضل الحلول من حيث الفعالية والتأثير بالنسبة لاهم المسامع ، وتتحدد التفاصيل فيما بعد ، وخلال العمل يعالج كل مسمع وكل جزء موضوعه .

ولقد ذكر « أرنهيم »(١٤) الذى كانت له دراسات عن السينما والراديو أن الاستماع الى الراديو يسهم فى نقل الحديث والموسيقى بطريقة ممتازة ، وكلاهما من نتاج الروح

ولا يهتم كثيرا بالحقائق المادية وفى هذه الميزة ما يشير الى نجاح الاستخدام الدرامى فى تبييسيط العلوم من خلال برنامج « أدب الخيال العلمى » مثلا ، ذلك أن أصوات الحياة تحتاج الى معلق أو مفسر لكى تصبح قابلة للفهم ، ومن هنا فان الراديو ـ بالنسبة لارنهيم ـ يعتبر وسيلة رمزية من حيث الافكار والمشاعر المجردة التى يمثلها ، فى حين يقدم التليفزيون من ناحية اخرى تجربة فورية ذات نوعية مرئية .

والواقع أن استخدام الدراما الاذاعية فى البحث عن الحقيقة العلمية واثارة التساؤلات ومحاولة الاجابة عنها تشير إلى عدد من الامور التى تستحق الانتباه فيما يتعلق بموقف المستمع من البحث عن الحقيقة ، وأول هذه الامور هو أن مجالات المعرفة واسعة الى ابعد حدود الاتساع ومتنوعة الى ابعد حدود التنوع . والظاهر ان الانسان مدفوع الى ارتياد هذه المجالات الجديدة برغبته فى اشباع فضوله الطبيعى للتعرف على اسرار هذه الكون ثم استخدام تلك المعارف المتنوعة فى السيطرة على تلك الظواهر والتحكم فيها واستغلالها لصالحه الخاص . الا أن هذه الجهود المتكررة المتجددة للبحث عن الحقيقة تخرج المستمع للبرامج الثقافية بعامة عن العزلة التى يخلقها التخصص الذى يعتبر احدى سمات العصر الحديث .

وكما يقول Joseph Royce فى كتابه The Encaclupated Man ان التخصص هو الذى يجعل عشرين (اخصائيا) مثلا يشتركون معا فى صنع حذاء واحد بدلا من أن يقوم صانع واحد ماهر بصنع الحذاء كله ، كما كان يحدث فى الماضى ، كما ان التخصص هو الذى يؤدى الى تقسيم المعرفة وتجزئتها بحيث نجد مثلا أن هناك الآن فى صناعة البترول ٣٧٥ عاملا مختلفا ، وفى صناعة النسيج ١٨٥ عاملا متخصصا ويصل هذا الى حد تتعدد معه الخطوات والمراحل التى يجب أن تمر بها السلعة الواحدة قبل أن يتم صنعها ، وهذا نفسه يصدق على المعرفة فى أوسع معانيها اذ يؤدى التخصص فى آخر الامر الى الانغلاق داخل (كبسولة) أو قوقعة من صنع الانسان نفسه بحيث لا يكاد يرى الا جانبا ضئيلا جدا من المعرفة الواسعة الرحبة المتشعبة العميقة وان ينظر الى الاشياء من تلك الزواية الضيقة المتخصصة مما يؤدى به فى النهاية الى العجز عن الاحاطة الشاملة بأى من المشكلات التى تعرض له ، أو أن يعالج إى موقف معالجة عامة شاملة ، وان كان هذا لا يمنعه فى الاغلب من أن يصدر احكاما عامة ـ غالبا ما تكون خاطئة وتلك المعلومات الجزئية البسيطة التى أتيح له أن يلم بها[١٥] .

ولقد ارتبط التخصص ارتباطا قويا منذ البداية بالثورة الصناعية فى آخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، وهو نفس الوقت الذى تفاضلت فيه العلوم بشكل قوى واضح لم يسبق له مثيل . وبدأت المعرفة تتفرع الى اقسامه الثلاثة الكبرى : العلوم

الطبيعية والعلوم البيولوجية والعلوم الانسانية والاجتماعية ، بل بدأت كل مجموعة منها تدخلها كثير من التفرعات والتخصصات بحيث انسلخت علوم برمتها من كل علم من العلوم السابقة ، وبدأ كل علم فرعى يتفرع بدوره تفريعات عديدة بحيث أصبح من العسير الاحاطة بكل هذه التفريعات مما اقتضى ضرورة التخصص(١٦) . وهذا وحده كفيل بأن يعطينا فكرة عن حجم المشكلة التى تواجه البرامج الثقافية فى الاذاعة ، ونعنى بها الاحاطة بكثير من مجالات المعرفة .

والمعروف أن الصراع بين العلم والانسانيات يرجع الى ما قبل عصر النهضة فى أوربا ، وهو صراع افلح فى أن يجرف رجال الكنيسة الكاثوليكية الذين اضطهدوا العلماء ورجال الفكر العلمى ، ووصل هذا الاضطهاد الى حد اعدام عدد منهم الا أن هذه الفترة لم تلبث أن انتهت فى القرن السابع عشر والثامن عشر (عصر العقل The Age of Reason) حين امكن التقريب بين (الثقافتين) أو على الاقل الملاءمة بينهما بحيث وجدت بعض العناصر العلمية سبيلها الى الادب ، وأمكن بذلك التعبير عنها تعبيرا ادبيا رائعا ، وذلك قبل أن يبدأ عصر الثورة الصناعية الذى ادى الى التباعد من جديد بين الاثنين وهو تباعد اتخذ فى احيان كثيرة صورة الصراع(٧) .

ولقد انتبه « سنو » الى هذا الوضع المأساوى الناجم عن ذلك التباعد بين العلم والانسانيات ، خاصة وأنه هو نفسه جمع فى تكوينه الفكرى بين الناحيتين باعتباره متخصصا فى الفيزياء من ناحية ، واحد كبار كتاب القصة فى بريطانيا من ناحية أخرى ، وتعرض « سنو » فى كتابه الذى اشرنا اليه الى تلك الهوة العميقة التى تفصل بين العلماء ، وبخاصة علماء الفيزياء وبين من يسمون انفسهم « اهل الفكر » وبخاصة الادباء الذين يعتبرون العلماء فئة ممجوجة من البشر ، يركبهم الغرور على الرغم من فراغ عقلياتهم وضيق افق وسطحية تفكيرهم وان كانوا لايتورعون فى الوقت ذاته من اتهام (أهل الفكر) بقصر النظر وافتقارهم الى العقلية التحليلية العميقة . والادهى من ذلك . فى نظر سنو أن المتخصصين فى فروع العلم المختلفة لايكادون يتابعون منجزات زملائهم فى الفروع الاخرى ، أو يفهمون ما يقومون به من بحوث . فعلماء البيولوجيا مثلا كثيرا مالا يعرفون سوى القليل عن الفيزياء المعاصرة رغم اتفاق العلماء جميعا الى حد كبير فى الاتجاهات والمستويات والانماط السلوكية والفروض والاساليب الفنية للبحث أى رغم اشتراكهم جميعا فى « ثقافة » واحدة ومن الطريف أن « سنو » يذكر أنه أثناء الحرب العالمية الثانية كان عليه أن يتخير حوالى ثلاثين أو أربعين الفا من العلماء والمهندسين والفنيين ، وأنه رغم اعجابه بحصيلتهم العالية فى فروع تخصصهم فقد هاله جهلهم بالثقافة الادبية ، وان كان

يعترف فى الوقت ذاته بأن عددا كبيرا من خيرة العلماء على دراية واسعة بالادب وبالمشكلات التى تعرض لها الادباء والمتخصصون فى الدراسات الانسانية بوجه عام[١٨] .

وهذه ذاتها ناحية اشار اليها رجل من أكبر مؤرخى الفن فى بريطانيا فى الوقت الحاضر وهو الاستاذ جومبريتش اذ يقول فى مقال طريف بمجلة Daedalus (ربيع عام ١٩٧٣) انه عاصر الوقت الذى كان فيه جيل الاطباء والمحامين والموظفين العموميين ورجال المال يقرءون الكلاسيكيات على أنها امر مسلم به فى تربيتهم واعدادهم ولكن يبدو أن ذلك العصر قد ذهب وانقضى ولم يعد العلماء يهتمون كثيرا بهذه الامور ، لان تخصصاتهم ادت بهم الى الانغلاق والانعزال .. ومن الطريف أن جومبريتش يرى أن الدعوة الى ضرورة اطلاع العلماء على ذلك التراث الثقافى الواسع المتنوع يحمل فى ثناياه التنبؤ به إلا أن المجتمع لم يعد يقدس تراثه وقيمه القديمة ، وانه طالما كان المجتمع واثقا ومتأكدا من القيم السائدة فى حضارته فان الاحساس بضرورة الاتصال بتلك الرموز والآثار التى تنتمى الى الماضى يكون احساسا قويا ولا يحتاج للمناقشة أو الجدل . بل يتقبلها الناس كأمر مسلم به وتصبح جزءا من تربيتهم وتنشئتهم الاجتماعية والعلمية ، وهو مالا يحدث الآن فى كثير من الاحوال .

ولكن الطريف حقا فى هذا الصدد أن جومبريتش يرى أن كلمة « المعرفة » بكل ما تحويه من اتساع وتنوع تصدق على الانسانيات والعلوم الاجتماعية أكثر مما تصدق على العلوم الطبيعية المختلفة ، كما أن التخصص فى فرع من فروع الانسانيات كثيرا ما يحتاج الى معرفة واسعة ببقية الفروع ، واطلاع واسع على منجزاتها ، فلو اخذنا تاريخ الفن مثلا فسوف نجد أن كثيرا من الصور والرسوم التى رسمها كبار الاساتذة الفنانين من أمثال مايكل انجلو وأوتيسيان لن يمكن فهمها فهمًا عميقاً الا اذا كنا على معرفة وثيقة بالاساطير اليونانية القديمة ، لانها تسجيل لمثل هذه الاساطير ، اذ على الاقل تظهر منها بعض شخصيات آلهة اليونان على شكل ممسوخ يصعب فهمها وتفسيرها الا فى ضوء تلك الاساطير كما هو الحال مثلا فى صورة أوتيسيان عن « يوروبا فوق ظهر الثور » . والامر يحتاج على اية حال الى دراسة تاريخ الرسم دراسة متعمقة لكى نفهم هذه الصور بقدر ما يتطلب معرفة الرموز التى كانت تسود حضارة من الحضارات[١٩] .

الا أن المسألة مع ذلك ليست مجرد دعوة الى فرض الانسانيات على العلماء أو القيام بأية محاولة لادخالها الى عقولهم عنوة بقصد « تمدينهم » ورفع مستواهم الفكرى والثقافى ــ حسب تعبير الاستاذ ايزيابرلين Isaiah Berlin فالعلماء قوم اذكياء كما يقول

« سنو » ولهم ثقافتهم الرائعة الصعبة حتى وان كانت هذه الثقافة تخلو من معظم الفنون باستثناء الموسيقى ، حتى وان لم تكن القراءة أو الاستماع للانسانيات فى البرامج الثقافية تستهويهم أو تروق لهم ويلاحظ برلين أن هذا نفسه يصدق على الكثيرين جدا من الادباء والمتخصصين فى فروع الانسانيات بل والعلوم الاجتماعية ممن يأخذون على العلماء الطبيعيين جهلهم وضيق أفقهم مع أفقهم هم أنفسهم لايكادون يعرفون شيئا عن بعض النظريات الهامة السائدة فى العلوم الطبيعية أو حتى بعض المبادىء والقوانين الاساسية مثل القانون الثانى للديناميكا الحرارية ، وهو فى رأى سنو احد البدهيات فى العلم التى يمكن مقارنتها بقراءة اعمال شكسبير — فالادباء بل إن « سنو » يذهب فى تدليلاته الساخرة على جهل الادباء بالعلم الى حد أن يقول انه لو سأل هؤلاء الادباء سؤالا بسيطا جدا مثل : ما الكتلة ؟ أو ماهو التسارع ؟ وهو سؤال يعادل فى العلم السؤال : هل تعرف القراءة ؟ فسوف تكون النتيجة مفجعة .

والواقع أن البرامج الثقافية بشقيها : الانسانيات والعلوم مطالبة بمواجهة مشكلة الحواجز التى تفصل بين التخصصات العلمية الدقيقة والتى تفرق بين خاصة المثقفين ، بمعنى أن وظيفة البرامج الثقافية فى الاذاعة يجب أن تكون هى معاونة المتخصصين على الانفتاح على العلوم الاخرى وفهم مناهجها واساليبها والتعرف على منجزاتها دون أن يتعارض ذلك مع التخصص الذى هو بلا جدال سمة العصر ان البرامج الثقافية تهدف الى مساعدة المستمع رغم تخصصه — على البحث عن الآفاق الارحب للمعرفة ، لان الاستزادة من المعارف المختلفة كفيلة فى حد ذاتها بتحقيق مزيد من انسانية الانسان .

تبسيط العلوم فى صوت العرب :

ويقدم صوت العرب ضمن برامجه الثقافية برنامجين لتبسيط العلوم هما : —

١ — برنامج اقتصاديات .

٢ — برنامج عالم الغد .

ويستهدف هذان البرنامجان تقديم المعرفة العلمية فى شكل مبسط للمستمع العربى ، ومن خريطة البرامج الثقافية فى صوت العرب يتضح ان حجم تبسيط العلوم فيها اقل مما ينبغى ، سيما وان المعرفة العلمية مستمرة فى التضخم والنمو بمعدلات مطردة وإمكاناتها التكنولوجية لا حدود لها ، ذلك ما تنبأ به فرنسيس بيكون عندما قال : « .... ان المعرفة فى حد ذاتها قوة » وكان « فونتيل » أكثر تحديدا عندما أعلن فى نهاية القرن الثامن عشر أن (تطبيق العلم على الطبيعة سينمو نموا متزايدا من حيث المدى والتركيز وسينتقل بنا من اعجوبة الى اخرى حتى يأتى اليوم الذى ... سنتمكن فيه من الطيران الى القمر[٢٠] » .

وهناك خاصية هامة تختص بها برامج تبسيط العلوم وهى انه حتى الذين لم يتلقوا أوليات العلم ، وحتى الذين يعارضون العلم فكريا ويرفضون قبول المنطق العلمى ، كلهم يمكنهم أن يستفيدوا وأن يستنفعوا بمباهج العلم العلمية . والامر ليس كذلك فى المجالات الاخرى غير العلمية فمباهج الموسيقى وألوان السحر الكامنة فى الفن ومسرات الادب ، والتنوير الذهنى المرتبط بالفلسفة كل هذه الفوائد والمتع بعيدة بل محرمة على الذين لا ينفقون الوقت او لا يتحملون المشقات لكى يستوعبوا — ولو على الاقل أوليات الحقائق والخبرات فى مجال اهتمامهم . ولكن الامر ليس كذلك فى العلم سواء انفق المرء وقته على العلم أو لم ينفق سواء ابدى اهتماما بدراسة العلم أو لم يعبأ به على الاطلاق ، فانه مع ذلك يستطيع أن يشارك فى جميع المزايا والفوائد والمتع التى أتيحت للانسان وتكدست لديه بفضل تقدم العلم وانجازات العلم[٢١] عن طريق البرامج الثقافية .

هذه الناحية من نواحى العلم كان لها آثار تسترعى الاهتمام خاصة فى مسألة تغلغل وانتشار العلم فى المجتمع ، فبينما تقدمت فروع العلم العملية وشعبه التكنولوجية لتسبق ماعداها فى كثير من المجتمعات فان المعرفة العملية لم تتقدم بدرجة واحدة فى كثير من بلدان العالم الآخذة باسباب التنمية الصناعية ، ومنها البلدان العربية التى يتوجه اليها صوت العرب . فهذه مثلا تحصد ثمرات العلم دون أن تتيح للجهد بصفة عامة فرصة الالمام بالاسس العلمية التى قامت عليها هذه الثمرات[٢٢]

وما دام الجانب الثقافى المجرد للعلم يلقى التجاهل والاعراض ومادامت خصائص العلم الجوهرية من حيرة ونزاهة وموضوعية لاتحظى بالاعتراف الجاد فان البرامج الثقافية فى صوت العرب ينبغى أن تولى عناية أكبر بنشر المعلومات العلمية العامة وتبسيط العلوم بهدف تنوير الجماهير العربية بطبيعة العلم وجوهره باعتبار العلم وجهة نظر فكرية .

ونخلص من ذلك الى أن الضرورة تقتضى اعادة النظر فى خريطة البرامج الثقافية لصوت العرب ، حتى يتسنى لبرامج تبسيط العلوم اشاعة الاسلوب العلمى فى التفكير العربى ، ولعل التعريف الذى وضعه « هكسلى » فى كتابه : « الانسان والعالم الحديث » يحدد لنا اهمية العلم وضرورته حين يقول « ان العلم عبارة عن ذلك النشاط الذى تحصل به على قدر كبير من المعرفة بحقائق الطبيعة حتى نتمكن من السيطرة عليها » .

ضرورة تبسيط العلوم :

هناك اتفاق عام على ان مقتضيات العصر الحاضر تحتم طريقا واحدا لمن يريد أن يكون له فيه مكان ، هذا الطريق هو الاسلوب العلمى فى منهج التفكير وفى أسلوب البناء

للكيان الاجتماعي الجديد ، واذا كان الامر كذلك فان قضية تبسيط العلوم تصبح ملحة بشكل مستمر ، حتى يتحقق تعميق هذا الاسلوب لدى الجماهير العريضة فى بلادنا .

واذا كان من العسير وضع تعريف شامل للدولة العصرية ، فانه يمكن أن يقال بصفة عامة انها الدولة التى يبلغ فيها احترام الانسان غايته ، فيسمو بانسانيته الى اعلى مراتبها ، بسيادة الحرية والقانون والعلم أو على حد تعبير الاستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر[٢٣] ، انها الدولة التى تسود وتقوى وتستعلى بالعلم ، فتستغل مواردها العلمية ، وطاقاتها وإمكاناتها المادية والمعنوية الى اقصى حد ، ويرتفع مستوى الحياة بين افرادها الى اعلى مستوى ممكن ، وتفرض احترامها بين الدول جميعا سواء فى ذلك الدول الصديقة وغير الصديقة . انها الدولة التى تطبق غالبية أفرادها مستحدثات العلم والتقنية الزراعية والصناعة والاقتصاد والصحة والتعليم ، فى المسكن والمأكل والمشرب والملبس ، والتى يبلغ غالبية افرادها مستوى كريما فى العلم والخلق والنظافة والنظام والامانة .

انها الدولة التى ترعى افرادها وتؤمن حياتهم فى مراحلها المختلفة صحيا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، وعلميا ، وأدبيا ، وفنيا ، واقتصاديا ، فينتشر الوعى العلمى الفنى ، ويكون للفنون اثرها الكبير فى اشاعة القيم الجديدة وتعميق المفاهيم البناءة انها الدولة التى ترعى العلم والعلماء ، وتخطط لحاضرها ومستقبلها على أسس علمية ، وتحتل بذلك مكانة مرموقة بين الامم والشعوب ، ويكون لها من القوة والمنعة ما يكسبها احترام الاصدقاء ورهبة الاعداء فى السلم والحرب على السواء .

فاذا استعرضنا الدول التى تنتظمها هيئة الامم المتحدة ، وهى تمثل فى الغالب دول العالم أجمع تقريبا . لوجدنا منها ما يقترب من الصورة التى حاولنا فهمها للدولة العصرية ، ومنها ما يبتعد عن تلك الصورة بدرجة كبيرة أو صغيرة ، وقد اصطلح على تسمية الاولى « الدول المتقدمة » والثانية « الدول النامية » وليس شك فى أن الاولى تمثل قلة محدودة وأن الاخيرة تمثل الغالبية العظمى سواء من الناحية العددية أو السكانية ، وقد استغلت الاولى ودلت بعلمها وقوتها على الثانية — وكان لها — وما يزال من اسباب القوة ما جعلها تتحكم فى مصائر الثانية .

ولعل هذا التقسيم للعالم هو ما اوحى للاستاذ « ولبورشرام »[٢٤] بان يطلق على الدول المتخلفة : « الذين ليس عندهم » والدول المتقدمة : « الذين عندهم » والتخلف عند « شرام » ليس وصفا مهينا . انما هو يعنى أن النمو الاقتصادى «والتغييرات الاجتماعية التى ينبغى أن تصحب النمو الاقتصادى ، لم تجتز بعد نقطة معينة ووصف بلد بأنه نام وسام تشريف فهو يعنى أن الدولة اخذت على عاتقها أن ترفع نفسها بقوتها الذاتية من مرحلة التخلف الاقتصادى أن تحقق فى عشرات من السنين قليلة ما كان يستغرق عادة فيما مضى قرونا كاملة[٢٥]» .

ويضع شرام تمييزا عالميا[٢٦] : ذلك ان الدول العالية النمو دخلت فى تجربة الثورة الصناعية أو ما يماثلها . أما الدول المتخلفة فلم تفعل ذلك أو مرت عليها التجربة بشكل محدود أو فى قطاعات محدودة فحسب من السكان . البلاد الاقل نموا فى كثير من الحالات لم تكن مستعدة لثورة صناعية . مجموعة مواد التركيب العجيب الذى ساعد أوربا فى ثورتها الصناعية لم تكن ميسرة فى كل مكان . فى أوربا الغربية كان الطريق ممهدا بفضل عصر النهضة أو احياء العلوم وبفضل الحرية السياسية الواسعة النطاق والتوسع السريع فى التربية والتعليم ، ونمو التجارة ورأس المال ، والنسب المئوية الكبيرة من المقاولين والمجددين بين السكان ، هذا الى جانب الافكار المواتية للمجهود الذى يوشك أن يبذل . وصدرت الثورة سريعا الى الاوربيين المنقولين الى أمريكا الشمالية . ثم بعد ذلك الى استراليا ونيوزيلندا ، ثم بعد ذلك دخلت كل من اليابان والاتحاد السوفيتى والارجنتين فى ثورتها الصناعية . وكان فى تمكن بعض المتأخرين من تحقيق الصعود فى مدة اقصر من المدة التى كان يستغرقها ذلك فى القرن التاسع عشر ، وهى تتراوح مابين ٧٥ ، ١٠٠ عام ، ماشجع الدول التى تتطلع بحسد الى عمالقة الاقتصاد تشجيعا عظيما .

والامم المتخلفة فى الوقت الحاضر — كما يقول شرام — اما أنها كانت بعيدة عن مركز الثورة الصناعية عندما كانت فى اوجها فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، واما أنها كانت فى حالة يرثى لها فلم تستطع الاستفادة منها . هذه الامم الآن تدفعها الرغبة الشديدة لتعويض مافات . اننا نشهد فصلا دراميا فى تاريخ العالم ، ثلثا شعوب الارض يتهيئون أو على الاقل يحاول قادتهم تهيئتهم — للدخول فى الثورة الصناعية . فاذا نجحوا فسيغيرون وجه العالم[٢٧]

ويذهب شرام الى أن النفور من الاستعمار كان أحد الدوافع التى نشطت الضمير العالمى ... وكان للمواصلات المتطورة شأن فى هذه الناحية كما عاونت على أن يعلم الذين « ليس عندهم » كيف يعيش الآخرون . وفى كل مكان زاد الفيض الملحوظ من تغطية وسائل الاتصال الجماهيرى للبلدان الجديدة وزاد السفر من البلدان المتقدمة زيادة كبيرة جدا كما أن القواعد العسكرية المقامة فى اغلب الاحيان فى اماكن غير مطروقة هيأت خلال الخمسة والعشرين عاما الاخيرة للشباب الذى لايبرح بلاده بغير هذه الوسيلة ، هيأت له الفرصة لكى يرى كيف يعيش الآخرون وفى كثير من البلدان المتقدمة حولت النظم التعليمية اهتمامها وتركيزها من الماضى الى الحاضر وكان من نتيجة ذلك أن تحسنت تغطية عالم اليوم[٢٨]

والى جانب هذه التطورات قام شعور عام بأن العلم نعمة من نعم الله لاينبغى أن ينفرد بها احد ، وأنه شيء مختلف عن كنوز الدول العظمى فيما مضى من عصور التاريخ وأن العلماء ليسوا كالقراصنة والغزاة ، والعلماء انفسهم يشعرون بأن المعرفة شيء ينبغى أن يشيع . والمعرفة العلمية ليست كالاراضى تفقر الخزانة المركزية اذا زاد المنتفعون بها(٢٩) .

كل هذه العوامل مجتمعة ادت الى خلق هدف جديد لتبسيط العلوم بعد أن بدأ العلم يمسك بزمام مستقبل الانسانية كلها ، حيث أعطى لدول معينة ، وخاصة تلك التى يطلقون عليها اسم « القوى الكبرى » مقدرة هائلة على التدمير ، كما قدم العلم للجنس البشرى وسائل الحصول على قدرات انتاجية تتزايد باستمرار .

وعلى ضوء ماجد للعلم من خطورة اصبح لتبسيطه ونشره بين الجماهير وظيفة جديدة ، هى كما يقول «أى. رابينوفتش» مساعدة الامم على قبول ما ستواجهه مستقبلا بسبب العلم ، وهذا ايضا من أجل بقاء الجنس البشرى على الأرض ، ثم لتفهم مايستطيع العلم أن يفعله لوضع حد للجوع والفقر وكثير من الامراض المنتشرة اليوم . وماكان يعتبر فى الماضى حلما يمكن أن يتحول فى عصر العلوم الى حقيقة واقعة ومن الامور الحيوية ان تحصل الانسانية على ادراك كاف لامكانات العلم المدمرة والبناءة على السواء ، وهذا وحده هو الذى يستطيع أن يوفق بين التكوينات الاجتماعية التى ترتبط بظروف المعيشة الجديدة ، والظروف الجديدة للوجود الانسانى ، وهى الظروف التى لا يتوقف العلم ايضا عن تغييرها يوما بعد يوم؟(٣٠) .

ذلك الهدف الجديد تقتضيه متطلبات العصر ، لان تبسيط العلوم فى الماضى كان له هدفان اساسيان ، وكان أولهما هدفا ذهنيا لاتاحه الفرصة للذين لم يحصلوا على تعليم علمى متقدم حتى يشاركوا فيما ينجزه البحث العلمى من أهداف العلم الكبرى ، وليفهموا الطريقة العامية عند البحث عن حقائق الطبيعة وليكتسبوا الاحساس بجمال التعبيرات النظرية للعلم الحديث أما الهدف الآخر فكان عمليا لمد المهنيين بالمعلومات التى يمكن أن يستعملوها فى عملهم ، وليساعدهم على فهم معانى التطورات العلمية الجديدة التى تدخل فى اختصاصهم فور وقوعها فيشرح للطبيب مثلا عن طريق التبسيط العلمى الحقائق الجديدة التى يكتشفها علماء الاحياء ويشرح للمهندس مايصل اليه علماء الطبيعة فى خواص الجوامد(٣١) .

أما الهدف الجديد ، فقد أدى اليه تطور القنبلة الذرية الحرارية والصواريخ البعيدة المدى التى تعبر العالم ، ذلك انها تجعلنا جميعا نعيش تحت رحمة الرجال الذين يضعون

اصابعهم فى مكان ما بعيدا عن هذا العالم على ازرار يمكن بضغطة واحدة منها أن تنطلق القنابل النووية المتفجرة .

وغير هذه الصواريخ برؤوسها النووية هناك اسلحة الدمار العلمية الاخرى ، التى منها الاسلحة الكيمائية والميكروبية . وباجتماع هذه الاسلحة كلها ، من القنبلة النووية الحرارية الى الصواريخ البعيدة المدى والكيمائية والميكروبية ، يمكن للقادة فى بعض الدول تدمير الحياة البشرية كلها ، وكذلك الحياة الحيوانية فى قارة كاملة من القارات ، وان يطلقوا من الاشعاعات الذرية مايكفى لشل صور الحياة النباتية الراقية . ولايبقى لدى البشر من أمل فى البقاء الا ما تنتظره مما بقى من تقاليد ، سواء عند الامم أو عند قوادها ، حتى فى أصعب الازمات السياسية[٣٢] وسوف يظل العالم تحت تهديد الابادة الشاملة هذه فى المستقبل ، وسوف يظل بقاء الانسان على الأرض مرتبطا بشرط واحد هو عدم استعمال هذه الاسلحة[٣٣] .

وقد ادرك العلماء عند تطوير القنبلة الذرية اثناء الحرب العالمية الثانية خطورة دخول هذا السلاح على البشرية ، وحذروا حكومة الولايات المتحدة فى تقرير صريح اصدروه فى يونيه ١٩٤٥ بينوا فيه خطورة استعمال القنبلة الذرية الاولى كسلاح فى الحرب ضد اليابان ، ولم يلق هذا التحذير اذنا صاغية ، واستعملت القنابل الذرية ضد الشعب اليابانى ، وبعد استعمالها بدأ سباق الاسلحة النووية بين القوى الكبرى يظهر فى الوجود .

على أن التحدى الثانى الكبير الذى تواجهه البشرية نتيجة للثورة الصناعية الحالية هو التحدى الذى جعل ثلثى العالم بلا موارد معقولة ، ومع الذين يتزايدون عددا ويزيدون فقرا هناك نحو ثلث العالم ينعمون بالثراء الجيد ، ويزدادون ثراء يوما بعد يوم ، نتيجة للاستفادة من إمكانات الانتاج الهائلة التى وضعها العلم تحت تصرفهم .

ويزيد الموقف سوءا بالانفجار السكانى الذى تعانى منه الدول التى تزداد فقرا بعد أن انخفضت نسبة وفيات الاطفال نتيجة للتقدم الطبى والرعاية الصحية للامهات والمواليد على السواء ، ونتيجة لقلة خطورة الامراض المعدية والوبائية ، ومنها الملاريا التى كانت تتسبب فى نسبة عالية من الوفيات ، ونتيجة لتضاعف فرص الحياة خلال جيل واحد بعد زيادة استخدام المبيدات الحشرية ، وانعكس هذا كله على زيادة السكان فى دول كثيرة من العالم الثانى زيادة كبيرة تتراوح بين ٣ ٪ ، ٤ ٪ سنويا ، وأصبحت المشكلة الرئيسية لدولة كبيرة كالهند هى حفظ التوازن بين الزيادة فى الانتاج الزراعى والزيادة فى السكان ، وهو السباق الذى تخسره دول أخرى يوما بعد يوم[٣٤] .

ونتيجة للثورة العلمية تغيرت مفاهيم شعوب كثيرة بالتسبة للكوارث والفقر والموت المبكر ، بعد أن تفتحت العيون والاذهان ، وسمعت وشاهدت ولمست اختراعات كثيرة حديثة ، كالراديو والتليفزيون والطائرات وتفتحت العيون فى كل مكان على أن هناك سبلا اخرى للحياة اغنى واسعد حالا ، وتصورت مدى مايمكن أن يحققه الرخاء المادى من السعادة ، وهذا مايسميه « رابينوفيتش » ثورة التطلعات المتصاعدة — وأصبح الايمان بقدرية الفقر والمرض والكوارث موضوعا للمناقشة ، ونتجت عن الثورة العلمية ثلاث ظواهر :

١ — تصاعد ظاهرى فى القدرة الانسانية فيما يختص بزيادة الانتاج الزراعى والصناعى .

٢ — زيادة فى السكان تهدد بالانفجار السكانى .

٣ — ثورة فى التطلعات المتصاعدة .

وليس من شك فى أن « العلم » بمعناه « الحديث ، ممثلا فى العلوم الطبيعية والاساسية من كيمياء وطبيعة ورياضيات وفلك وجيولوجيا ونبات وحيوان وتطبيقاتها فى الزراعة والطب والهندسة والصيدلة والبيطرة . ومايتفرع عليها من وسائل تكنولوجية وآلية تستغل فى التصنيع ورفع كفاية الانتاج الصناعى والزراعى ، هذا العلم يمثل المحور الرئيسى الذى يدور حول تقدم الدولة العصرية ، انه السلم الذى تستبق الدول العصرية فى ارتقاء درجاته ، على حد تعبير الدكتور عبد الحليم منتصر ، لتتسنم ذرى المجد والقوة والرفعة ، وارتياد اسباب المنعة والعزة والسؤدد .

الدولة العصرية ومنهج العلم :

ولعلنا نجمل القول فى هذه الدول العصرية ، حين نذكر انها اتخذت العلم والبحث العلمى وسيلة ومنهاجا فى كل ما تأخذ وما تدع من أمور ، فى كافة شئونها العسكرية والسياسية والاقتصادية ، انها تشجع البحث العلمى وتنفق عليه بسخاء ، لاتضيق عليه بمال ، وبذلك تطبق كل نتائج البحث العلمى فى كافة شئونها وطبيعى انها تستغل كل مواردها العلمية والبشرية فى استغلال مصادر ثرواتها واستنباط طاقاتها . ولسنا بحاجة الى القول ان مثل هذه الدول لا مكان فيها للامية والاميين ولا تميز فيها بين تعليم الرجل والمرأة ، وانما تنهض الدولة نتيجة لجهود ابنائها جميعا ، ثم أنها تخطط علميا للمستقبل القريب والبعيد فلا تدهمها مشكلة لم تكن اعدت لها كل الحلول الممكنة .

مكان الدول العربية من الدول العصرية :

بقى أن نلقى نظرة على دولنا العربية ومكانها بالنسبة لهذه الدول العصرية ، ومن المعروف أن الامة العربية ، كان لها دور قيادى فى النهضة العلمية العالمية ، وفى ذلك يقول « نهرو » لكن العرب امتازوا بهذه الروح العلمية ، مما جعلهم يدعون بجدارة آباء العلم الحديث . وكان الخلفاء يرحبون بأهل العلم والفن وكانت بغداد تفوق أوربا باستثناء اسبانيا العربية والاندلس ، فى مضمار الادارة والتجارة والعلوم[٣٦] وفى الحق أن العلم والعلماء قد لقوا كل رعاية وتقدير فى العصر الذى يشير اليه « نهرو » حين كان الحكام والولاة يتنافسون فى رعاية العلم والعلماء ، وتاهت العواصم العربية على مدائن العالم بجمهرة من العلماء يزدهى بهم العلم فى كل عصر وآن ، وبعدد من المعاهد ودور العلم والمساجد التى كانت تؤدى ما تؤديه الجامعات فى العصر الحاضر . وفى ذلك يقول « ابن جبير » كان فى بغداد وحدها ثلاثون مدرسة كل منها يقصر القصر البديع عنها ، ويقول المستشرق « لين » جاء وقت على مصر ، كان كل طالب علم ، يجد مكانا يتعلم فيه ، ومعلما يعلمه وراتبا يقوم بأوده ... وكذلك ازدانت بغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة بدور العلم ومدارسه . وسطع فى سماء الحضارة العلمية العربية عدد من العلماء يقرنون الى اعاظم العلماء ... فما الذى بدلنا ونقلنا من حال الى حال ، وجعلنا نشكو ونحن فى الثلث الاخير من القرن العشرين كما يقول الدكتور منتصر ، من امية مازال خطرها يستشرى فى الدول العربية وذلك رغم المحاولات التى تبذل لمحو الامية هنا وهناك ؟ وما اظننا مغالين اذا قلنا ان نحو نصف سكان هذه البلاد ما زال يسبح فى بحر الامية الواسع ، فكيف به يتقبل مستحدثات العلم والتكنولوجيا ، دع عنك المشاركة والاسهام فى بنائها ان الجهود التى تبذل لزيادة اعداد المتعلمين تقابلها زيادة مضطردة فى اعداد السكان ، مما يجعل اعداد المتعلمين تقابلها زيادة مضطردة فى اعداد السكان ، مما يجعل عداد الاميين فى تزايد مستمر ، اذ ان هناك اضافة مستمرة الى رصيدها . اما عن نوعية التعليم وكيفيته فى هذه المرحلة ، فهو كما يقول الدكتور منتصر ايضاً ، مابين نجاح مشوه الى نقل آلى ، مما يؤدى الى نوع آخر من الامية لعله اخطر من الاول .

والسؤال هو : ماذا يستطيع العلم أن يقوم به لمواجهة هذه التحديات وليحل المشكلات التى خلقها العلم نفسه من جانب آخر ؟

هناك ميدانان رئيسيان لتبسيط العلوم فى المجتمع ، اولهما ميدان التعليم والثانى ميدان الاعلام العام .

أما ميدان التعليم فلن نخوض فيه كثيرا ، اذ ثمة دراسات واسعة مستفيضة تعالج هذا الميدان الحيوى الخطير وتتناول نظم التعليم وضرورة تطويرها بما يلائم العصر الحديث الذى يتغلغل فيه العلم فى كل صغيرة وكبيرة من حياتنا ، وتركيز الاهتمام على القطاعات العلمية التى تحتاجها البلاد وتخريج الاعداد المناسبة من مختلف المؤهلات والمهارات بما يتفق مع المراحل المتتالية لخطة التنمية والتطوير .

على أن الميدان الثانى وهو ميدان تبسيط العلوم للشعب عامة عن طريق أجهزة الاعلام ، يرتبط بالسياسة التى تتبع فى تقديم العلم للشعب .

ذلك أن بعض الاتجاهات التى اتبعت فى هذا الصدد ، تذهب الى أن — تقدم الموضوعات والفتوحات العلمية بما يكشف عن روعتها وغرابتها ، على أن هذا الاتجاه — كما يقول الدكتور الحارونى — لا ينبغى أن يكون غاية فى ذاته بل ينبغى أن يستخدم كوسيلة لاجتذاب الجماهير واستمالتها للاستطلاع ومعرفة المزيد اما الاتجاه الآخر فيركز اهمية خاصة فى ابراز تصور العلم وعجزه ،ويعتنق هذا الاتجاه بعض المتدينين الذين يهدفون الى نشر وتعميق الايمان بالخالق بالكشف عن ضعف الانسان حيال القدرة العلوية . اننا يجب أن نعامل هذا الاتجاه بحذر شديد وخاصة فى بلادنا العربية التى لا تعوزها الدعوة الروحية .

ان استعراض العلم على المستوى الشعبى فى مواجهة الديانات امر حساس خطير ، على أن تبسيط العلوم يجب أن يكون هادفا ويجب أن يفيد المواطن من وعيه العلمى عقلية ومنهجا يساعدانه ليس فقط على التفهم الصحيح لامور الحياة بل يرفعان كذلك من قدراته على التحسين والاجادة فى عمله ، والتبسيط السليم للعلم يزين جوانب الحياة وماينفع الناس ، ويشجب جوانب الاساءة ، ويكون المجتمع بذلك قوة موجهة نحو الخير ومعارضة ومانعة لكل شر أو هلاك .

ملخص :

ونخلص من هذا الاستعراض السريع الى عدة أهداف يجب أن تتبناها البرامج الثقافية فى تبسيط العلوم وهى : —

أولا : تذكير الدول التى يصدر الاعلام فيها بأن العالم كله يعيش فوق مخزون بارود ذرى ، يضاف إليه مواد متفجرة يوما بعد يوم ، ولا يستبعد انفجاره يوما ما نتيجة قرار واحد من الزعماء السياسيين .

ثانيا : استمرار ضغط العلماء على الحكومات والهيئات التنفيذية ، ليبقى للعلم والعلماء مكانتهم ودورهم المحايد فى التعاون الدولى لحل مشاكل التنمية العالمية ، للوصول بالانسانية كلها الى مستوى معقول من المدنية والتقدم ، بالاعتماد على العلم والتكنولوجيا .

ثالثا : يصبح واجبا على العلماء تبسيط العلوم لتعليم الناس ولتربية البشرية على الحياة فى العالم الجديد الذى خلقته الثورة العلمية .

وليست هذه الواجبات اعمالا طارئة يخصص لها وقت عابر ثم تنتهى ولكنها مسئولية النشر العلمى وتبسيط العلوم والاستمرار فيه الى المستقبل الطويل .

ولا يكفى للاقتناع بالعلم وبدوره ــ كما يقول رابينوفتش[٣] مجرد شرح تركيب المفاعل النووى أو الصاروخ البعيد المدى ، أو شرح التركيب الكيمائى لجزيئات الجينات الحاملة للوراثة فى الخلية الحية أو كيفية تأثير دواء جديد[٣٧] .

وليس الهدف من نشر الوعى العلمى مجرد المتعة الذهنية والاثارة العقلية للناس باخبار الاختراعات والاكتشافات ولكن النشر العلمى هدفه الاكبر هو نشر أسلوب تعاليم تعايش الدول والحكومات مع منجزات العلم الكبيرة ، ومع الحياة التى لامفر منها مع متطلبات عصر العلوم .

الفصل التاسع

منهج البحث ونتائج التحليل

تقدم الباحثة فى الصفحات التالية ، منهج تحليل المضمون الذى اتخذت منه منهجا لبحثها فى البرامج الثقافية ، فتتحدث عن فئات التحليل وخصائصها سواء أكانت فئات المضمون ، أم المصادر والشكل واللغة ، ثم تتحدث عن كيفية اختيارها لعينة البحث ، ووحدات القياس المستخدمة ، ثم التحليل الكمى للبرامج الثقافية والنتائج التى اسفر عنها تحليل المضمون للافتراضات التى طرحت فى مدخل هذا البحث ، ثم تقدم بعد ذلك ، خلاصة البحث والتوصيات التى أسفرت عنها نتائج تحليل المضمون .

منهج البحث :

اعتمد هذا البحث ، كما تقدم ، على أسلوب تحليل المضمون ، كأسلوب علمى يستخدم لوصف مختلف أوجه مضمون الاتصال بأسلوب مختصر ، بل وللتنبؤ بعدد من الوقائع أو الاحداث من خلال البرامج الثقافية فى الاذاعة المسموعة ، كما تحاول الباحثة هنا أن تجيب على التساؤلات التى افترضها البحث :

اولا : فئات التحليل وخصائصها :

وتحاول الباحثة هنا أن تحدد مادة التحليل وخصائصها الهيكلية ، تأسيسا على أن تحليل المضمون اسلوب لوصف المضمون الظاهر للرموز المستخدمة فى الاتصال بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل للبرامج الثقافية ، وهذه الفئات تنطوى على الاجابة على سؤالين هما :

١ ـــ ماهو مضمون البرنامج الثقافى ؟

٢ ـــ كيف قيل ؟ (الشكل) .

وقد حاولت الباحثة أن تضع مادتها فى « الفئات » تمهيدا لتحويلها الى صياغة رقمية لكى تتمكن من عد الجوانب ذات الدلالة فى الشكل والمحتوى وقياسها ومقارنتها ، بهدف تحليل مضمون البرامج الثقافية التى قدمتها اذاعتا : البرنامج العام وصوت العرب خلال الدورة الاذاعية : ابريل ـ يونية ١٩٧٨ ومناقشة الافتراضات التى طرحت فى مدخل هذا البحث .

١ ـــ فئات المضمون :

وتأسيسا على هذا الفهم ، فان فئات المضمون تضم :
فئة موضوع الاتصال ثم فئة المصدر الثقافى للبرنامج .

ا) فئة موضوع الاتصال :

وتتحدد هذه الفئة من خلال البحث عن الموضوعات، التى تدور حولها البرامج الثقافية ، وتضم هذه الفئة :

١ ـــ الثقافة الادبية :

ويقصد بها ماتقدمه الاذاعة من فنون الادب . والادب ينقسم بوجه عام الى شعر ونثر[١] وبالرغم من وضوح هذا التقسيم الا أن هذا الوضوح ظاهرى فقط ، ويتبين ذلك عندما ننظر فى الاساس أو الاسس التى تفصل بين الشعر والنثر . ويلاحظ أن واضع نظرية الفنون الادبية الفيلسوف أرسطو فى كتابه « الشعر » ـ لم يرفى « النظم » أى فى موسيقى الشعر مقياسا للتمييز بين الشعر والنثر ، وإنما يذهب الى اعتبار المضمون لا النظم مقياسا للتفرقة ، وان كان رأى أرسطو لم تكتب له الغلبة على الرأى المضاد الذى لا يزال يؤكد حتى اليوم أن النظم أى الموسيقى الشعرية المحددة المعالم هى التى تميز الشعر عن النثر[٢] كما تضم هذه الفئة تذوق الجمال والسلاسة فى اللغة العربية .

٢ ـــ الثقافة العلمية :

ويقصد بها تبسيط العلوم الطبيعية والكيمائية والانسانية وتطبيقاتها فى الحياة بهدف التقريب بين اصحاب الثقافتين العلمية والادبية(٣) .

ومن الواجب أن تتصف مواد الثقافة العلمية التى تقدم للجمهور بالبساطة والتبسيط ومن الواضح أن تبسيط المعرفة العلمية لا يعنى اختزالها ، وذلك لما هو معلوم من أن المعرفة المختزلة المبتسرة قد تكون أكثر ضررا من الجهل(٤) ، على حد تعبير الدكتور مندور .

٣ـــ الثقافة الفنية :

ويقصد بها التكامل الذى يحققه الراديو مع أجهزة الثقافة والفنون ، والترويج لهذه الاجهزة الثقافية والفنية بهدف ربط المستمع ، بحيث تواجه الاذاعة اعتراضات انصار الثقافة العميقة والتربية الفردية ، والتى تتلخص فى خطر المنافسة بين الراديو وأجهزة الثقافة والفنون ، فهل تتكامل الاذاعة مع السينما والمسرح والصحف والمجلات والكتب والفنون التشكيلية والموسيقى والمتاحف ، ليفيد المستمع من فعالية كل منها ؟ هل تسهم الاذاعة فى تنمية الوعى القرائى ، ام انها تقضى على الكتابة كوسيلة اساسية للتثقيف ؟ هل تساهم الاذاعة فى دفع المستمع الى التثقيف الذاتى وتهيئته له ؟

٤ ـــ الاحاديث والمعارف العامة :

ويقصد بها ما تقدمه الاذاعة من احاديث وندوات تقدم للمستمع زادا من المعارف العامة ، تتسم بالبساطة والتبسيط ، وهذه الاحاديث والندوات تبسط المعرفة للمستمع(٥)

ب) اما فئة المرجع والمصدر :

فهى تشير الى المصدر الثقافى الذى استقى منه البرنامج مادته ، فهل المادة الثقافية من مصر ام انها من البلاد العربية أم من البلاد الاجنبية ، وذلك بهدف التعرف على نسبة المحلية والقومية فى الاذاعتين موضع التحليل ، على النحو المبين فى الافتراض رقم (١)

٢ ـــ أ ـــ فئة شكل البرنامج :

ويقصد بها اساليب اداء وتنفيذ وصياغة البرامج الثقافية ، فهل شكل البرنامج الثقافى : الحديث ـــ الندوة ـــ الحوار ـــ الشكل الدرامى ـــ المسابقات ـــ شكل المجلة الاذاعية الخ ..

وتحاول هذه الفئة أن تجيب على الافتراض الخامس على النحو المتقدم .

ب ـــ فئة لغة البرنامج :

فهل اللغة التى تؤدى بها البرنامج الثقافى هى اللغة العربية الفصحى ام العامية أم العامية والفصحى معا ، وذلك بهدف الاجابة على الافتراض الرابع .

ثانيا : اختيار العينة :

ولعلاج صعوبة الاتساع الزمانى ، فقد اقتصر مجتمع الدراسة فى تحليل المضمون على البرامج الثقافية التى قدمت فى الدورة الاذاعية التى بدأت من ابريل ١٩٧٨ ـــ يونية ١٩٧٨ . وذلك استنادا الى أن المؤتمر العام للثقافة والاعلام فى دور انعقاده الثانى ٢٢ ـــ ٢٧ مارس ١٩٧٨ ، قد قرر « ابتداء من دورة ابريل الاذاعية ، زيادة كثافة المواد الثقافية فى كافة الخدمات الاذاعية » .

وكانت المشكلة التى واجهت الباحثة فى اختيار العينة هى تحديد تواريخ البرامج المختارة للدراسة ، وقد تمكنت من حل هذه المشكلة باختيار العينة الشائعة فى تحليل مضمون الصحف أو الاذاعات اليومية[٦] وهى التى تعتمد على اختيار عينة من أيام النتيجة ، فقامت « ببناء » فترة زمنية من التواريخ الموجودة فى النتيجة ، تأسيسا على الاسلوب الذى ابتكره الباحثان كارتر وجونز فى دراستهما لحجم المساحة غير المخصصة للاعلان فى الصحف[٧] .

وبذلك تسنى التغلب على مشكلة اختيار العينة وتمثيل ايام الاسبوع فى الدورة الاذاعية بحيث يتاح تحليل البرامج الثقافية على مدى الايام السبعة وتتيح هذه العينة تحليل جميع البرامج الثقافية واعطاءها فرصا متساوية سيما وان هذه البرامج على درجة من التنوع كبيرة ، واختيار بعضها دون البعض الآخر لا يضمن سلامة التحليل ، وقد حاولت الباحثة التحكم فى خطأ المصافة ، والتقليل من خطأ التحيز فى الادلاء والاختيار قدر المستطاع باتباع القواعد الاحصائية لضبط عمليات تحليل المضمون .

ثالثا : وحدات القياس المستخدمة :

اختيرت الفكرة وحدة للتسجيل وللمضمون ، حتى يمكن عدها وتصنيفها .. الخ كما اختيرت الدقيقة وحدة للعد ، على اساس من طبيعة المضمون الاذاعى المراد تحليله . تحليله

والفكرة هنا من وحدات التحليل التى يشيع استخدامها فى أسلوب تحليل المضمون ، ويقصد بها الوحدة الطبيعية .

وهى هنا قد تعنى برنامجا ثقافيا بأكمله ، أو جزءا من برنامج كما قد تكون حديثا اذاعيا أو برنامجا خاصا طبقا للموضوعات المتناولة والتى تم تحديدها فى فئات التحليل .
وقد استخدمت الفكرة وحدة التسجيل بالنسبة للاحاديث والبرامج الثقافية العامة .

والاساس فى اختيار الدقيقة وحدة للعد ، يرجع الى ان البرنامج الواحد قد يتضمن اكثر من موضوع أو فكرة ، قد تطمس معالمها فى حالة استخدام وحدة البرنامج أو وحدة المفردة وحدة للعد بجانب استخدامها وحدة للتسجيل .

وقد تم حساب الدقيقة المذاعة على اساس مائة كلمة فى الدقيقة لنشرات الاخبار ومائة وعشرين كلمة للتعليقات والبرامج ، وهو مقياس متعارف عليه اذاعيا[8] . (٢)

رابعا : التحليل الكمى للبرامج الثقافية :

وفى المرحلة الاخيرة قامت الباحثة بالتحليل الكمى للبرامج الثقافية موضع التحليل ، بقصد تقديم صياغة رقمية لمضمون وشكل هذه البرامج . وقامت الباحثة بتحليل الاذاعتين متبعة الاسلوب الآتى : —

١ — اعداد جداول واحدة لجميع مصادر جمع المعلومات وتفريغ البيانات المرتبطة فى تلك البرامج على اساس اتخاذ المفردة وحدة للتسجيل وللمضمون ، والدقيقة وحدة للعد .

٢ — اعتبار هذه المرحلة كخطوة أولى فى عملية التحليل النهائية (النهائيم) التى تتعرض لها الباحثة فيما بعد ، بقصد اكتشاف المفاهيم ووضع الخطوط العريضة المرتبطة بصياغة الافتراضات .

٣ — اكتشاف الصفة الغالبة للبرنامج من حيث مضمونه ولغته وشكله الاذاعى .

وهكذا يمكن القول ان تحليل المضمون فى هذا البحث يعنى عزل خصائص ثقافية معينة والبحث عن مصادرها وعن تكرارها ، وملابساتها ، وعلاقاتها الارتباطية بغيرها من الحقائق التى تدور حولها الرسالة موضوع التحليل .

ولايسع الباحثة الا أن تؤكد أن جميع ماتقدمه من نتائج ليست الا مجرد نتائج استطلاعية فقط . وجل من لا يخطىء تحيزا أو قصورا فى عالم البشر .

خامسا : نتائج التحليل :

الافتراض الاول :

ان البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب تحقق التكامل بين المحلية والقومية .

دلت الاحصاءات على أن البرنامج العام يعتمد على الدائرة المحلية المصرية كمصدر ثقافى بنسبة ٨٥ ر٨٨ ٪ فى حين بلغت نسبة الدائرة العربية كمصدر ثقافى للبرنامج العام ٢٩ر٣ ٪ وزادت نسبة الدائرة العالمية أو الانسانية عن الدائرة العربية فبلغت ٨٤ر٧ ٪ وهى الدائرة التى يتم بواسطتها الانتساب الى حضارة العصر وثقافاته .

أما صوت العرب فقد كانت الدائرة المصرية فى مصادر برامجه الثقافية اقل منها فى البرنامج العام حيث بلغت ٥٥ر٤٨ ٪ فى حين زادت الدائرة العربية عنها فى البرنامج العام ووصلت فى صوت العرب الى ٣٣ر ٣٧ ٪ ، أما الدائرة العالمية فقد وصلت الى ٩٩ر١٣ ٪ .

ومن ذلك يتضح أن الدائرة العربية تتوسط هذه الدوائر الثلاث فى صوت العرب ، وفى ذلك ما يشير الى الرسالة العربية لهذه الاذاعة الامر الذى يشير كذلك إلى أن لاذاعة صوت العرب شخصية متميزة تتسم بالطابع العربى فى حين تتسم اذاعه البرنامج العام بالطابع المصرى الانسانى العربى ، ويبين الجدول التالى نسب الدوائر الثقافية الثلاث فى الاذاعتين :

جدول رقم (١)
المصادر الثقافية

الفئة / الاذاعة	الدائرة المصرية	الدائرة العربية	الدائرة العالمية	المجموع
البرنامج العام	٪ ٨٨,٨٥	٪ ٣,٢٩	٪ ٧,٨٤	٪ ١٠٠
صوت العرب	٪ ٤٨,٥٥	٪ ٣٧,٣٣	٪ ١٣,٩٩	٪ ١٠٠
الفارق النسبى	+ ٤٠,٢٣ ٪	- ٣٤,٤ ٪	- ٦,١٥ ٪	- ٣٢

ومن هذا الجدول تبين ان الدائرة المصرية فى البرنامج العام تتفوق عليها فى صوت العرب بفارق نسبى + ٢٣ر٤٠ ٪ فى حين تقل الدائرة العربية فى البرنامج العام عنها فى صوت العرب بفارق نسبى — ٤ر٣٤ ٪ ، أما الدائرة العالمية فتقل كذلك فى البرنامج العام عنها فى صوت العرب بفارق نسبى ١٥ر٦ ٪ .

ولعل هذه النتيجة تفسر ما اسفرت عنه مؤشرات الاستماع والمشاهدة فى القاهرة عام ١٩٧٧[٨] حيث جاء ترتيب البرنامج العام الاول بنسبة ٧٨٫٨ ٪ اما صوت العرب فبنسبة ٩٫٢ ٪ . فهل ترتبط افضلية الاستماع بالطابع المصرى للبرنامج العام ، وهل نسبة الاستماع لصوت العرب ترتبط بكونها اذاعة موجهة للعالم العربى ، يشكل المستمع المصرى جزءا من جمهورها ؟

ولعل فى ذلك أيضا ما يفسر رغبات ومقترحات الجمهور حول برامج الاذاعة حيث :[٩]

١ ـــ التنسيق بين الاذاعات المحلية والتعاون فيما بينها .

٢ ـــ عمل جولات للميكروفون فى مواقع العمل لمعايشة الاحداث .

٣ ـــ اذاعة الحفلات الخارجية على الهواء مباشرة .

ويتضح من تحليل المضمون هنا ، أن الافتراض الاول يتفق مع ما ذهبت اليه الباحثة فى الفصل الثانى ، حول الوحدة والتنوع فى مضمون البرامج الثقافية الى جانب أن ما اسفر عنه تحليل المضمون حول هذا الافتراض يتفق مع ما ذهبت اليه السياسة الثقافية فى مصر[١٠] التى أكدت ان هناك فضيلتين تمثلان الاسس القومية لثقافتنا :

١ ـــ ثقافة مصرية عربية .

٢ ـــ تقوم على الدين .

٣ ـــ وطنية ولكنها غير منغلقة على الثقافة العالمية ولكنها مواكبة لها . ومن ثم ينفتح الباب لما نصبو اليه من علم وتكنولوجيا .

الافتراض الثانى :

(نسبة البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب اقل بالمقارنة مع البرامج الترفيهية والبرامج الاعلامية والسياسية) .

وقد تأيد هذا الافتراض تأييدا مطلقا ، إذ دلت الاحصاءات على أن البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب أقل بالمقارنة مع البرامج الترفيهية والبرامج الاعلامية والسياسية .

ففى البرنامج العام بلغت نسبة البرامج الثقافية ١٠٫٦٢ ٪ فى حين بلغت نسبة البرامج الترفيهية ٤٦٫٣١ ٪ والبرامج الاعلامية ٢٠ ٪ .

وفى صوت العرب بلغت نسبة البرامج الثقافية ٧ ٪ فى حين بلغت البرامج الترفيهية نسبة ٥٤٫٩٨ ٪ والبرامج الاعلامية نسبة ٢١٫٩٨ ٪ وتتضح هذه النسب فى الجدول التالى :

جدول رقم (٢) البرامج الثقافية والبرامج الترفيهية والاعلامية

الاذاعة	البرامج الثقافية	البرامج الترفيهية	البرامج الاعلامية
البرنامج العام	١٠,٦٢ ٪	٤٦,٣١ ٪	٢٠ ٪
صوت العرب	٧ ٪	٥٤,٥٨ ٪	٢١,٩٨ ٪
الاذاعتان معا	٨,٨١ ٪	٥٠,٤٥ ٪	٢٠,٩٩ ٪

كما تأيد ذلك الافتراض ايضا عن طريق المتوسط الحسابى كالآتى :

متوسط البرامج الثقافية = ٨١ر٨ ٪

متوسط البرامج الترفيهية = ٤٥ر٥٠ ٪

متوسط البرامج الاعلامية = ٩٩ر٢٠ ٪

ومن ذلك تتضح الاجابة على السؤال المطروح فى مدخل هذا البحث ، حيث لا تعمل الاذاعة المسموعة على توفير خلفية ترفيهية فحسب ، ولكنها تقوم بالفعل بتبسيط الثقافة وتقديمها فى شكل مستساغ فجمهورها على اختلاف نوعياته كثير وان كانت نسبة قيامها بهذه الوظيفة التثقيفية دون المستوى المطلوب ، حتى يتم التوازن بين الترفيه والثقافة فى مضمون البرامج الاذاعية .

وقد أوصى المؤتمر العام للثقافة والاعلام[٦٣] بضرورة الاهتمام بدعم النشاط الثقافى ، للاذاعة بحيث تساهم فى بناء الانسان المصرى المثقف بالمعنى الشامل للثقافة ، والقادر على مواكبة العصر الذى يعيش فيه ، وكذلك تحرص على التخطيط للزاد الثقافى .

الافتراض الثالث :

(أن البرامج الثقافية فى الاذاعة تتكامل مع وسائل الثقافة والفنون وتروج لها مثل : الصحافة ـــ الكتاب ـــ المسرح ـــ السينما ـــ الموسيقى من خلال برامج تخصص لهذا الغرض) .

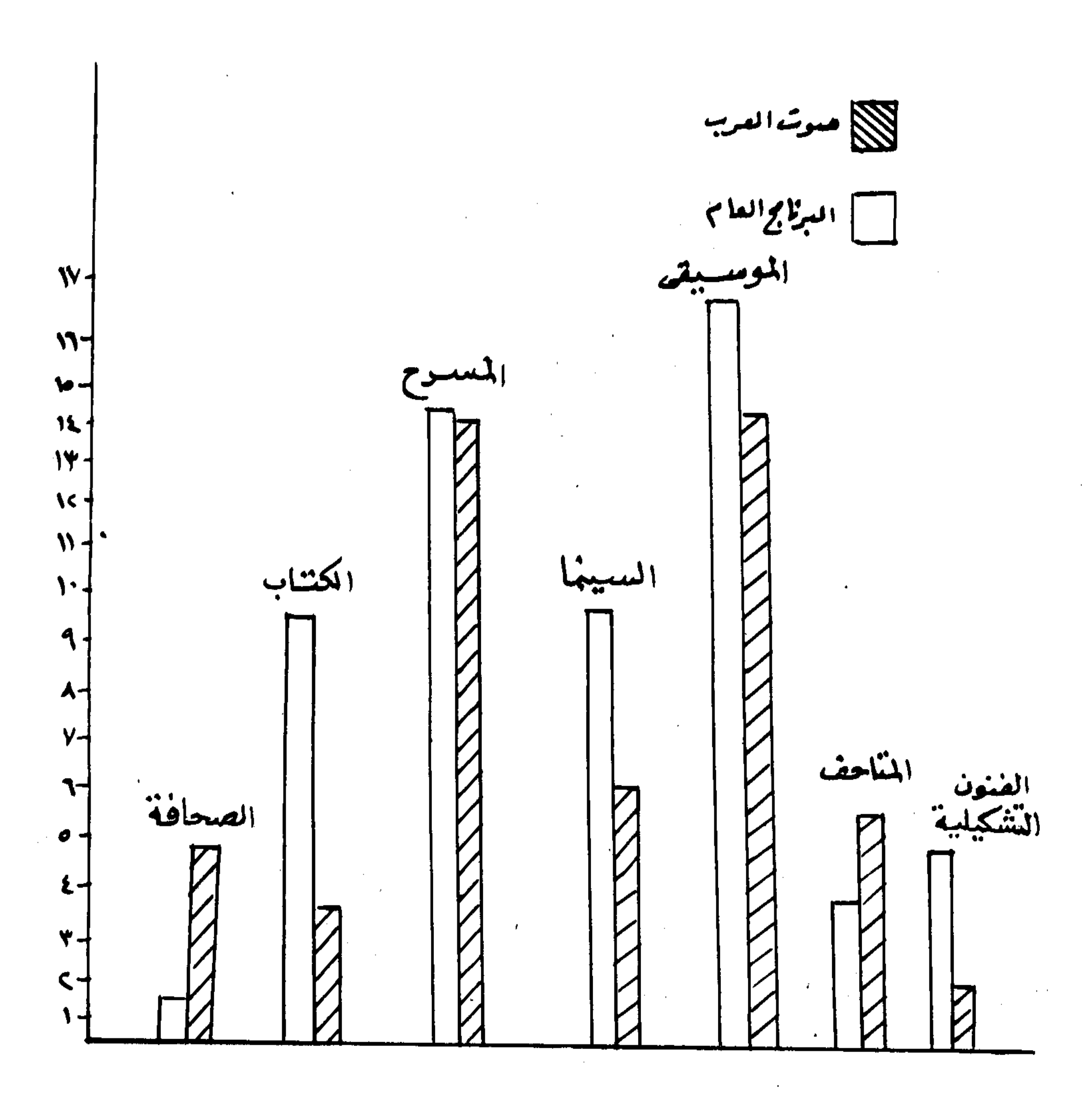
١ ـــ بلغت نسبة البرامج التى تؤدى هذه الوظيفة فى البرنامج العام ٤٣ر٦٠ ٪ وفى صوت العرب ٤٦ر٥٠ ٪ وفى الاذاعتين معا بمتوسط ٤٦ر٥٥ ٪ .

٢ ـــ وقد احتلت الموسيقى الدرجة الاولى بين الوسائل الثقافية التى تروجها الاذاعةض، حيث بلغت نسبة متوسط الاذاعتين بالنسبة للموسيقى ٤ر١٥ ٪ فى حين يخصص البرنامج العام ٥١ر١٦ ٪ وصوت العرب ٣ر١٤ ٪ للموسيقى .

المجموع	الاذاعة	الصحافة	الكتاب	المسرح	السينما	الموسيقى	المتاحف والاثار	الفنون التشكيلية
٦٠،٤٣	البرنامج العام	١	١٠،	١٤،٣٦	١٠	١٦،٥١	٣،٥٦	٥
٥٠،٤٦	صوت العرب	٤،٧٦	٣،٧٣	١٤	٦	١٤،٣	٥،٦٧	٢
٥٥،٤٤	الاذاعتان معا	٧،٨٨	٦،٨٧	١٤،١٨	٨	١٥،٤	٤،٧	٣،٥

ويحتل المسرح الترتيب التالى حيث بلغ متوسط ما يخصص للمسرح فى الاذاعتين ١٤،١٨٪ يقدم البرنامج العام ١٤،٣٦٪ وصوت العرب ١٤٪ للمسرح ومن تحليل هذا الافتراض يتأكد ماذهبت اليه الباحثة فى الفصل السادس الخاص بتكامل الاذاعة مع أجهزة الثقافة والفنون ، وتتفق هذه النتيجة مع ما لاحظه بول لازرسفيلد وباتريشيا كندال حول زواية «كل شىء اولا شىء فى السلوك الاتصالى ، ذلك أن الشخص الذى يكون تعرضه لوسيلة مافوق المتوسط يميل إلى أن يكون تعرضه فوق المتوسط ايضا ، بالنسبة لسائر الوسائل . ويميل المتحمس للاستماع إلى الراديو إلى أن يكون متحمسا ، ايضا لمشاهدة السينما ، ومن ناحية اخرى يذهب لازرسيفيلد وميرتون إلى أن قاعدة كل شىء تنبثق عن الاهتمام والفرص المتاحة ، فالشخص الذى تهمه المادة الهروبية قد يجدها فى الكتب أو المجلات أو الاذاعات ، وكذلك فإن الشخص الذى يهتم بالمسائل العامة ، قد يبحث عنها فى الصحف والكتب ومن اجل ذلك فإن البرامج الثقافية حين تعنى بتقديم الفنون والتعامل مع اجهزة الثقافة الاخرى ، فإنها تحاول اشباع الرغبات الثقافية للمستمع ، من خلال التعريف والتكامل مع هذه الاجهزة . وقد اوصى المؤتمر العام للثقافة والاعلام بالسعى الفورى إلى التكامل بين اجهزة الاعلام والثقافة والتعليم والسياحة تحقيقا للتقدم الحضارى الذى ننشده»

واذا كانت الموسيقى قد احتلت المرتبة الاولى فى اهتمام البرامج الثقافية بالفنون (١٥،٤٪ متوسط الاذاعتين) فأن ذلك يتسق مع طبيعة الفن الاذاعى نفسه حين يفيد من الاتصال السمعى فى تكثيف البرامج الموسيقية الثقافية بمصاحبة الشرح والتحليل وسير المؤلفين ونشرها فى مجلة الاذاعة اساسا . كما أوصى بتاصيل القومية فى موسيقانا العربية واعلام العرب وانتاجهم ، مناهج التذوق المقارن فى الاداب والفنون التشكيلية والموسيقى إلى جانب تقديم تراجم عن الشخصيات والموضوعات الموسيقية الاجنبية .



شكل مزدوج يبين نسب أجهزة الثقافة والفنون فى الإذاعتين .

وقد احتل المسرح فى الاذاعتين المرتبة التالية للموسيقى بنسبة ١٤,١٨٪ ولعل فى ذلك مايؤيد ما ذهبت إليه الباحث فى الفصل السادس بشأن المسرح وما ذهب اليه المؤتمر العام للثقافة والاعلام من ضرورة «تحقيق» ديمقراطية المسرح وتوصيل نشاطه إلى اوسع قطاعات الجماهير . والحرص على تنوع طبيعة العروض وتعدد مستوياتها ما يلائم كافة الفئات والمستويات الثقافية»

ويتضح دور الاذاعة بازاء تحقيق ديمقراطية المسرح فى ضوء المحاولات السابقة أنه قد تعذر قيام واستمرار حركة مسرحية قومية خارج القاهرة حتى المحاولات المكثفة فى محافظة كبيرة تتميز بكل ملامح التقدم العمرانى كمحافظة الاسكندرية كان مصيرها أن شحبت وضمرت ثم اختفت ، ويرجع هذا إلى الافتقار إلى التكامل الثقافى والاعلامى ، لان وجود حركة مسرحية دائمة فى مدينة اليوم لا يمكن ان يتحقق بغير تعايش هذه الحركة مع حركة اعرض للثقافة والاعلام تتمثل فى صحافة واذاعة وتليفزيون وسينما وموسيقى وغيرها وهنا يصبح دور الاذاعة بالنسبة للمسرح ، مرتبطا بالهدف الكبير : تحقيق ديمقراطية الثقافة بوجه عام ، والمسرح بوجه خاص

ولذلك فإن برامج المسرح فى اطار البرامج الثقافية ينبغى أن تعمل على تشجيع الابداع الفنى الذى يستلهم التراث القومى والشعبى ، وتناوله بالدراسة والنقد والاذاعة والاحتفاء بالتراث الانسانى قديمة وحديثة مع العناية بانتقاء الاعمال وثيقة الصلة من حيث مضمونها بالقضايا الفنية والاجتماعية على المستويين القومى والعالمى .

أما السينما فقد احتلت فى تحليل مضمون البرامج الثقافية نسبة المرتبة التالية للمسرح فى الاذاعتين (٨٪) وفى البرنامج العام ١٠٪ وفى صوت العرب ٩٪ ، واهتمام البرامج الثقافية بالسينما ، كذلك يستهدف نشر الثقافة السينمائية التى لاتصل الى كل الجماهير ، نتيجة للنقص فى دور العرض ، وقد تبين من بحث للمركز القومى للبحوث الاجتماعية ان ٥٩,٩ من مشاهدى السينما يسمعون الافلام التى تذيعها الاذاعة الامر الذى يؤكد ضرورة تخصيص برامج للسينما فى إطار البرامج الثقافية .

وقد احتل الكتاب المرتبة التالية للمسرح فى الاذاعتين بنسبة ٦,٨٧ ولكن الاهتمام بالكتاب فى البرنامج العام يصل إلى ١٠٪ فى حين يصل فى صوت العرب إلى ٣,٧٣٪ ، وأن كانت هذه النسب تشير إلى أن الاهتمام بالكتاب لا يمثل المرتبة اللائقة بمكانته كوسيلة من اهم وسائل الثقافة واعمقها اثرا ، الامر الذى يجعل اهتمام البرامج الثقافية بالكتاب وتنمية الوعى القرائى ضرورة لمواجهة المنافسة الخطيرة للاجهزة الاخرى ، فالبرامج الثقافية مطالبة بأن تغرس فى العقل العربى ان الكتاب هو أقرب

وسيلة تثقيفية مؤثرة تلازم الانسان ، وتظل فى متناول يده تلبى احتياجاته الروحية والعلمية فى أى زمان ومكان .

وما يقال عن الكتاب يقال عن الصحافة ، وما تقدمه من صفحات ثقافية ينبغى ان يرتبط بها المستمع المصرى والعربى ، وقد تبين أن البرنامج العام لايحتفى بالصحافة احتفاء صوت العرب بها ، حيث النسبة هى ١٪ : ٤,٧٦ ، وقد تبين ذلك فى الفصل السادس عند الحديث عن برنامج عالم المجلات .

الافتراض الرابع :

«أن اللغة فى البرامج الثقافية فى صوت العرب هى العربية الفصحى المشتركة ، فى حين تتوسل فى البرنامج العام بالعامية احيانا» .

ويتضح هذا الافتراض من العمودين المجزأين ، حيث يتضح أن الفصحى والعامية فى البرنامج العام تصل إلى نسبة ١٤و٤٧٪ حينما يستخدم البرنامج الفصحى والعامية معا ، وخاصه فى حالة الحوار ، حيث تلتقى الفصحى بالعامية ، وكذلك فى صوت العرب تصل نسبتها إلى ٦٥,٥٨٪ بفارق نسبى + ١٨,٤٤ ، فى حين تقل نسبة العامية فى صوت العرب عنها فى البرنامج العام بفارق نسبى ــ ٢٢,١٠٪ ، حيث تصل نسبة استخدام العامية فى البرنامج العام إلى ٢٧,١٦٪ فى حين تقل هذه النسبة فى صوت العرب لتبلغ ٥,٦٪ وتزيد نسبة استخدام الفصحى فى صوت العرب عنها فى البرنامج العام بفارق نسبى + ٥,١٢٪ ، حيث تصل نسبة الفصحى فى البرنامج العام إلى ٢٥,٧٪ فى حين ترتفع فى صوت العرب إلى ٣٠,٨٢٪ .

الفئة / الاذاعة	الفصحى ٪	العامية ٪	الفصحى والعامية ٪	المجموع
البرنامج العام	٢٥, ٧	٢٧,١٦	٤٧,١٤	١٠٠
صوت العرب	٣٠,٨٢	٥, ٦	٦٥,٥٨	١٠٠
الاذاعتان معا	٢٨,٢٦	١٦,٣٨	٥٦,٦٢	١٠٠

ومن ذلك يتضح موقف البرنامج العام وصوت العرب من اللغة العربية فى البرامج الثقافية ، ويتضح ايضا ارتباط استخدام هذه اللغة بالدوائر الثقافية فى مصادر البرامج ذاتها ، على النحو المتقدم ونعنى : الدائرة المحلية ، الخاصة بكل قطر عربى على حدة والدائرة القومية العربية ، والدائرة العالمية او الانسانية ولعل ارتفاع نسبة البرامج التى تستخدم الفصحى والعامية معا حيث تصل إلى ٥٦,٦٢٪ ، فى الاذاعتين معا دليل على أن الاذاعة تتجه نحو استخدام اللغة العربية الفصحى المشتركة التى تحدثت عنها الباحثة تفصيلا فى الفصل الخامس ، ذلك أن فن الاذاعة يبرز العناصر والسمات المشتركة فى الثقافة العربية ، من خلال لغة مشتركة ، تساهم فى تشكيل وجدان المواطن العربى .

وعلى ذلك يمكن القول أن هذا الافتراض قد تايد ، ذلك أن الاتجاه إلى استخدام الفصحى المشتركة ، يغلب على الاتجاه لاستخدام العامية ولا سيما اذا اضفنا نسبة استخدام الفصحى مع العامية إلى نسبة الفصحى الخالصة لوجدنا أن هذا الافتراض تؤيده الارقام إلى حد كبير ، فتصبح نسبة الاتجاه إلى الفصحى فى البرنامج العام ٧٢,٧٤٪ وفى صوت العرب ٩١,٤٠٪ ولعل فى ذلك ما يؤكد الافتراض القائل بأن الاذاعة عامل جوهرى هام يعمل على تقارب المجتمعات ، فى نطاق اللغة القومية العامة lingua Franca وطبيعى أن اللغة العامة او المشتركة غير اللهجات المحلية أو الطبقية الخلصة .

كما يمكن القول أن تحليل المضمون هنا قد ايد الافتراض القائل بأن الاذاعة تحقق الوساطة بين الفصحى واللهجات العامية ، ذلك أن استخدام الفصحى مع العامية فى البرامج الثقافية قد وصل متوسطه فى الاذاعتين إلى نسبة ٥٦,٦٢٪ وهذه النسبة تشير إلى التقارب الذى يمكن تحدثه الاذاعة بين العامية والفصحى ، وهو الأمر الذى يؤدى

باللهجة الفصحى[1] لتكون اكثر مرونة مما كانت وتتلخص من كثير من الظواهر التى لصقت بها عن طريق التدوين وعن طريق التقعيد ونجد فوق هذا كله ان اللغة العامية تلتقى بالفصحى ، ولعل بروز هذه الظاهرة فى شكل الحوار بالبرامج الثقافية أن يؤكد ماذهب إليه الدكتور يونس من أن المتحدثين كلامهم ـ كمتعلمين قريب جد من الفصحى ، وأن مال إلى الوقف «والتحرر من الاعراب بعض الشىء»

الافتراض الخامس :

ان البرامج الثقافية تقابل مختلف الاذواق والميول والتخصصات : بسبب تنوع برامجها وموضوعاتها وجمعها بين الوان مختلفة من المعارف الانسانية ، ويتضح ذلك فى الجدول التالى :

موضوع الاتصال
فى البرامج الثقافية

الفئة الاذاعة	الثقافة الادبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	الاحاديث والمعارف العامة	المجموع
البرنامج العام	٪ ١٩,٢٨	٪ ٧ ,١٣	٪ ٦٠,٤٣	٪ ١٣,١٣	٪ ١٠٠
صوت العرب	٧,٤٧	١٢,١٥	٥٠,٤٦	٢٩,٩	١٠٠
الاذاعتان	١٣,٣٨	٩,٦٤	٥٥,٤٦	٢١,٥٢	١٠٠

جدول رقم (٣)

ومن هذا الجدول يتضح آن البرامج الثقافية فى الاذاعتين تقدم ثقافة ادبية : (فى البرنامج العام ١٩,٢٨٪ وصوت العرب ٧,٤٧٪) ثقافة علمية (فى البرنامج العام ٧,١٣ ٪ وصوت العرب ١٢,١٥٪) ثقافة فنية (فى البرنامج العام ٦٠,٤٣ وصوت العرب ٥٠,٣٦) معارف عامةـ(البرنامج العام ١٣,١٣٪ وصوت العرب (٢٩,٩٪)

٪ ٢٩,٩

ب ــ بسبب استخدام الاشكال الاذاعية المختلفة فى تقديم الثقافة للمستمع فى شكل جذاب يفيد من امكانيات الاذاعة ، ويوضح الجدول التالى مدى صحة هذا لافتراض

الفئة الاذاعة	الندوة	المنوعات	الحوار	الشكل الدرامى	المسابقات	المجلة الاذاعية	موسيقى تحليل	مجموع
البرنامج العام	٢٨,٥٦	١٢,٨٤	١٨,٥٦	٢٦,٤٢	٢,١٣	٤,٩٩	٦,٤٣	١٠٠
صوت العرب	٢٩,٨٧	٨ ,٤١	١٧,٧٤	١٥,٨٧	—	٢٢,٤١	٦,٥٤	١٠٠
الاذاعتان	٢٩,٥١	١٠,٦٢	١٨,١٥	٢١,١٤	١,ـ	١٣,٧	٦,٤٨	١٠٠

ومن هذا الجدول يتضح أن شكل الحديث أو الندوة يحتل المرتبة الاولى فى الاذاعتين بنسبة ٢٩,٥١٪ فى حين يحتل الشكل الدرامى ٢١,١٤٪ فى الاذاعتين المرتبة الثانية ، أما الحوار فيحتل المرتبة الثالثة ١٨,١٥٪ والمجلة الاذاعية ١٣,٧٪ والمنوعات ١٠,٦٢٪ والموسيقى والتحليل ٦,٩٨٪ أما شكل المسابقات فيحتل المرتبة الاخيرة ١٪ .

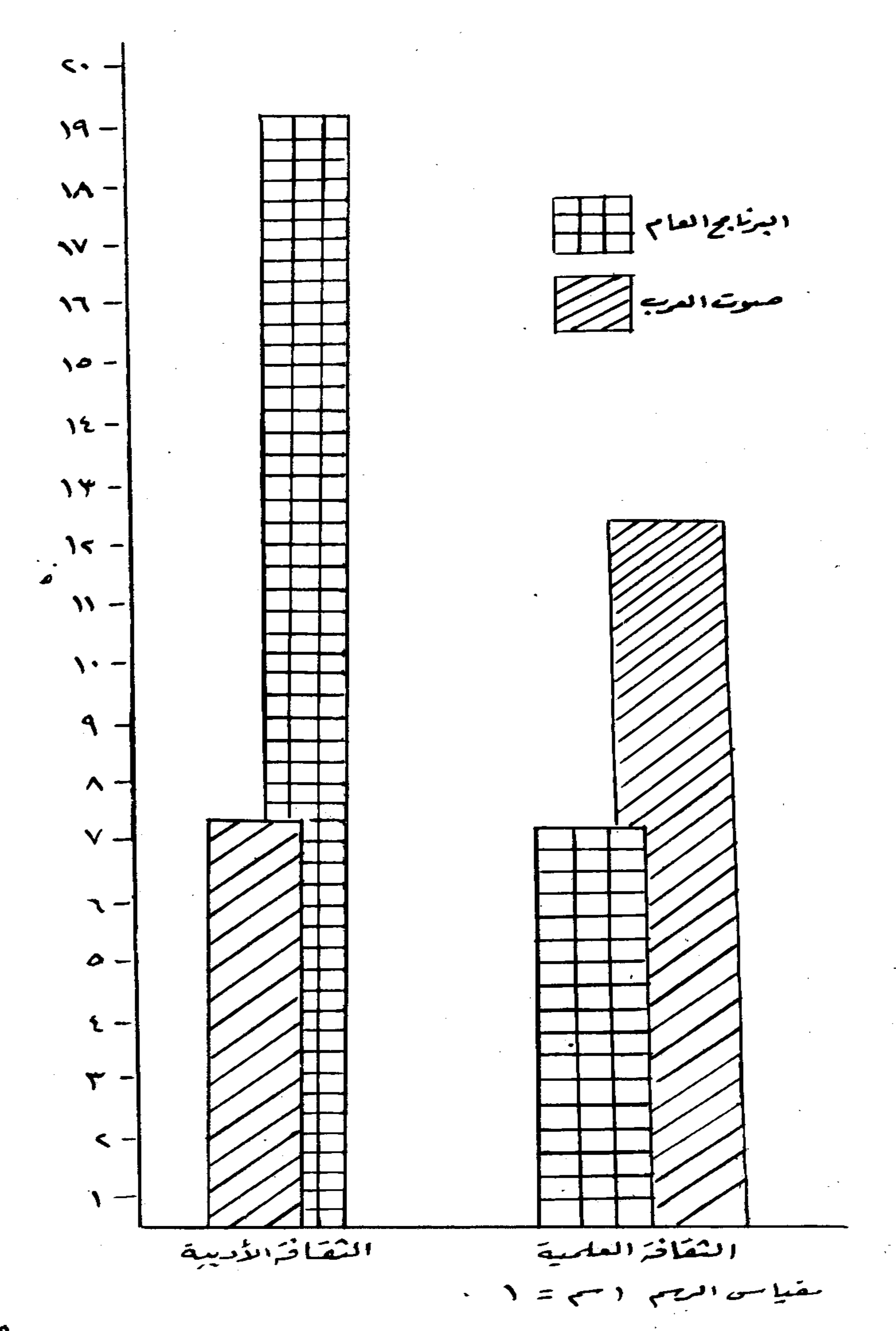
وإن كان ذلك يقتضى بالضرورة اعادة النظر فى نسبة الاشكال الاذاعية على ضوء ما تسفر عنه بحوث المستمعين ، فمثلا فى حين يحتل شكل المسابقات ١٪ فى تحليل المضمون ، نجد أن آخر بحث اجرى على المستمعين فى ١٩٧٧ يتضمن من البرامج المفضلة التى توقفت ويطلب الجمهور اعادتها فى الاذاعة برنامجين فى شكل المسابقات هما : جرب حظك وبرنامج ٤٦١٢٠ ، وقد احتل برنامج المسابقات الوحيد الذى تقدمه إذاعة البرنامج العام وهو «الغلط فين» مكانا بين خمسة برامج يفضلها المستمع من برامج البرنامج العام .

حـ ـ بسبب سعى البرامج الثقافية للتقريب بين اصحاب الثقافتين العلمية والادبية من خلال تقديم برامج ادبية وبرامج فى تبسيط العلوم .

وقد تبين أن البرنامج العام يقدم برامج ادبية بنسبة ١٩,٢٨٪ وبرامج فى تبسيط العلوم بنسبة ٧,١٣٪ بفارق نسبى ـ ١٢,١٥٪ فى حين يقدم صوت العرب فى الثقافة الادبية ٧,٤٧٪ وفى تبسيط العلوم ١٢,١٥٪ بفارق نسبى + ٤,٦٨٪ .

ومن ذلك يتضح أن الادب يحتل الصدارة فى البرنامج العام بفارق نسبى ـ ١٢,١٥ فى حين يحتل تبسيط العلوم فى صوت العرب الصدارة بفارق نسبى + ٤,٦٨٪ .

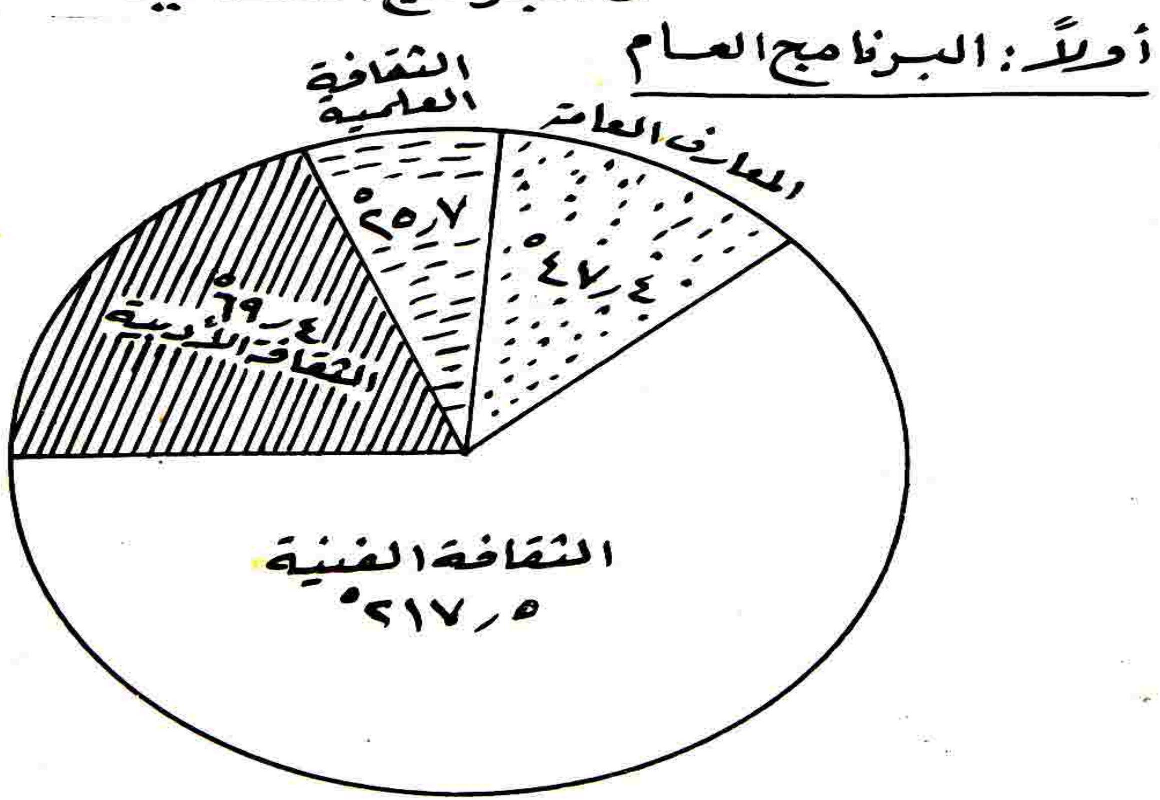
نسبى



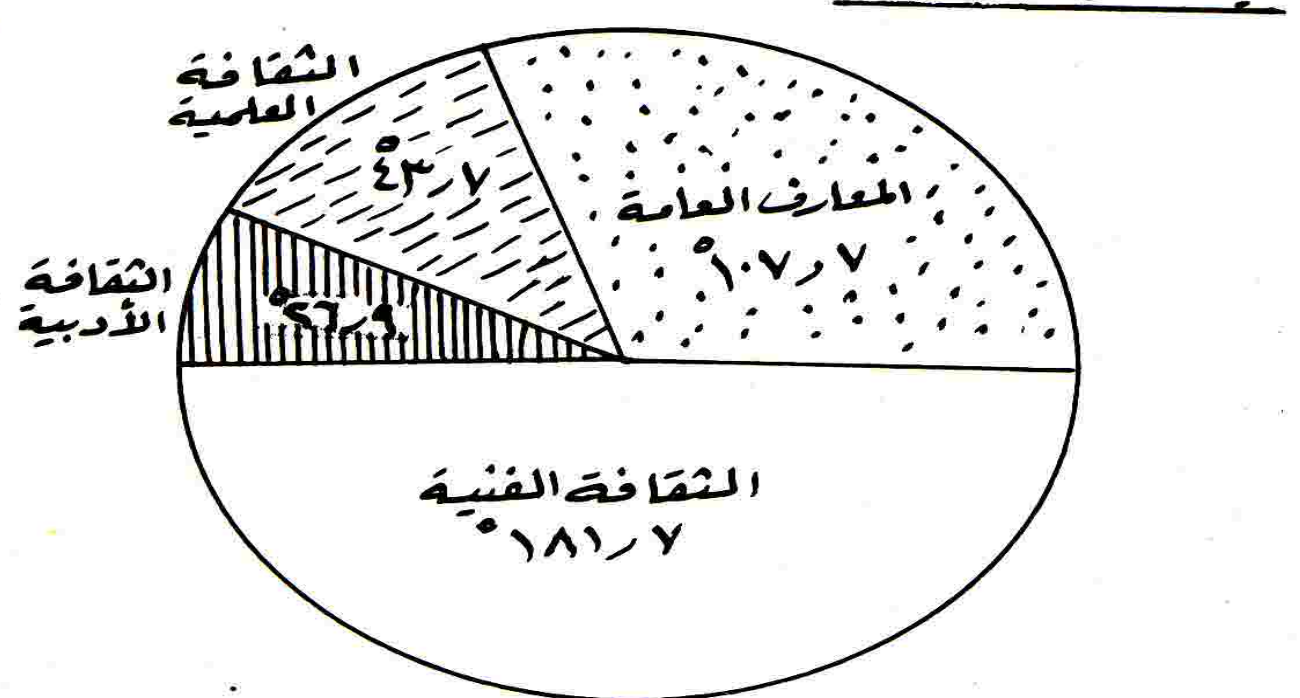
٢٠
١٩
١٨
١٧
١٦
١٥
١٤
١٣
١٢
١١
١٠
٩
٨
٧
٦
٥
٤
٣
٢
١
البرنامج العام
صوت العرب
الثقافة الأدبية
الثقافة العلمية
مقياس الرسم ١سم = ١

موضوع الإتصال
فى البرامج الثقافية

أولاً : البرنامج العام



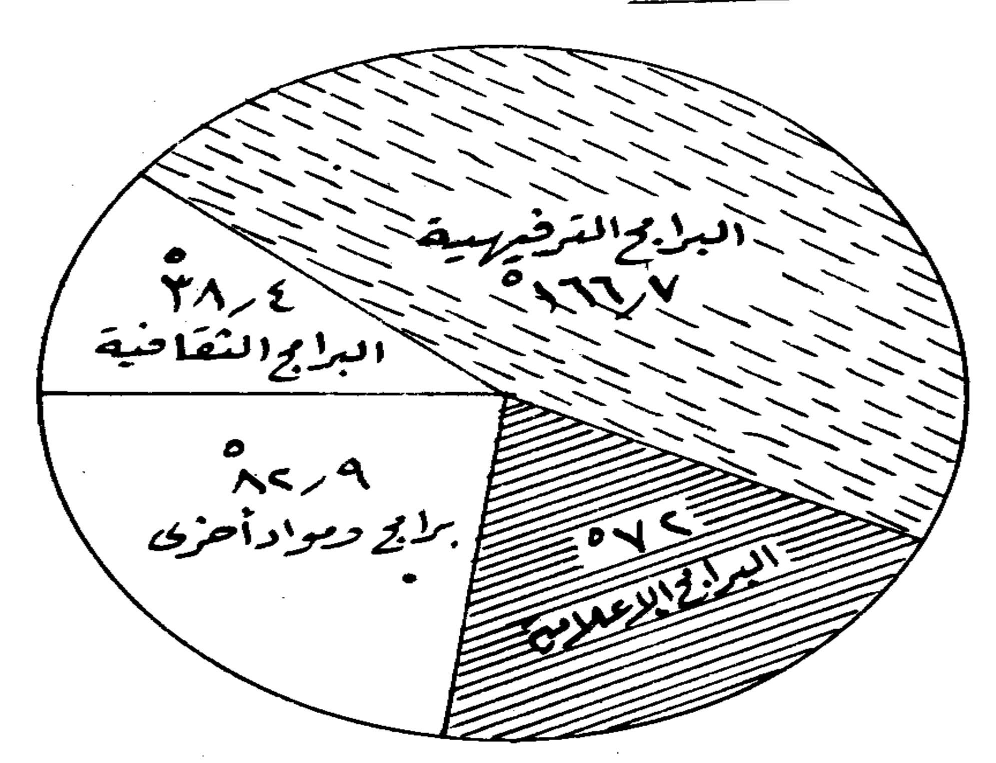
ثانياً : صوت العرب



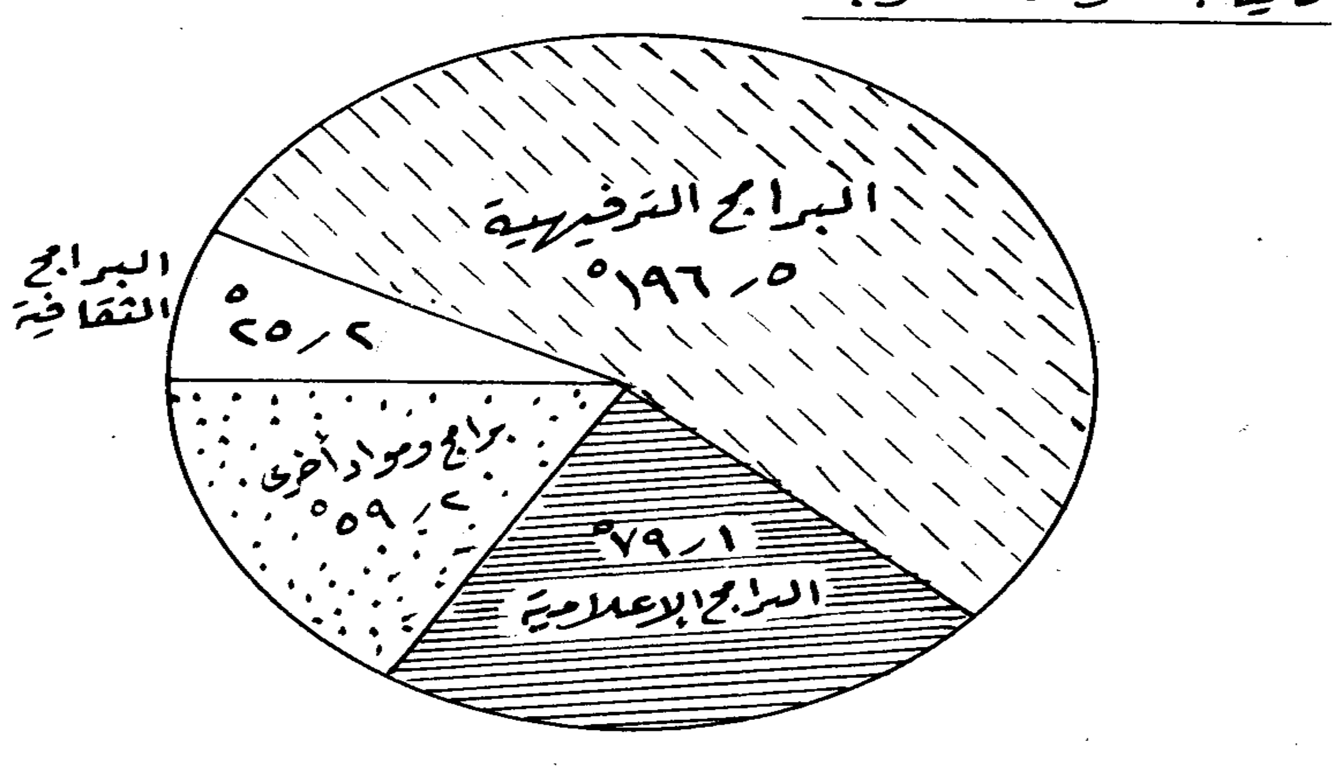
مقياس الرسم ١سم = ١ . نو = ٥سم

البرامج الترفيهية والإعلامية

أولاً: البرنامج العام



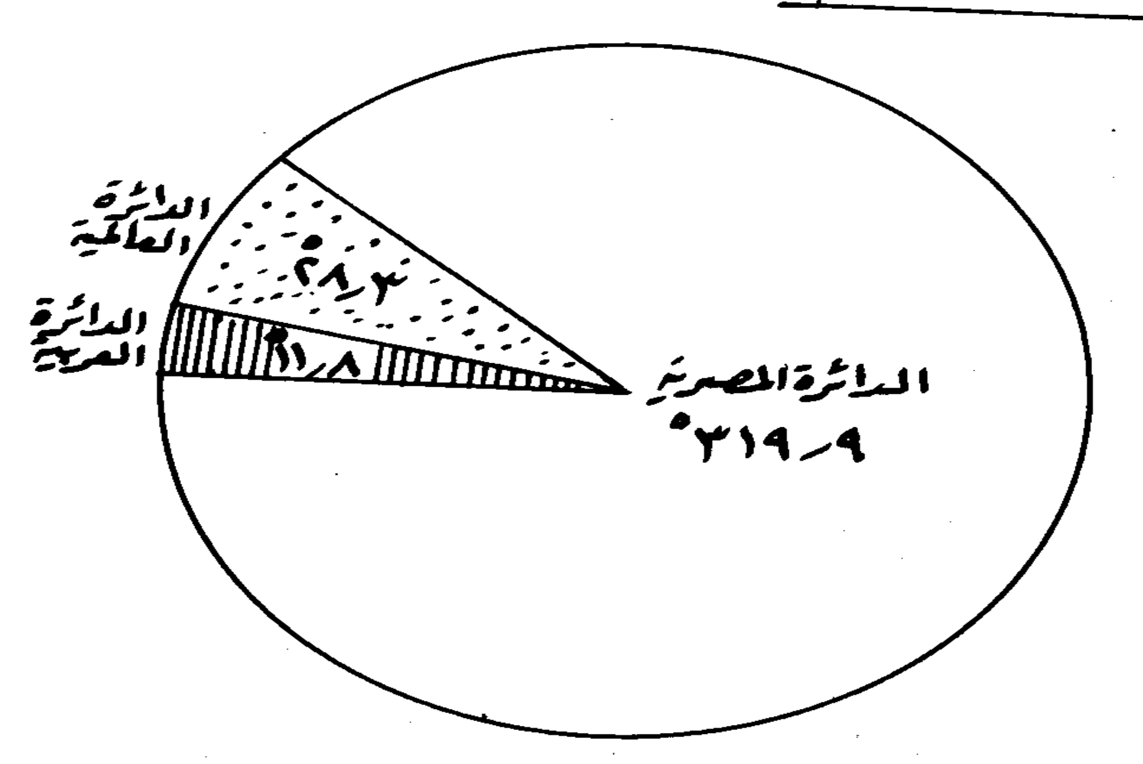
ثانياً: صوت العرب



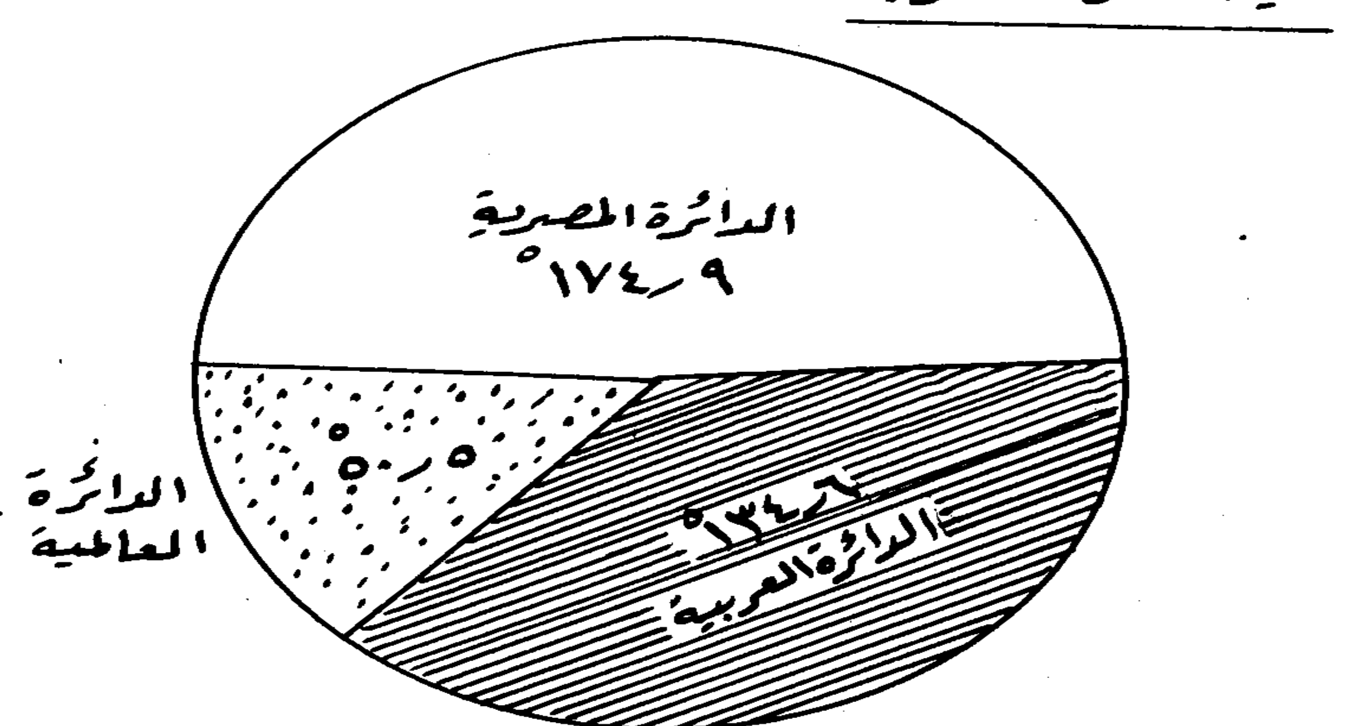
مقياس الرسم ١سم = ١٪ نحو = ٥سم

مصادر البرامج الثقافية

أولاً: البرنامج العام

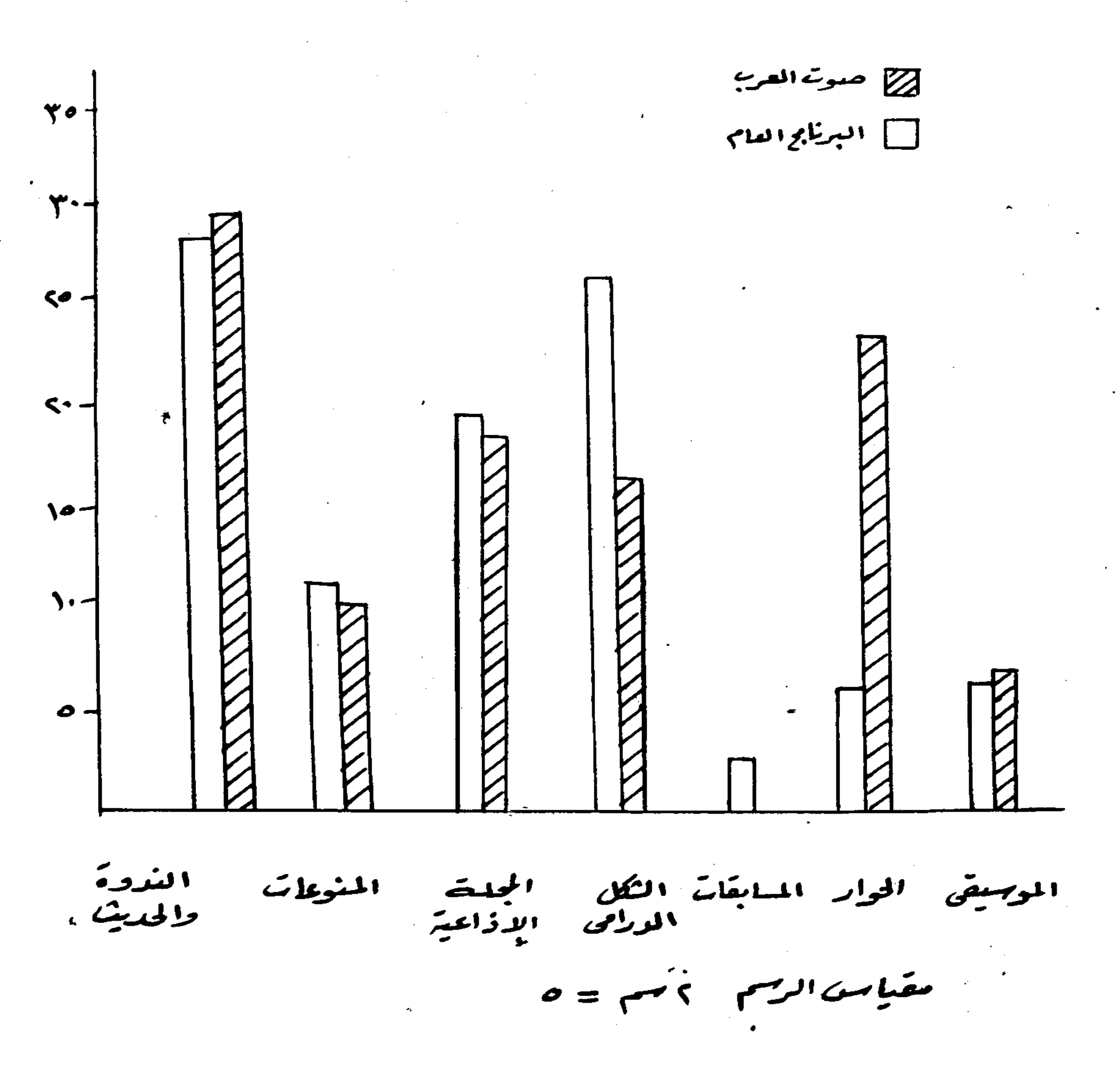


ثانياً: صوت العرب



مقياس الرسم = ١سم : ١ نق = ٥ سم

تنوع الشكل الإذاعي في البرامج الثقافية
بإذاعتي البرنامج العام وصوت العرب



الخاتمة

تتمتع الاذاعة المسموعة بمكانة عظيمة فى دنيا الاعلام ، فقد استطاعت هذه الوسيلة الجديدة أن تستغل موجات الاثير لتوثيق صلتها بملايين البشر فى كل انحاء المعمورة ، ولتزودهم بالخبر والرأى واحدث ما وصل اليه الفكر الانسانى الذى انطلق سعيا وراء الحقيقة فى آفاق العلوم والفنون والاداب اللامتناهية ، كما تزودهم ايضا بالتسلية والترفيه ، ثم تنقل لهم كل ذلك ــ اينما كانوا ــ فى المنزل أو الحقل او الفياق والجبال باسلوب محيب للنفس يقرب كل بعيد ويعرضه فى قالب مستساغ يجذب الملايين فى أركان الارض الأربعة[١]

لقد نشأت الاذاعة فى العالم نشأة متواضعة ، ثم اتسعت وتطورت وامتدت لكل مكان وقطعت مراحل عديدة استطاعت خلالها أن ترسى قواعد ثابتة للفن الاذاعى السليم . والذى يستوعب كل جديد وتتسع امامه أفاق التجربة بلا حدود إلى أنه يقوم على اسس وطيدة راسخة توصل اليها فى هذا المجال عبر خبرات وتجارب حتى خلص منها بقواعد وأسس للعمل الاذاعى السليم تنير امامه السبيل ، ولكنها لاتحد من مقدرته على الحركة والتطور الدائبين وهما فى حقية الامر جوهر الفن الاذاعى وروحه الخلاقة الواعية التى تساير التطو رالدائب وهما فى حقيقة الامر جوهر الفن الاذاعى وروحه الخلاقة الواعية التى تساير التطور

---

١ ــ كينجسون وكاوجيل وليفى : (ترجمة نبيل بدر) : الاذاعة بالراديو والتليفزيون المقدمة ــ مرجع سبق .

الدائب وتستفيد منه الامكانيات العلمية الهائلة وتلبى احتياجات ملايين الشر بحيث تيسر لهم متابعة كل ما يحدث فى العالم بالكلمة والصورة معا . فمازالت الاذاعة سابقة فى ملاحقة كل ما يدور فى دنيانا التى تقترب فيها المسافات يوما بعد يوم . بل لقد فتحت اكتشافات الانسان فى عالم الفضاء آفاقا غير محدودة امام تيسير الاتصالات اللاسلكية بين كل جهات العالم ورغم اختلاف النظم الاذاعية فى العالم فمازالت اهدافها هى الإعلام والترفيه والتثقيف . وان زاد نصيب بعض هذه الاهداف على سائر اغراض الاذاعة والتليفزيون ــ فانما ليلبى احتياجات الجمهور ويساهم فيخدمة المجتمع ويوثق الروابط بين البشر فى كل مكانة فالاذاعة تتبع اسلوبا مرنا يلائم نفسه مع احتياجات المجتمع ، ولكن مهما اختلفت النظم وطبيعة هذه الملائمة فان يخضع لاسس وقواعد فنية واحدة هدفها فى نهاية الامر عرض برامج مشوقة على الجمهور ، بأسلوب يستفيد من الامكانيات الفنية المتوفرة ، ويراعى التناسق بين اجزاء البرامج .[٢]

وانطلاقا من فهم وظيفة التثقيف والتنشئة الاجتماعية ومكانها بين وظائف الفن الاذاعى ، ودور الاذاعة فى النشر والتعبير كامتداد تكنولوجى للغة أو الكلمة والايماءة ، تعرف البحث على ضرورة توظيف الفن الاذاعى لخدمة المجتمع وتحددت . « مشكلة البحث » فى الفصل الاول ، بدراسة كيفية قيام الاذاعة المسموعة بدورها الثقافى والخصائص الفنية التى تتميز بها البرامج الثقافية من خلال دراسة هذه البرامج التى تقدم فى اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، ولذلك خصص الفصل الاول لدراسة ماهية البرامج الثقافية ، حيث افترض هذا الفصل أن الراديو يقوم بتزويد الجماهير بزاد ثقافى وفنى ويشترك فى تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع عن طريق تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها ، وفى تكوين الذوق الفنى والحضارى من خلال الاختيار والمفاضلة ، وترتبط هذه الوظيفة الحيوية بازدياد نمو المجتمع ، وتنوع تخصصاته ، وتعقد مشكلاته ، الامر الذى يجعل من الاذاعة المسموعة وسيلة ثقافية اساسية تبعد كل البعد عن الخبرة الفردية المباشرة فالمجتمع المتحضر يتميز بظهور علوم وفنون وتخصصات بالغة التجريد والتعقيد تجعل الاذاعة حلا لصياغة المعرفة ، الامر الذى يجعل من الرامج الثقافية وسيطا بين الخبير المتخصص من ناحية والرجل العادى من ناحية اخرى .

---

٢ ــ كينجسون وكاوجيل وليفى : (ترجمة نبيل بدر) : الاذاعة بالراديو والتليفزيون المقدمة ــ مرجع سبق .

وقد عني هذا الفصل بدراسة الخصائص التى تتميز بها الاذاعة فى تحقيق هذه الوظيفة الثقافية ، كما عنى بدراسة مشكلة الثقافة وماثير حولها من جدل يرتبط بالراديو كوسيلة ثقافية خاصة ، وطبيعة هذه الثقافة فى ضوء مشكلة الثقافة الرفيعة أو الراقية ، وحاول هذا الفصل التعرف على مزايا الاذاعة المسموعة وعيوبها وانتهى الى انها لم تكن احلالا لتيار الحضارة الالية الحديث محل التربية التقليدية التى ساعدت على التكوين الثقافى وانما عززتها ، ودعمت اساليبها ، كما اسهمت فى تحقيق ديمقراطية الثقافة ونشرها بين الجماهير ، وليس يخشى من هذه الوسيلة الجديدة على الفردية الخلاقة indinidualisme على النحو الذى ذهب اليه كثير من المفكرين .

وفى ضوء هذا الفهم حاول البحث فى الفصل الاول دراسة ماهية البرامج الثقافية ، وبين كيف أن الاذاعة تتصل بالمجال الحى الفعال بالعروة الوثقى ، وذلك لانها تتوسل باللغة ، الرابطة الكبرى بين الاذاعة والثقافة بالمفهوم الاجتماعى ، والاذاعة تعمل جاهدة على توثيق الوجدان الانسانى . وبين أن الثقافة كمضمون لايمكن أن تنفصل فى يسر عن الوعاء الذى يحملها والوعاء هنا هو فن الاذاعة الذى يحدد معالم البرامج الثقافية ، من حيث طبيعة الثقافة من ناحية ، وديمقراطيتها من ناحية اخرى ، وطبيعة فن الاذاعة وخصائصه من ناحية ثالثة، بحيث تيسر للجمهور الحصول على الثقافة دون عناء .

وقد اتضح ان الاذاعة كفن جديد استحدث مادته فى بداية الامر من الفنون بصورة عامة تقوم على الموسيقى والكلمة المنطوقة ، والبرامج الثقافية تقوم على هذين الركنين الاذاعيين ، فى تبسيط المعرفة والثقافة ، فهى لا تعتمد على الخيال وانما تقوم على العلم والمعرفة والثقافة ، فهى برامج وظيفية هادفة تتخطى عقبال الملل الذى يصاحب المادة الجافة ، الامر الذى يجعلها تفيد من الامكانيات الاذاعية ، ووسائل جذب الانتباه ، كما أن البرامج الثقافية قابلة للتطور الدائم ، تتميز بموضوعاتها ومعالجتها للثقافة بمختلف فروعها .

والبرامج الثقافية فى الاذاعة العامة ــ كالبرنامج العام أو صوت العرب لا تتوجه الى الصفوة كما يتوجه البرنامج الثانى ، وانما تتوجه الى الجماهير كلها كما تقدم ، وكان طبيعيا اذن أن ترتبط هذه البرامج بمفهوم الثقافة باعتبارها كيانا له مقوماته التى تميزه عن التعليم من ناحية،وعن الاعلام والترشيد من ناحية اخرى ، وان تداخلت الوسائل التى تحمل العناصر الثقافية وتعمل على بثها عن طريق الكلمة والصوت والصورة .

وفى ضوء هذا الفهم عن البحث بدراسة البرامج الثقافة فى اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب ، كاذاعتين تتوجهان إلى الجماهير العريضة ، وليس إلى الصفوة ، كما هو الحال فى البرنامج الثقافى ، من جهة ، ولتمييز كل اذاعة منهما فى الاهداف والوظيفة من جهة اخرى ، فالبرنامج العام كما تبين من اسمه يتوجه إلى الجمهور العام فإنها كما يبين من أسمها تتوجه بصفة خاصة إلى الوطن العربى . وتبين أن الثقافة فى مصر تصطدم بعوائق خطيرة اهمها الامية التى تعطل الافادة من الكلمة المكتوبة بوجه خاص ، وتؤدى فى كثير من الاحيان إلى فهم مغلوط للكلمة المسموعة ، الامر الذى يحمل البرامج الثقافية مسئولية تطويع استخدام امكانات الفن الاذاعى للمشاركة فى محو الامية الثقافية ، وتأكيد حق الجماهير فى مصر والوطن العربى فى استكمال المقومات الانسانية بواسطة الثقافة .

وقد عنى الفصل الثانى بدراسة المعايير الاذاعية فى البرامج الثقافية كأساسا للدراسة التطبيقية فى البرنامج العام وصوت العرب ، واعتبرت هذه البرامج مشروعا ثقافيا متداخلا يجب أن يتم بطريقة تكفل السيطرة على عناصره الاساسية : التخطيط ــ الانتاج ــ استخدام البرامج ــ المتابعة والتقويم .

وانتهى هذا الفصل إلى أن الخط الفاصل بين البرامج الثقافية وغيرها يجب أن يكون على اساس المضمون والهدف والاثر الذى يحدثه البرنامج وتحديد الاهداف فى البرامج الثقافية يجب أن يقوم على معرفة تامة بالاحوال التامة التى تعمل فى ظلها الاذاعة المسموعة ، اما تخطيط منهج المضمون فى هذه البرامج فينبغى أن يكون عن طريق لجان مؤلفة من اخصائيين فى الثقافة وفى وسائل الاتصال ، حتى يمكن الاتفاق على الولايات وكيفية معالجتها

وتأسيسا على هذا الفهم حاولت الباحثة تصور الدور الذى يمكن أن تقوم به البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب ؛ وهو الدور الذى ترجو أن تكون له شخصية متميزة ومتكاملة فى الاذاعتين .

وقد اعتمدت الدراسة على التقارير الدورية ، والتحليل الكمى لمضمون البرامج الثقافية ، والاتصالات البريدية ، وتبين ان التنوع والوحدة فى الثقافة العربية هما محور المقارنة بين اذاعتى البرانامج العام وصوت العرب . سيما وأن الثقافة العربية عرفت فى عصورها الوانا من التنوع ، ترتد فى المقام الاول إلى عاملين : اولهما : أن الثقافة العربية امتدت فشملت رقعة واسعة جدا من الارض ، تنوعت فيها انماط المعيشة وتفاوتت فيها درجات التحضر . وثانيهما ، ان الثقافة العربية كانت منفتحة على الثقافات السابقة عليها والمعاصرة لها ،

فاستقبلت تيارات فكرية متعددة جاءت اليها من المشرق والمغرب ، فضلا عن حصيلة ضخمة من التراث السابق كانت تعيش فى البيئات العربية نفسها وتتفاعل مع ثقافتها الجديدة .

ومع هذا ، فقد ظل للثقافة العربية فى مختلف مجالات الانتاج ، طابع مميز ، جعل لها شخصية مستقلة حين تقارن بثقافات الامم الاخرى فى العصور القديمة والوسيطة ، والدارسون المحدثون مهما اختلفت احكامهم على الحضارة العربية يعترفون بهذا التنوع من التميز والاستقلال ويجد فيه ورثة الثقافة العربية مصدرا من مصادرالخصب ووفرة العطاء[٣]

والأمر فى العصر الحاضر لا يختلف كثيرا فى هذه الناحية عنه فى العصور السابقة فلا تزال الامة العربية تشغل الرقعة الواسعة من الارض ، ولا تزال تتلقى فيضا حضاريا وافدا من كل جانب .

وإنما يجىء الخلاف بين العصور القديمة والحديثة فى أن العصر الحاضر قد استحدث فى مجال الثقافة مفاهيم جديدة أهمها الربط بين الثقافة والمجتمع وتأكيدها للدور الايجابى أو القيادى للثقافة فى حياة الجماهير وكذلك مكن العصر الحاضر لأنواع من التعبير الأدبى والفنى أن تحتل مكانا لم تكن تحتله من قبل كالقصة والمسرحية ، وهى بطبيعتها تخاطب جمهورا أكثر عددا وأكثر تنوعا من جمهور الكتاب قديما ، وكذلك أوجد العصر من وسائل الاتصال السمعى والمرئى بالجماهير العريضة ما لم يكن موجوداً بالإذاعة والتليفزيون والسينما ، زيادة على المطبعة وما انجزته وتنجزه فى ميدان الصحيفة والمجلة والكتاب على إختلاف أشكالها وتعدد موضوعاتها . وفوق ذلك كله. **فإن فكرة القومية اتخذت فى الوطن العربى ابعاداً جديدة ، واصبحت محوراً يدور حوله نشاط ابناء الأمة العربية على جميع مستوياتهم ، ومنفذا لتعبئة طاقات الأمة العربية كلها فى مختلف ميادين الحياة العامة[٤]**

وقد إنتهى البحث إلى أن التنوع فى البرامج الثقافية هو ذلك القدر من التنوع الطبيعى الذى يجد سبيله إلى الثقافات العربية كما يجد سبيله إلى الثقافات الأخرى . والذى يعبر عن حيويتها وتطلعاتها ، وجذورها التاريخية العميقة وخبراتها التى اكتسبتها فى مقارعة ظروف الإنحطاط ومواجهة الاستعمار، وليس هو التنوع المفتعل الذى يناقض الوحدة أو يخالفها أو يخرج عنها .

---

٣ ــ تقرير المنظمة العربية للتربية والثقافة عن الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية المعاصرة . ص ١ مرجع سبق ذكره .

كما أنتهى البحث إلى أن قضية الفصحى والعامية فى البرامج الثقافية تجسد أكثر من غيرها قومية الثقافة ومحليتها ، وأن السير نحو الفصحى هو سير نحو قومية الثقافة ووحدتها ، على النحو الذى يسعى إلى تحقيقه صوت العرب ، كما أن اللهجات العامية فى «البرنامج العام» يجب أن نسعى إلى موآلفتها للفصحى وتذويبها فيها ، والاذاعة من اقوى الاجهزة فى تقريب الناس من الفصحى .

كما أن تقديم أدب اقليم عربى ما أو أدبائه أو حياته الادبية فى برامج صوت العرب لابد أن يتناول عوامل الوحدة العامة المشتركة بين اقاليم الوطن العربى مع تناول عوامل التنوع والتفرد فى داخل الاقليم ولا يجوز الاقتصاد على بيان عوامل البيئة المحلية وحدها لان ذلك يهدر روابط الوحدة الثقافية .

وقد لوحظ أن البرامج الثقافية فى الاذاعة ــ صوت العرب أو البرنامج العام تسعى إلى توثيق الروابط بين المثقفين العرب وهو اتجاه ينبغى أن يستمر على أن تتناول الجوانب المختلفة والمتجددة من الثقافة العربية . وهنا يمكن أن تقوم الاذاعة بتغطية المؤتمرات الثقافية والندوات المتخصصة رغبة فى تحقيق قدر اكبر من التعارف الفكرى ، واتاحة جو موضوعى لدراسة القضايا والمشكلات كما لوحظ أن البرامج الثقافية تعنى بجيل الشباب ، ولذلك ينبغى عليها أن تستمر فى دعم العلاقات بين جيلى الكهول والشباب من الادباء .

ويرى البحث أن تولى البرامج الثقافية الشعر عنايتها ، وكذلك القصة والرواية وخاصة الاعمال التى تتناول قضايا ومشكلات ذات طابع قومى ، وتستوحى مقومات المجتمع المصرى والعربى .

كما أن البرامج الثقافية هى حلقة الاتصال بين جمهور الاذاعة والمسرح والسينما كجهازين ثقافيين . لذلك يوصى البحث بتقديم انتاج هذين الجهازين اذاعيا المسرح سينما وأن العربى حين يتخطى العوائق المحلية الضيقة إلى المجال القومى الرحب يستطيع أن يؤدى إلى مزيد من التقارب الثقافى والفكرى بين ابناء الامة العربية

ويوصى البحث أن تعمل البرامج الثقافية فى صوت العرب والبرنامج العام على نشر التراث العربى الصالح وتقريبه إلى وجدان المستمع واستخدام الوسائل الفنية التى تجعل من هذا التراث مادة ملائمة للعرض الاذاعى .

كما يوصى بوضع معايير واضحة لاستخدام المواد الاجنبية فى الاذاعة ، بحيث تراعى فى اختيارها للاعمال الثقافية الاجنبية الاخذ بالقضايا الفكرية الانسانية الشاملة التى لاتتعارض مع قيمنا الفكرية .

كما يوصى البحث بأن تعمل الاذاعتان على تحقيق القيم الجمالية والفنية فى البرامج المقدمة بها والبرامج المنقولة اليها من السينما والمسرح ... الخ على المستوى الذى يؤدى الى رفع مستوى الاحساس بالجمال والتذوق للفن فى المجتمع فى جميع تفاصيل حياته اليومية ، والفكرية ، وذلك لان القيم الفنية والجمالية جزء اساسى فى البيئة النفسيه للانسان ، وان الاذاعة المسموعة وهى تخاطب الاذن وخيال المستمع فى تناولها لمختلف الموضوعات فى البرامج الثقافية وغيرها تؤثر فى تنمية الاحساس بهذه القيم فى نفس المستمع .

وكذلك ينبغى أن تعنى البرامج الثقافية بابراز القيم للفنية والجمالية العربية فإن ذلك يتيح لها اكتساب صفات جمالية وفنية متميزة ذات ملامح واضحة مما يحقق لها انتماءها الحضارى ويبرز شخصيتها القومية[٥] .

وايمانا بأن التخطيط العلمى الواعى للجوانب الثقافية فى الاذاعة يرمى إلى الاستخدام الامثل للطاقات والإمكانات البشرية المادية المتاحة لتحقيق الاهداف الثقافية المطلوبة ، فإن البحث يؤكد ما أوصت به المنظمة العربية للتربية والثقافة ... والعلوم[٦] : وهو ما اتضح فى الباب الثالث من هذا البحث :

١ ـ أن يكون الهدف من التخطيط للبرامج الثقافية هو أن يكون لها دور فى التغيير الثقافى والاجتماعى ، والعمل على ايجاد توازن بين العناصر الثقافية العربية الاصيلة والحاجة إلى التكيف مع مستلزمات الحياة المعاصرة .

٢ ـ العناية فى هذا المجال بالتخطيط على المدى الطويل ، لأن التأثير الحقيقى فى المجالات الثقافية والأخلاقية يتطلب وقتا طويلا ، بالاضافة إلى اهمية التخطيط على المدى القصير فى ظل خطة طويلة المدى .

٣ ـ أن يرتبط التخطيط للبرامج الثقافية بالمؤثرات الثقافية الاخرى فى المجتمع مثل برامج التعليم والاعلام وغيرها

٤ ـ أن يراعى التخطيط للجوانب الثقافية تلبية احتياجات الجماهير ورغباتهم .

٥ ـ أن يتضمن التخطيط للجوانب الثقافية نشر الثقافة العربية الاصيلة وتدعيمها وابراز الفنون العربية التى تشارك فى تكوين وجدان الانسان العربى المعاصر بالاضافة إلى الانفتاح على الثقافات الاجنبية .

الفئات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
البرنامج العام	موضوع الاتصال					المصادر		شكل البرنامج							لغة البرنامج		
اسم البرنامج	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	الأحاديث والمعارف	مصر	البلاد العربية	البلاد الأجنبية	الحديث والندوة	المنوعات	الحوار	الشكل الدرامى	المسابقات	المجلة الاذاعية	موسيقى التحليل	الفصحى	العامية	الفصحى والعامية
١ ـ لغتنا الجميلة	١,٤٣	—	—	—	,٧١	,٧١	—	١,٤٣	—	—	—	—	—	—	١,٤٣	—	—
٢ ـ قال الفيلسوف	,٧١	—	—	—	—	,٧١	—	—	—	—	,٧١	—	—	—	,٧١	—	—
٣ ـ حديث الصباح	—	—	—	,٧١	,٧١	—	—	,٧١	—	—	—	—	—	—	,٧١	—	—
٤ ـ ع الماشى	—	—	—	,٧١	٧١	—	—	,٧١	—	—	—	—	—	—	,٧١	ـ	—
٥ ـ من الشاشة للميكرو	—	—	٧,١٤	—	٧,١٤	—	—	١,١٥	—	—	٦	—	—	—	—	—	٧,١٤
٦ ـ مواقف درامية	—	—	٤,٢٩	—	٤,٢٩	—	—	,٢٩	—	—	٤	—	—	—	—	—	٤,٢٩
٧ ـ مع الأدباء الشبان	٤,٢٩	—	—	—	٤,٢٩	—	—	٢,١٣	—	—	٢,١٣	—	—	—	٢,٨٦	١,٤٣	—
٨ ـ من اسبوع لاسبوع	—	—	—	٢,١٣	٢,١٣	—	—	٢,١٣	—	—	—	—	—	—	٢,١٣	—	—
٩ ـ فنجان شاى	—	—	—	٤,٢٩	٤,٢٩	—	—	—	—	٤,٢٩	—	—	—	—	—	٤,٢٩	—
١٠ ـ أضواء المسرح	—	—	٨,٥٧	—	٨,٥٧	—	—	١,٤٣	١,٤٣	١,٤٣	٤,٢٩	—	—	—	—	—	٨,٥٧
١١ ـ فنون	—	—	٢,٨٦	—	٢,٨٦	—	—	—	١,٤٣	١,٤٣	—	—	—	—	—	٢,٨٦	—
١٢ ـ العلم والحياة	—	١,٤٣	—	—	—	—	١,٤٣	١,٤٣	—	—	—	—	—	—	—	—	١,٤٣

الفئات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
البرنامج العام	موضوع الاتصال					المصادر			شكل البرنامج						لغة البرنامج		
اسم البرنامج	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	الاحاديث والمعارف	مصر	البلاد العربية	البلاد الأجنبية	الحديث والندوة	المنوعات	الحوار	الشكل الدرامي	المسابقات	المجلة الاذاعية	موسيقى تحليل	الفصحى	العامية	الفصحى والعامية
١٣ ـ اقرأ	—	—	٤,٢٩	—	٤,٢٩	—	—	—	—	١,٤٣	٢,٨٦	—	—	—	٤,٢٩	—	—
١٤ ـ الجائزة التقديرية	٤,٢٩	—	—	—	٤,٢٩	—	—	—	—	—	٤,٢٩	—	—	—	٤,٢٩	—	—
١٥ ـ القرن الحادى والعشرون	—	,٧١	—	.	—	—	,٧١	,٧١	—	—	—	—	—	—	—	—	,٧١
١٦ ـ طبيب العائلة	—	١,٤٣	—	—	١,٤٣	—	—	—	—	١,٤٣	—	—	—	—	—	١,٤٣	—
١٧ ـ الطائرة ٧٧٧	—	—	٢,١٣	—	—	—	٢,١٣	—	,٧١	,٧١	,٧١	—	—	—	—	—	٢,١٣
١٨ ـ لقاء الفن	—	—	٨,٥٧	—	٨,٥٧	—	—	١,٤٣	٢,١٣	٢,١٣	—	—	٢,٨٦	—	—	٨,٥٧	—
١٩ ـ ألحان زمان	—	—	٨,٥٧	—	٨,٥٧	—	—	٢,٨٦	١,٤٣	—	—	—	—	٤,٢٩	٤,٢٩	٤,٢٩	—
٢٠ ـ دنيا السياحة	—	—	١,٤٣	—	,٧١	—	,٧١	,٧١	—	,٧١	—	—	—	—	—	—	١,٤٣
٢١ ـ من مكتبة فلان	٣,٥٨	—	٥	—	٥,٧١	—	٢,٨٦	—	٢,٨٦	٥	—	—	—	,٧١	—	—	٨,٥٧
٢٢ ـ يتحدثون عن	—	—	—	,٧١	,٧١	—	—	,٧١	—	—	—	—	—	—	,٧١	—	—
٢٣ ـ أنغام عربية	—	—	٤,٢٩	—	٢,٨٦	١,٤٣	—	١,٤٣	١,٤٣	—	—	—	—	١,٤٣	—	—	٤,٢٩

الفئات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
البرنامج العام	موضوع الاتصال				المصادر				شكل البرنامج						لغة البرنامج		
اسم البرنامج	الثقافة الادبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	الاحاديث والمعارف	مصر	البلاد العربية	البلاد الاجنبية	الحديث والندوة	المنوعات	الحوار	الشكل الدرامى	المسابقات	المجلة الاذاعية	موسيقى تحليل	الفصحى	العامية	الفصحى والعامية
٢٤ ـ حياتنا الثقافية	,٧١	ـ	١,٤٣	—	١,٧١	,٤٤	—	—	—	—	—	—	٢,١٣	—	٢,١٣	—	—
٢٥ ـ الغلط فين	١,٤٣	٢,١٣	,٧١	—	٤,٢٩	—	—	—	,٧١	—	١,٤٣	٢,١٣	—	—	—	٤,٢٩	ـ
٢٦ ـ صالون الفكر	٢,١٣	١,٤٣	,٧١	—	٤,٢٩	—	—	٤,٢٩	—	—	—	—	—	—	—	—	٤,٢٩
٢٧ ـ الميكروفون مع	—	—	,٤٤	٣,٨٧	٤,٢٩	—	—	٣,٥٨	,٧١	—	—	—	—	—	—	—	٤,٢٩
٢٨ ـ حديث السهرة	,٧١	—	—	,٧١	١,٤٣	—	—	١,٤٣	—	—	—	—	—	—	١,٤٣	—	—
المجموع	١٩,٢٨	١٧,١٣	٦٠,٤٣	١٣,١٣	٨٨,٨٥	٣,٢٩	٧,٨٤	٢٨,٥٦	١٢,٨٤	١٨,٥٦	٢٦,٤٢	٢,١٣	٤,٩٩	٦,٤٣	٢٥,٧	٢٧,١٦	٤٧,١٤
	٪١٠٠				٪١٠٠				٪١٠٠						٪١٠٠		

الفئات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
البرنامج العام	موضوع الاتصال				المصادر			شكل البرنامج							لغة البرنامج		
اسم البرنامج	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	المعارف العامة	مصر	البلاد العربية	البلاد الاجنبية	الحديث والندوة	المنوعات	الحوار	الشكل الدرامى	المسابقات	المجلة الاذاعية	موسيقى	الفصحى	العامية	الفصحى والعامية
١ ـ قرأت لك	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
٢ ـ شارع الصحافة	,٩٣	—	,٩٣	—	١,٨٧	—	—	١,٨٧	—	—	—	—	—	—	١,٨٧	—	—
٣ ـ عالم الشعر	—	—	١,٨٧	—	١,٨٧	—	—	١,٨٧	—	—	—	—	—	—	١,٨٧	—	—
٤ ـ مع الموسيقى العربية	٢,٨٠	—	—	—	,٩٣	١,٨٧	—	,٩٣	—	,٩٣	—	—	,٩٣	—	٢,٨٠	—	—
٥ ـ صحتك بالدنيا	—	—	٥,٦	—	—	٥,٦	—	١,٨٧	—	—	—	—	—	٣,٧٤	١,٨٧	—	٣,٣٤
٦ ـ عالم السياحة	—	٢,٨٠	٢,٨٠	—	٢,٨٠	—	—	٢,٨٠	—	—	—	—	—	—	٢,٨٠	—	—
٧ ـ من القلب للقلب	—	—	—	١,٨٧	١,٨٧	,٩٣	,٩٣	,٩٣	—	١,٨٧	—	—	—	—	—	—	٢,٨٠
٨ ـ عالم المجلات	—	—	٢,٨٠	—	,٩٣	,٩٣	—	١,٨٧	—	—	—	—	—	—	١,٨٧	—	—
٩ ـ فى الطريق اليك	—	—	٢,٨٠	—	١,٨٧	—	—	٢,٨٥	—	—	—	—	—	—	٢,٨٠	—	—
١٠ ـ سهرة الأحد	—	—	—	١١,٢١	٢,٨٠	٩,٣٤	—	٢,٨٠	—	—	—	—	—	—	٢,٨٠	—	—
١١ ـ هودة بن بطوطة	—	—	١,٨٧	٣,٧٤	١,٨٧	٥,٦	—	—	—	—	—	—	١١,٢١	—	—	—	١١,٢١
١٢ ـ عالم المسرح	—	—	٢,٨٠	—	—	—	—	—	—	—	٥,٦	—	—	—	٥,٦	—	—
	—	—			٢,٨٠		—	—	—	—	—	—	٢,٨٠	—	—	—	٢,٨٠

الفئات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
البرنامج العام	موضوع الاتصال				المصادر				شكل البرنامج					لغة البرنامج			
اسم البرنامج	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	المعارف العامة	مصر	البلاد العربية	البلاد الأجنبية	الحديث والندوة	المنوعات	الحوار	الشكل الدرامى	المسابقات	المجلة الاذاعية	موسيقى	الفصحى	العامية	الفصحى والعامية
١٣ ـ أشهر الألحان	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
١٤ ـ سينمائيات	—	—	٢,٨٠	—	,٩٣	,٩٣	,٩٣	,٩٣	—	—	—	—	—	١,٨٧	—	—	٢.٨٠
١٥ ـ مع الموسيقى	—	—	٥,٦	—	٤,٦٧	—	,٩٣	—	١,٨٧	٣,٧٤	—	—	—	—	—	٥,٦	—
العالمية	—	—	٥,٦	—	—	—	٥,٦	,٩٣	—	—	—	—	—	٤,٦٧	,٩٣	—	٤.٦٧
١٦ ـ اقتصاديات	—	٢,٨٠	—	—	,٩٣	,٩٣	,٩٣	١,٨٧	—	,٩٣	—	—	—	—	١,٨٧	—	١,٩٣
١٧ ـ عالم الغد	—	٢,٨٠	—	—	—	—	٢,٨٠	٢,٨٠	—	—	—	—	—	—	٢,٨٠	—	—
١٨ ـ قصاقيص	—	—	—	١١,٢١	٥,٦	٥,٦	—	—	٢,٨٠	٥,٦	—	—	٢,٨٠	—	—	—	١١.٢١
١٩ ـ اللقاء المفتوح	٣,٧٤	١,٨٧	٣,٧٤	١,٨٧	٥,٦	٥,٦	—	٢,٨٠	٣,٧٤	٤,٦٧	—	—	—	—	—	—	١١.٢١
٢٠ ـ سهرة مسرحية	—	—	١١,٢١	—	١١,٢١	—	—	١,٨٧	—	—	٩,٣٤	—	—	—	—	—	١١.٢١
٢١ ـ هكذا كانت البداية	—	١,٨٧	—	—	—	—	١,٨٧	,٩٣	—	—	,٩٣	—	—	—	١,٨٧	—	—
المجموع	٧,٤٧	١٢,١٥	٥٠,٤٦	٢٩,٩	٤٨,٥٥	٣٧,٣٣	١٣,٩٩	٢٩,٨٧	٨,٤١	١٧,٧٤	١٥,٨٧	—	٢٢,٤١	٦,٥٤	٣٠,٨٢	٥,٦	٦٥.٥٨

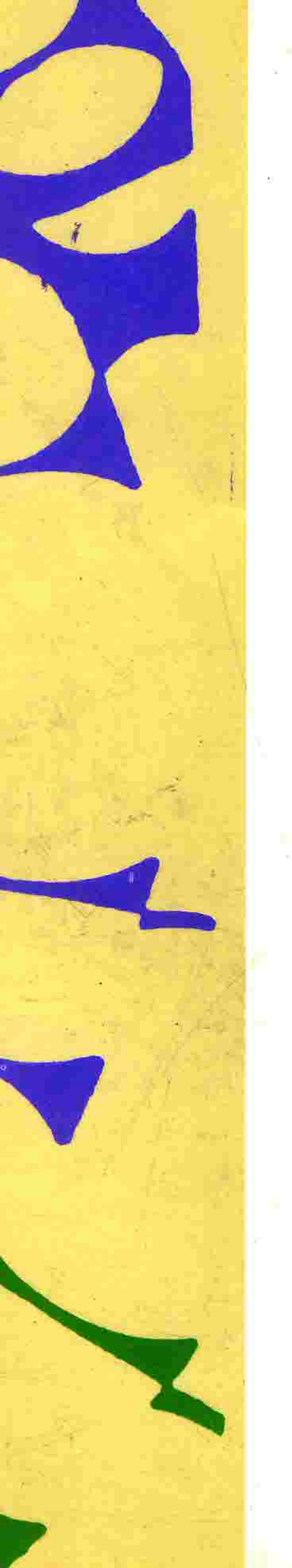
٪١٠٠ ٪١٠٠ ٪١٠٠ ٪١٠٠

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٨٠٣/ ١٩٩٦

I.S.B.N - 977 - 01 - 5043 - 6



هذا الكتاب يرتبط بمفهوم الاتصال الذى يعنى انتقال المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات أو العواطف من شخص أو جماعة أو وسيلة إعلام إلى شخص أو جماعة أخرى من خلال الرموز، كما يهدف إلى دراسة الثقافة من الوجهة الإعلامية والاتصالية من حيث أهمية التوصيل الثقافى فى المجتمع وغير ذلك من الموضوعات المشتركة بين الإعلام والثقافة. كما أن له من الوظائف ما يجعله على درجة من الأهمية عند التخطيط لمضمون وسائل الإعلام فى بلادنا مسموعة أو مرئية.. أو مقروءة؛ وهى أهمية تتفوق على أهمية الترفيه أو استهواء غرائز الجماهير وفى مقدمة هذه الوظائف.. وظيفة روحية وذلك حينما يسعى الإعلام الثقافى إلى إشاعة القيم الجمالية بين الجماهير. ووظيفة اجتماعية تخلق من مشاهديه والمعجبين به وحدة اجتماعية متماسكة، ووظيفة تربوية تهذّب ملكات النفس حتى تدرك النسب الجميلة فى الأشياء.

ووظيفة علمية يقدمها من تبسيط العلوم ومن مواد علمية تكسب العقل أسلوباً معاصراً فى التفكير العلمى.

ووظيفة أدبية.. من حيث الارتفاع المستمر بمستويات التذوق لفنون الأدب المختلفة حيث يرتكز على مخاطبة عقول الجماهير ووجدانهم.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب